٢١٨
س . ط

سراج الملوك ، تأليف الطرطوشي ، محمد
ابن الوليد ـ ٥٢٠ هـ . بخط على بن أحمد
ابن على بن ناصر المنابهي سنة ١٢٢٩ هـ
ج ١ ٢٠ (٢٠٢ + ١٠ ق) ٢١ س
١٥٫٥ x ٢١٫٥ سم
نسخة حسنة ، خطها مغربي ، ثم ينهيها
الناسخ ، طبع
كشف الظنون ٢ : ٩٨٤ معجم المطبوعات ٢ :

٥٠٩٤

١٢٢٩
١ ـ الشعائر والتقاليد والاخلاق
الاسلامية أ ـ المؤلف ب ـ الناسخ
ج ـ تاريخ النسخ .

Copyright © King Saud University

٥٠٩٤

Copyright © King Saud University

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا

شفيت النفس قبل التندم

بكت الرجل للمتقدم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده

يا أخي الحاضر فيما .. دون إخوانه وقومه

ان ترى ما أرى أمسى .. فلقد تسري بنعمة

ولا تغيروا ذاك القرآن .. واطرح شبع ولومه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

الفقيه البركة سيدي ... بن ...

اللهم صل الله

على محمد

بلى فلو قبل مبكاها بكيت صبابة

بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا

بكاها فقلت الفضل للمتقدم

تبا لمبتدر ... أنما العز بالتقى والأدب المتفق ولله در قائل

... ما الإنسان إلا ابن يومه .. على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما .. فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

Copyright © King Saud University

الحمد لله وحده

استودع كاتبه عبد الله ...

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لكاتب

هذه الحروف ولوالديه ما تقدم من ذنبه وما تأخر

منه بفضلك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين

الحمد لله وحده استودع كاتبه عبد الله عنه

شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول

الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

استودع كاتبه عبد الله

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا ... ويومك هذا بالفعال شهيد

فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فثن بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير يوما إلى غد ... لعل غدا يأتي وأنت فقيد

فيومك إن أعتبته عاد نفعه ... عليك وماضي الأمس ليس يعود

اللهم إنا نستعيذك من تسوف الشهوات إلى صوب الشبهات كما
نستعيذك من فعل الخطرات إلى خطط الخطيئات ونستوهب
منك توفيقا قائدا إلى الرشاد وتخفيفا سائقا إلى النقير
وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق
ولا تجعلنا على ملك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ
ومقتدرينا إليك بعد المسألة وتعفنا بالاستكانة لك
والمسكنة واستر لنا كرمك الجم ومنك الزعم
بضراعة الطلب وبضاعة الأمل في النعاب بل التوسل
بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي البشر الشفيع المشفع في المحشر
اللهم صل عليه وعلى آله السادات وأصحابه الذين قتلوا
الدين واجعلنا العرب وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم
أجمعين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يرجو المسيء المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل ظني ثم إني مسلم

حسن ظني

يا من إليه جميع الخلق يفتقر ... اغفر لعبد مسيء جاء يعتذر
أقله عثرته وذل خيبته ... لم يبق في الحال ما يأتي وما يذر
ألهمه رشده وامنح يا كريم له ... نهج الهدى للذي يرضى ويدخر
أصلح ظواهره طهر بواطنه ... من كل نقص وما يقضي له الكدر

رب سهل على فتاة فتاة ... ليتني هل سلا فتاها فتاها
علمته جعفر نعلا أتى نسخ ... ما قد لاها حتى يعد ما نالها

[illegible]

أوائل أولاه والدموع تبينه ... ومن في بلد طحاء أهل وفر وفنر
فلا تعدلوا من بان عنه حبيبه ... من بعد الأحباب يوما فقد بقي

الحمد لله وحده

~~محبة العفيف [illegible]~~
~~الأفضل [illegible] رحمة الله وبعد فيرد عليكم~~
~~كتاب [illegible] علي بن محمد~~

بني اشتغل بالعلوم تنمي عروقه ... فروعا وتعتلي إذا ما النوى أنتوى
ولا تقطع العمر بالجدل والمرا ... إذا انتهى احتلوا بالهوى فهوى
وعلم النحو العمر دكم ومحلق ... إلى الفهم لما أن أطاع الهوى هوى
واصعد نحو العز فيبيع ان أبى ... على من إلى العمر اللباب انطوى فوى
نبل وحل بالعلم معا يجوز إذا أقبل ... زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تفتقد بالجمع فلا فيه أثره ... إذا ما علقت العبارة بالنوى تنوى
وإياك والشكوى فلا ترى ذا فهم ... فتشكي بل أخو الجهل إذا ما الزعوى عوى

فهم أخو علمه ما يذكيه ذو سعيه ... من نار غيظه وأصبح أن جنى جار
بالعلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جار

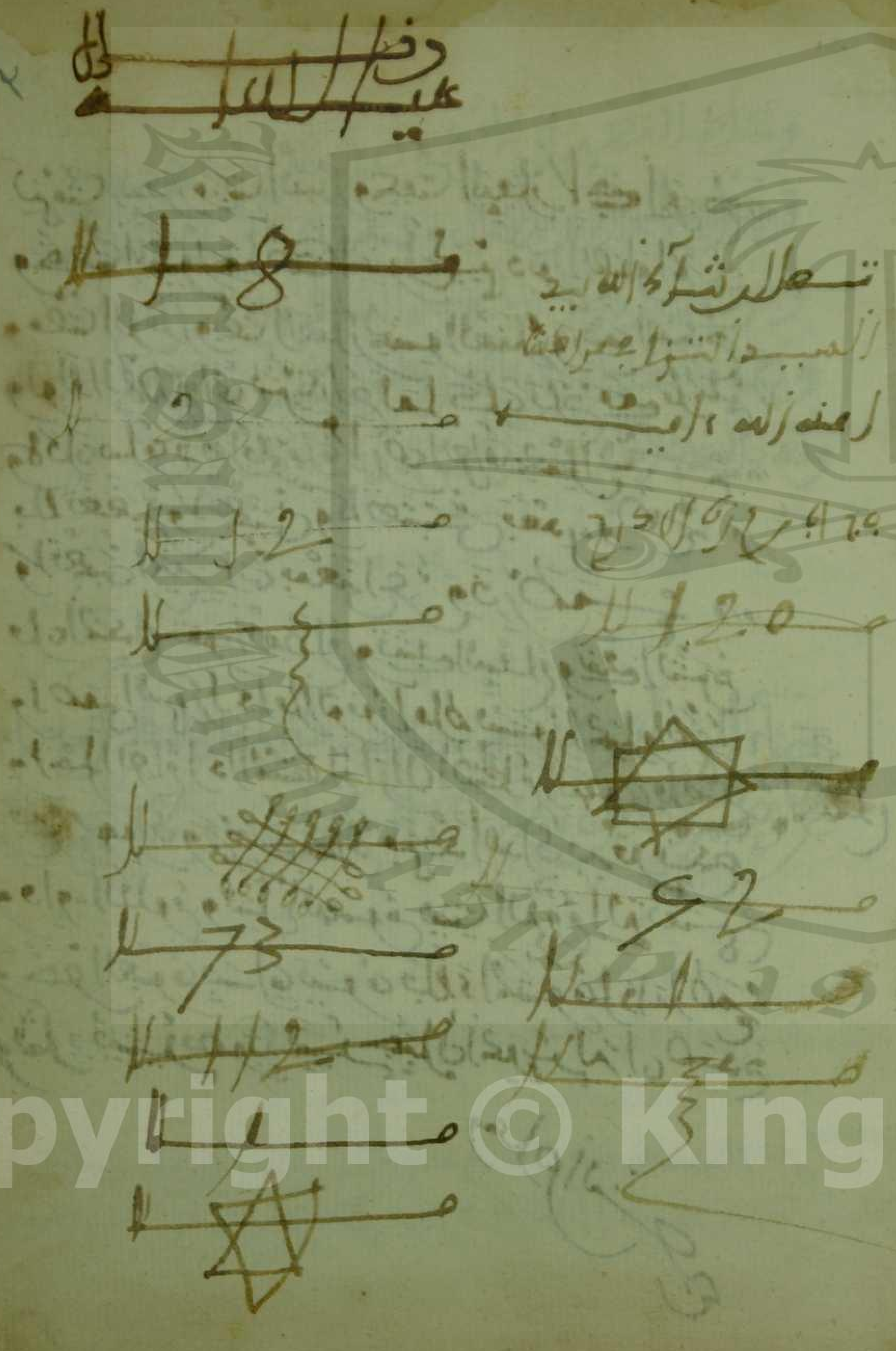

وقيل فقط

لا تعقدن على ضر ومسغبة ،، لكن يقال عن النعير مقطبة
واثل تخييل هل ارض معطلة ،، والنبات كل رض عفها الشجر
بعقد عمل يشير الاغبيا به ،، وانى قبل العود ما له ثمر
وارحل وكرابك عن ربع ظمئت به ،، الى الجناب الذي تهمي به المطر
واستنهل الري من در السحاب فان ،، بلغت بدا به فلتبعفني الحجر
وان رددتا فعلى الرد منقصة ،، فعليك قدر موسى قبل والخضر

كنز من البعاد وجنا القبار وجنت البغاة لا جنى الفرح
وخفت السبول وشت الغيول الجنى دبول الصبا والمرح
ومقت الوفاء وبغا القفار لجسو العفاة وريث القدح
ولولا الصلاح الى نشر راح لعل كل بارح جيء بالملح
ولا كان سار دهاء الزمان لارض العراق بجمل انشرح
بلا تعفير ولا تجميش ولا تهتك بعقد وضح
ولا تعجبن لشيخ ابى بمعشوق ودر طمح
بان المدام تقوا العطاق وتشفي السقام وتبعي الترح
واصبى السرور اذا ما الهموم املت يستوز التميل والطرح
واحلى الغرام اذا المستهام ازال الكلام الهوى ولا يستحي الكتال
فتح بهواك ونز حنانك متى تد البداء بد قدرة فتح
وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم التي تقتضح
وخذ الغبوق بدار الصبوح جلاء المشوق اذا ما الهم
وقل تبيشير بصوت فسيح جلال الامير له ان مدح

وعلم النصيح

وعلمه النصيح الرائع وصال الطبيع اذا ما رهم
وجل في السماء ولو بالجمال ونح ما يقبل ونحزنا ما علم
وبارد ابل اذا ما ابله ومد الشراب وصم ما نسم
وصام الغليل وناب الغمام وزال الجميل ووالى النعم
ولذ بالشراب امام الذهاب فمن ذق باب كريم فتح

جاء الشتاء وعنى من حوائجه قبع اذا الفطر عاجتا جمل
كم وكيس وكل فرو وكانون صلا بغير الكلا وكثر ناعم وكسل

أحق لمن حالك قال الحارث بن همام في بعض مقاماته لما اوفينا الى نادي جمع الامير
والجماهير وحشي النبيه والخمول في ونسك هالته ووقفنا اهلته تشيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلس وتطلس وهو يصدع دون غلاة يشجي
الصدور ويلين الصخور بسجعته وهو يقول ‍‍‍ وقد اقبلت جد الصفوة — حسيمة
ابن ادم ما اغرك بما يغرك واضرك بما يسرك والهيك بما لا
يطغيك واقصيك من يطريك تغتني بما يعنيك وتهمل ما يعنيك و
وتنزع في قوس تعديك وتتذرع الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع
ولا من الحرام تنتنع ولا للعظات تستمع وكان بل لو عيد تر تنرح
تدابر ان تنقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهلك ان تدابر
من الاحتراز وتجمع التراث للوراث بعميك المكاثر الديك وانه ذكر
ما يريد بك وتسعى ابدا الغاديك ولا تبال الكل ام عليك اغتطى
ان متشرك سدى وان لا تحاسب غدا ام تحسب ان الموت يقبل الرشا
ام تميز بين الاسد والرشا كلا والله لن يدفع عن المنون مال ولا بنون
ولا ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم انشد
انشادا وجل جهورا وجل لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى
اذا اسكن المثرى الثرى وثوى به فجد في مراضي الله بالمال راضيا
بما تقتني من اجره وثوابه ولا در به صرف الزمان فانه منقلبه الاشعى — اعوج
الحشوي جعول ونابه ولا تامن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه ربيع الاول

ممل

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه
كانك عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي الوابل عاد مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه اداه وفيه
وان قصارى منزل الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه انتهى

قال الراجز في معنى ذكر كيف تجتلب اذكار بفهم . وانى تنشر فتنشر مع عيبهم .
ومتى اصغى وقد بغشب . وانى حررضي خطئه خشف ثم انشد لسده

جزيت من اعلقني وده جزاء من بنى على اسه
وكلفا الخل فما كلفه على وكاء الخليل او نحسه
ولم اخس لك ونشر الوري يبوء به اخسر من مسيره
وكل من طالب عشر جنين بمال الاجنى غير نفسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني بصفقة المغبون في حسه — المغبون
ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني اصدق الود على لبسه — خالف
وما درى من جهله انني افضي عن الذكر من جنسه
بل هجر من استغلني هجر القلى وبعد كل المحدودين رمسه
والفيني في وصله لبسه للبس من يرغب عن لبسه
ولا تخج الود منى بذي اني كمحتاج الى قبسه

الحمد لله وحده السعد والملك من سراج الملوك و الثاني
وكله ملك صحيح لسيدي [redacted]
خار الله له دنيا
واخرى ولحباب
به والاحبة
وجميع
احبته
دامت
دامت
دامت بالرب العالمين

[redacted]
العمري
العلمي العلماء
له دنيا واخرى

مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات
الرقم: ٥٠٩٤ ف ٣/١١٢٠
العنوان: سراج الملوك
المؤلف: محمد بن الوليد الطرطوشي
تاريخ النسخ: ٩٤٠ هـ
اسم الناسخ: علي بن احمد بن علي بن ... محمد الجنابري
عدد الأوراق:
ملاحظات:

Copyright © King Saud University

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

السفر الأول من سراج المريدين

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال
خالق الأعيان والآثار ومكور الليل على النهار والنهار
على الليل العالم بالخفيات وما ينطوي عليه الأرضون و
السماوات سواء عنده الجهر والإسرار من هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير خلق الخلق بقدرته وأحكمهم بعلمه وخصصهم
بمشيئته ودبرهم بحكمته لم يكن له في خلقه معين
ولا في تدبيرهم مشير ولا ظهير وكيف يستعين من لم يزل
بمن لم يكن أو يستظهر من تقدس عن الزوال بمن خلق
تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العجز
لعجزهم عن إدراكه إدراكا لهم ومعرفة اعترافهم بتقصيرهم
بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما جعل إقرار المقر من
بوقوف عقولهم عن الإحاطة بحقيقة إيمانهم لا تلزمه كم
ولا يجاوزه أين ولا تلاصقه حيث ولا تحله ما ولا تعده كم
ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا تناله أين ولا تظله فوق
ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا تزاحمه عند ولا تأخذه خلف
ولا تحده أمام ولا يظهره قبل ولم تفته بعد ولم تجمعه كل

ولم توجده

ولم توجده كان ولم تفقده ليس ووصفه لا صفة له وكونه
لا أمد له ولا تخالطه الأشكال والصور ولا تغيره الأيام والغير
لا تجوز عليه المماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة
والمفارقة فإن قلت لم يكن في سبق تعاليه ومن كان مع
معلول لا كان يعد علة تمازجه في الوجود وهو قبل جميع الأ
غيار بل لا علة لجميع أفعاله بقدرته البديعة في الأشياء بالامتزاج
وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
لصنعه فإن قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده فمن الذي
أين من لم يفقد وجوده الذي أين هو بعد خلق المكان غني بنفسه
كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل فيما منه بدا أو يعود إليه ما
هو أنشأ وإن قلت ما هو فلا ماهية له وما موضوعة للسؤال
عن الجنس والـ[illegible] تعالى لا جنس له لأن الجنس مخصوص بمعنى أهل (والفهيم)
تحت الماهية وإن قلت كم هو فهو واحد في ذاته منفرد في
صفاته وإن قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وإن قلت كيف
هو فمن كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية
جاز عليه التغيير وإن قلت هو فالهاء والواو خلقه بل التزم
الكل الحدث كما قال بعض الأشياخ إن الفهم له فانع بالبحث
بحسن ظهوره فما تعرض ينزهه والذي بلا ذات اجتماعه وقف
وقوانا تمسكه والذي يولعه وقفت يعرفه وقفت والذي يفهمه
غيره فالضرورة تفهمه والذي الوهم يخطر به فالتصور ينفي
إليه ومن أواه محل الحركة أين ومن كان له جنس كانت له كيف

وجوده لا اثباته ومعرفة توحيده، وتوحيده لا تعريه
من خلقه بما تصوره الاوهام فهو بخلاف ما تمثله
العيون، ولا تغشاه الظنون، ولا تتصوره الاوهام
ولا تحيط به الافهام، ولا تبقى رفقه الانام، ولا يحويه
مكان، ولا يفارقه زمان، ولا يحصره امد، ولا يشفعه ولد،
ولا يجمعه عدد، قربه كرامته وبعده اهانته، علوه
من غير توقل، ومجيئه من غير تنقل، هو الاول والاخر والدائم
والظاهر والباطن، القريب البعيد ليس كمثله شيء،
وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوح
دانية وبما يشهد به لنفسه من الاسماء الحسنى
والصفات العلى والنعوت الاوفى لا اله الا العلي وانا من تبارك
الله رب العالمين وامن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون واشهد ان محمدا
عبده ورسوله المصطفى وامينه المرتضى ارسله الى كافة
الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى
الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين واصحابه المنتجبين
اما بعد فاني لما نظرت في سائر الامم الماضية والملوك
الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه
من القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين احكاما
وسياسات، فاما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال
والحرام والبيوع والانكحة والاجارات والصلاة ونحوها والرسوم

الموضوعة

الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شيئا منها
فامر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شيء منه برهان
ولا انزل الله به من سلطان ولا اخذوه عن نبي يبروه الا تبعوا به
رسولا وانما هو صادر عن خزنة النيران وسدنة بيوت
الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز احد من خلق
الله تعالى ان يضع من تلقاء نفسه مثلها واشباهها واما
السياسات التي وضعوها في الزام تلك الاحكام والذب
عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان
بها وخالفها ففيها اسرار روائع تحكي بسبيغ العدل وحسن
السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم
على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل
وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم كل ذلك قد ساروا
فيه بسيرة جميلة لا تاباها العقول شيئا منها لو كانت الاصول
صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حفظ سيرتهم بمحفظة
الاصول الفلسفية كمن زخرف كنيفا، او بنى على بيت قصرا
منيفا، ولولا ذلك الجملة توحي لغال الناس بالامر جملة
مجتمعة محاسن لا نهوت عليه سيرتهم خاصة من ملوك
الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك في ستة من الامم وهم
العرب والفرس والروم والهند، والسند، والسند هند
فاما ملوك الصين وحكماؤها فلم يبلغ الي اخبارهم
من كيفية سياستهم شيء لبعد الشقة وطول المسافة واما

Copyright © King Saud University

من عادة هؤلاء من الامم ولم يكونوا اهل حكم بارعة ولا
ناقدة واهل اثار باقية وانما صدر عنهم الشيء اليسير من
الحكمة يتضمنه ما اثبت في كتبهم من الحكم البالغة والسير
المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريفة انما الوقعة والتنو
قيع الجميل والامر النبيل الذي ما زوّنته وجمعته من سيرة الانبياء
صلى الله عليهم وفي اثار الاولياء ومن امثلة العلماء وحكمة
الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز
الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات
ومغاص الجواهر المكنونات لا اختص بلغة دالة واشارة
خفية والالفاظ في الفاظ بارعة وايات معجزة وهو
اشفاء من الضلالة والغواء فهما سر الله نبيا وقضا بالاخر
وتبيينه ترتيبا انيقا وترجمته تراجم بارعة حاوية لمعا
صدها وناطقة بحكمها ومضمونها فيعجب الراوي من غير ادراك
وتتوقع النفوس من غير ان تستميل الالفاظ فوائد معانيها ا
ليدرك الفاظها الى السمع باسرع من معانيها الى القلب فانتظم
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه واحسانه غاية في بابه غريبا في
فنونه واسبابه حقيق المحصل كثير الفائدة لم تسبق الى مثله
اقلام العلماء ولا جالت به افكار الفضلاء ولا حوته خزائن
الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا
استجلبه ولا رئيس الا استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل
به من الملوك واهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من اولي الامرة

والسياسة

والسياسة وجمال لمن تحلى به من اهل الادب والمحاضرة
وعنوان لمن فاوض به من اهل الفصاحة واللغة اكرمه
وصحيفة من اراد من الملوك ان يستغني الحكيم بعدا رشيده
عن مباحثة الحكماء والخليفة عن مشاورة الوزراء واعلموا
وفقكم الله ان من اهديت اليه الحكم واوصلت اليه
النصائح وحملت اليه العلوم من اتاه الله سلطانا فتنفذ فيه
في الخلق حكمه وجاز عليهم قوله فان الحكم عصمة الملوك
والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم
ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذاية ويعطفهم على الرعية
فمن حقهم ان يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستنبطوا
اهله وما توفيقنا الا بالله وهذه ابواب الكتاب وجعلتها
اربع وستون بابا الباب الاول في مراعاة الملوك
الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين
الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة
الباب الرابع في خرقة ملك سليمان بن داود عليهما
السلام ووجه طلبه للملك وسؤاله ان لا ينبغي لاحد بعده
الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون
غير غابن ومفلس غير رابح الباب السابع في ان الحكمة
في كون السلطان في الارض الباب الثامن في منافع الس
السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة

Copyright © King Saud University

السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة
خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول
الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي
قواعد السلطان الباب الثاني عشر في معرفة
الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت
سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفا
ت التي زعم الحكماء انها لا تدوم معها مملكة في
الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان
الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي هي
ملاك امور السلطان الباب السادس عشر في معرفة
خير السلطان وشره الباب السابع عشر في معرفة خير
السلطان وشره الباب الثامن عشر في معرفة منزلة
السلطان من الغير الباب التاسع عشر في معرفة
خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة
الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعـ
والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب
الثاني والعشرون في وصية امير المومنين علي بن ابي طالب
لكميل بن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون
في معرفة العقل والدهاء والخب والمكر الباب الرابع
والعشرون في الوزراء وصفاتهم الباب الخامس والعـ
والعشرون في الجلساء وادابهم الباب السادس والعـ
والعشرون

الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي هي بعز السلطان
الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي صلاح امور السلطان

والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان
الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة
الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود
عواقبه الباب التاسع والعشرون فيما يسكن به الغضب
الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب
الحادي والثلاثون في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما
الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجميل عواقبه
الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه
الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي بمنزلة
الخصال الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي
يصلح عليها الامير والمامور وتسهل عليها صحبة ذوي
الخلاف اجمعين الباب السادس والثلاثون في معرفة
الخصلة التي هي كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة
القلوب وطيب النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة
الخصلة التي هي مبهجة الملوك عند الشدائد ومعقل السلا
طين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال الباب
الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لحب الرعية
للسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان
الجائر والعامل الباب الاربعون فيما يجب على الرعية
اذا جار السلطان الباب الحادي والاربعون في كفا
تكون يولى عليكم الباب الثاني والاربعون في بيان الـ

غاية

ن

عن قلم الحبيب محمود الدين

الخصلة التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والاربعون
فيما يلزم السلطان من الرعية الباب الرابع والاربعون
في التحذير من صحبة السلطان الباب الخامس والاربعون في صحبة
السلطان مع الجند الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان
مع الجند في بيت المال الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان
في استجباء الخراج والاموال الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطا
ن في الانفاق من بيت المال الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطا
ن في الانفاق ومن بيت المال وسيرة العمال الباب الخمسون في سيرة السل
السلطان في تدبير الدواوين وفروض الارزاق وسيرة العمال
الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة الباب الثاني
والخمسون في بيان الصفة المعتبرة في الولايات الباب الثالث
والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال
الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعا
ت الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق وحسن عواقبه
الباب السادس والخمسون في الظلم وشومه وسوء عواقبه
الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما
الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع
والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة
وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدبيرها الباب
الثاني والستون في القضاء والقدر واحكامهما الباب الثالث
والستون في الجامع الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة

الباب الاول

الباب الاول في مواعظ الملوك لقوله من كان حظه من
الله تعالى الدنيا اعلم ايها العاقل وكلنا ذلك الرجل ان عقول
الملوك وان كانت كبيرة مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعي من
الموعظة ما ينتج عن تلك الافكار ويتغلغل في مكامن تلك الاسرار
فيرفع تلك الاستار ويجلي تلك الاكنة والاقفال ويصقل تلك الصدا
والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله جميع الدنيا
بانه متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك الا قليلا ثم ان ذلك القليل
ان تمتعت به وثم نعت الله تعالى فهو لهو ولعب قال الله تعالى انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو ثم قال عز من قائل وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايها العاقل لعبا قليلا بحياة الابد حياة
لا تفنى وشبابا لا يبلى كما قال الفضيل لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكا
نت الاخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف
وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تأمل بعقلك هل اتاك الله من الدنيا
ما اتى سليمان بن داود عليهما السلام حيث اتاه جميع ملك الدنيا
والجن والانس والطير والوحش والريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
يعني حيث اراد ثم زاده ما هو اعظم منها فقال له هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها
ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل
ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر ان يقول له ربه
تعالى في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ثم خاف
سليمان ان يكون استدراجا حيث كان يعلم هذا وقد قال الله ولسائر

لأهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال
وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ثم ارجع
بعقلك إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء وإلى ما سمعته الذي ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله
على محمد صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد إن الله تعالى يقول
لك عش ما شئت فإنك ميت وأحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما
شئت فإنك مجزي به فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الكلمات
من سرعة الموت وفراق الأحبة والجزاء على الأعمال فلو لم ينزل
من السماء غيرها لكانت كافية انظر بعقلك إلى ما رواه الحسن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمنزل قوم قد ارتحلوا منه
وإذا الحمار مطروح فقال أترون هذا هان على أهله فقالوا من هوانه
نبذه عليهم [illegible] فقال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من
هذا على أهله فجعل الدنيا أهون على الله من الجيفة المطروحة
وقال أبو هريرة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا
جميعا بما فيها فقلت بلى فأخذ بيدي وأتى بي إلى واد من أودية المدينة
فإذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام
البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتأمل
أملكم ثم هي اليوم تصير عظاما بلا جلد ثم هي صائرة
رمادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها
وقذفوها في بطونهم وأصبحت والناس يتحامونها وهذه

الخرق

الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفقها
وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها
أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا وقال ابن عمر أخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعض جسدي فقال يا عبد الله كن في الدنيا كأنك
غريب أو كعابر سبيل واعدد نفسك في الموتى يا أيها الرجل إن كنت
لا تدري متى يفجأك الأجل فلا تغتر بطول الأمل فإنه يقسي القلوب
ويفسد العمل فقد عتب الله تعالى أقواما مد لهم في الأجل فقست
قلوبهم فطال عليهم الأمد فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون ۝ وأنشدوا في المعنى ۝
أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ۝ ولم تخف سوء ما يأتي به
القدر ۝ وسالمتك الليالي فاغتررت بها ۝ وعند صفو الليالي يحدث
الكدر ۝ فيا أيها الرجل أتراني سمعت وأوعيت فإن كنت لا تدري
فإن كنت لا تدري ما الموت فاعلم أنه لا ينفعك الآخرة هي أين آدم
عليه السلام أبو الأنام وليس الآخرين أين نوح عليه السلام شيخ المرسلين
أين إدريس عليه السلام رفيع رب العالمين أين إبراهيم عليه
السلام خليل الرحمان أين موسى عليه السلام روح الله وكلمته رأس
الزاهدين وإمام السائحين أين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
أين أصحابه المنتخبون الأبرار أين الأمم الماضية أين الملوك السالفة

خ
وأوعى
كليم الرحمن أين عيسى عليه السلام روح الله وكلمته رأس

الخالية

أين القرون الخالية أين الذين من نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين
اعتزوا بالجنود والسلطان أين أصحاب السطوة والولايات أين الذين
أين الذين خفقت على رؤوسهم الألوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش
والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا
النصر في مواطن الحروب والمهالك أين الذين رجفت لهم المشارق والمغارب
والمغارب أين الذين تمتعوا في اللذات والمشارب أين الذين من تأهبوا
عن الخلائق كبرا وعتيا أين الذين من أحوالهم العز بكرة وعشيا أين الذين
استلانوا الفلاحين أثاثا ورئيا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن
أحسن أثاثا ورئيا أين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين
فرشوا القصور خزا وعزا أين الذين تضعضعت لهم الأرض هيبة
وهزا أين الذين استولوا قهرا ولذا هل تحس منهم من أحد أو تسمع
لهم ركزا أفناهم مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة
القصور وأسكنهم في ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا
لا ترى إلا مساكنهم فعاثت الدود في أجسادهم واتخذت مقيلا في أ
أبدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الأفواه بالدود
وتساقطت الأعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت
البكور فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا أسلمهم
الأحبة والأولياء وهجرهم الإخوان والأصدقاء ونسيهم الغرباء والبعداء
فأمسيت ولو نطقت لأنشدت قولنا في تشكار الثرى ::
:: مقيم بالقبور رهين رمس :: وأهلي في الحبور بكل واد ::
:: تعوجوا أم السلام إذا رأيتم :: فأموا بالسلام على بعاد ::

فإن كان الغداة وصافي خليل :: سواها فاذكروا صفو الوداد في
وقل له الخل ما كان من خليل :: وأخره إلى يوم التناد
فلوا نابه وفقكم وجمعنا :: سفينة الترب من سحق الفؤاد
وقال مكرم بن يوسف العابد أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني
إسرائيل قل للذين يفتون على العباد والمحصور بلغهم عني حرفين لا تأكلوا
إلا طيبا ولا تسلكوا إلا بالحق وقال دخل يزيد الرقاشي على عمر بن
عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال اعلم يا أمير المؤمنين أنك أول خليفة
تموت فبكى عمر فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم
إلا أب واحد ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس
بين الجنة والنار منزل وسقط مغشيا عليه يا أيها الرجل لا تغفلن مغشيا
عن قولك ما تستفيد من حطام الدنيا وتقضي الميعاد وذهاب اللذات
وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وإن الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولها يعادي
من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له من صح فيها سقم ومن سلم
فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب
وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد
عنها أتته ومن نظر إليها أعمته ومن نظر فيها بصرته لا خيرها
يدوم ولا شرها يبقى ولا بها المخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخدعن
كما خدع من كان قبلك فإن الذي أصبحت فيه من النعم إنما صارت إليك
إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك فلو بقيت
الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للأول لم تنتقل إلى الآخر

Copyright © King Saud University

يا ايها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلم عليك من
غلافة والغيث ليلا مغالبوها واولاد كيدها ثم كنت بعد الموت
ما كان لك ان تتهنا بعيش ولا تفرح فيها بزوال ولا غنى فيها لا يبقى ولهذا
الدنيا الا كما قال ابو رودة تغلي وكيف يفلح وكما قال الشاعر

ولقد سالت الدار عن اخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبد
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... اموالهم ونوالهم كل عندي

ولقد اصاب ابن السماك لما قال له الرشيد عظني وبيده شربة
ماء فقال يا امير المومنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة اكنت
تفديها بملكك قال نعم فقال يا امير المومنين فلو حبس عنك اخراجها
اكنت تفديها بملكك قال نعم فقال فما خير ملك لا يساوي شربة
ولا بولة يا ايها الشاب لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشباب كم
جدث في القبور ولا يدري وكم يجعل في التراب وهو لا يحيى قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاسقف قد اسلم عظني قال يا امير
المومنين ان كان الله تعالى عليك معرضا فمن ترجو قال احسنت بزدني فقال
ان كان الله تعالى معك فمن تخاف قال احسنت بزدني فقال احسب ان
الله تعالى قد غفر ذنوب الذين يسرقون بانهم ثواب المحسنين قال
حسبي حسبي وبكى بكاء اربعين صباحا قال الحسين قدم
صعصعة بن عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه
يقرا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال
حسبي لا ابالي ان لا اسمع اية غيرها وقال سليمان بن عبد الملك لابي حازم
الطويل عظني قال ان كنت عصيت الله تعالى تظن انه يراك فلقد

اجترأت

فلقد

اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت
برب كريم وكتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى سلمان
رحمه الله انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض
عنها وما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما
تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما
اطمان الى سرور اشخص منها الى مكروه وقال ابو العتاهية

هي الدار دار الاذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول الحياة ... وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

ولقد بلغ من ذم الدنيا افضل ما سمعت اليه فقد ورفت اليه امه
امينة ونصها وقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا
انه عديم وملك لولا انه هالك وغنى لولا انه فتنة وحسن لولا انه
ذميم ومحمود لولا انه مفقود ومثال لولا انه عل وارتفاع لولا
انه اتضاع وعلا لولا انه بلاء وحسن لولا انه حزن وهو يوم لولا
وثوله بعد يا ايها الرجل لا تكن كالنحل يرسل ما فيه ويمسك
الحثالة واعلم انه من قسا قلبه لا يقبل الموعظة وكثرة ذنوبه
قال الله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة او اشد قسوة وكذا كثرة الذنوب مانعة من قبول
الموعظة وولوج المواعظ فيها قال الله تعالى كلا بل ران على

فلو نفعهم ما كانوا يكسبون إذ غطى عليها وغشيها فلا تقبل خيرا
ولا تنصح لموعظة جاء في التفسير إذا أذنب العبد نكتت في قلبه
نكتة سوداء حتى يسود القلب وقال حذيفة القلب كالكف فإ
فإذا أذنب العبد انقبض وقبض إصبعا فإذا أذنب انقبض وقبض إ
إصبعا أخرى ثم كذلك الثالث والرابع حتى ينقبض الكف كله ثم
يطبع عليه فذلك الران وقال بكر بن عبد الله إذا أذنب العبد
صار في قلبه كوخز الإبرة ثم كلما أذنب صار فيه كوخز الإبر حتى يعود
القلب كالمنخل وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب
وقال ابن مسعود إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام وإذا
كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة وقيل فيه
إذا فسد القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر
ويروى أن أبا العتاهية مر بدكان الوراق فإذا كتب فيه بيت من الشعر
وهو: لن ترجع الأنفس عن غيها :. ما لم يكن منها لها زاجر
فقال لمن هذا فقيل لأبي نواس فقال وددت أنه لي بنصف شعري قال رما
صعغي أن النعمان بن امرئ القيس الذي بنى الخورنق أشرف على الخو
رنق يوما فأعجبه ما أوتي من الملك والسعة من الدنيا ونفوذ الأمر وإ
وإقبال الوجوه عليه فقال لأصحابه هل أوتي أحد مثل ما أوتيت فقال
له حكيم من حكمائه أهذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولا يزول أم شيء
كان لمن كان قبلك زال عنه وصار إليك قال بل شيء كان لمن كان قبلي زال عنه
وصار إلي وسيزول عني قال فسررت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تباعته
عليك قال فأين المهرب قال إما أن تقيم وتعمل بطاعة الله تعالى وإما

وتلبس

وتلبس أمساحا وتلحق بجبل تعبد فيه ربك وتفر من الناس حتى يأتيك
الموت قال فإذا فعلت ذلك فما لي قال حياة لا تموت وشباب لا يهرم و
صحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى قال فأي خير فيما يفنى والله لأطلبن
عيشا لا يزول أبدا فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسار في الأرض
وتبعه الحكيم وجعلا يسيحان ويعبدان حتى ماتا وفيه يقول عدي
ابن زيد:

وتبين رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبطة حي إلى الممات يصير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
لم يجده ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

وفيهم يقول الأسود بن يعفر

ولقد علمت سوى الذي نبأتني أن السبيل سبيل ذي الأعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير إلى بلى ونفاد

وقال وهب بن منبه أصيب على غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأ

بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الجلة مكتوب بالقلم
المسند فترجم بالعربية فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم ... فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قرئ على القاضي ابن الربيع رحمه الله وأنا أسمع لبعض الشعراء

ويحك يا أسماء ما شأني ... كأن عقلي عقل نشوان
الموت حق وأعلمي نازل ... فيمن سرى بعدي وأكفان
قد كنت ذا مال وأولادي ... أعطاني المال وأغناني
ما قرت العين به ساعة ... إلا تذكرت بأشجان
علمي بأني صائر للبلى ... وبافتقاد أهلي وجيران
وتاركا مالي على حاله ... نهبا لشيطان من شيطان
أما ترى بني والهوى قد أتى ... أجمع المال لأختان
لزوجة أنثى ولزوج ابنتي ... بالأمر غنم وخسران
وثالث أغنيه من ذا وذا ... ينعم فيه زوجة الثاني
يسعد بمالي وأشقى به ... قوم ذوو غل وشنآن
إن أحسنوا كان لهم أجره ... وخف مني لي ميزان

ومما نشبه من أبناء الملوك في عيب الدنيا وفناها وتقضيها

وزوالها

طرخ

اللهم صل على الحبيب

١٥

وزوالها إبراهيم بن أدهم بن منصور من أبناء ملوك خراسان من كورة
بلخ وكان زهده أنه بينا زهد عرفها فيه يروى إلى إبراهيم بن بشار
سألت إبراهيم بن أدهم كيف كان بدو أمرك حتى صرت إلى هذا
قال غير هذا أولى بك فقلت يرحمك الله لعل الله ينفعني به يوما
ثم سألته ثانية فقال اشتغل بالله سبحانه ثم سألته ثالثة
فقلت أرأيت يرحمك الله إن أخبرتني لعل الله ينفعني به فقال
كان أبي من ملوك خراسان وكان من الأغنياء وكان حبب إلي
الصيد فبينا أنا راكب فرسا وكلبي معي فأثرت ثعلبا أو أرنبا
فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي يا إبراهيم ليس لهذا
خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت
في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من الأول
يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت فنظرت
انظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت
فرسي فسمعت من قربوس سرجي يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا
بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين
والله لا عصيت ربي بعد يومي هذا فتوجهت إلى أهلي وخليت فرسي — ما عصيت
وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه وألقيت إليه
ثيابي فلم تزل أرض ترفعني وأرض تضعني حتى صرت إلى العراق
فعملت بها أياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض
المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت إلى مدينة
يقال لها المنصورة وهي المصيصة فعملت بها أياما فلم

Copyright © King Saud University

يصيب شيئا من الحلال فسألنا بعض المشايخ فقال ان
اردت الحلال فعليك بطرسوس فان العباد هناك يحلون العمل
كثيرا قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل كبير
فاستاجرني ان انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان
اياما كثيرة فاذا الخادم قد اقبل ومعه اصحابه ولو علمت
ان البستان للخادم ما نظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناظورنا
فاجبته فقال اذهب فأتنا برمان الكبار وما تقدر عليه واطيبه
فاتيته برمان فاخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة
فقال يا ناظورنا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل
فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما
اكلت من فاكهتكم شيئا ولا اعرف الحلو من الحامض فقال الخادم
لاصحابه الا تعجبوا من هذا ثم قال لو كنت ابراهيم بن
ادهم ما زاد على هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد
بالصفة فجاء الناس عندنا الى البستان فلما رأيت كثرة
الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابراهيم
بن ادهم ياكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل
في الطين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا
العنب فقال ما امرني به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط وطأطأ
راسه وقال اضرب راسا طالما عصى الله فاعجز [?] الرجل
ومضى وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن ادهم
فمرضت فانفق علي نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره

وانفق

١٦

وانفق علي فلما تماثلت قلت اين الحمار يا ابراهيم فقال بعناه
قلت فعلى ماذا اركب قال يا اخي اركب على عنقي فحملني ثلاثة
منازل وانشدوا

ايها العراف في بيداء الهوى ... طامح موجه فلا تامننها [?]
وسبيل النجاة فيها مبين ... وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بلد [illegible] يوما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد
بشر من صغير وكبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض
مائة سنة من يوم مشهود فاذا اجتمع الخلائق في صعيد واحد نادى
صاحب المملكة لا يصعد هذا الحجر المنصوب الا من حضر [?] منادي
المجتمع الذي قبله من مائة سنة فربما جاء الشيخ الهرم الذي قد
ذهبت قوته وعمي بصره وفني شبابه او يجيء العجوز [illegible]
[illegible] وقد احنى الدهر عليها [illegible] واحد او اثنان
[illegible] فيصعد من بقي على الحجر ويقول الشيخ [illegible] الجمع
[illegible] مائة سنة وانا طفل صغير وكان [illegible] فلانا وفلانا [illegible]
[illegible] وكيف [illegible] البلاد [illegible]
[illegible] فيعظ الناس ويذكرهم [illegible]
[illegible] ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون
النفقات ويطلبون [illegible] وقال وهب من منبه صحب رجل
بعض الرهبان سبعة ايام يستفيد منه شيئا فوجده مشغولا
عن ذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع
ثم قال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس كل خطيئة

جامعة الملك سعود قسم المخطوطات عمادة شئون المكتبات
Copyright © King Saud University

والزهد فيها راس كل خير والتوفيق تاج كل خير فاحذروا راس كل
خطيئة وارغبوا في راس كل خير وتضرعوا الى ربكم بان يهب لكم تاج
كل خير قال كعب اعرف ذلك قال كان حكيم رجل من الحكماء فشبه
الدنيا بسبعة اشياء شبهها بماء الملح يغر ولا يروي وبالصبغة
تغر ولا تنفع وبظل الغمام يغر ويخلف وبزهر الربيع ينضر ثم ييبس
فتراه هشيما وبالاحلام يراها النائم يرى السرور فيها فاذا انتبه
لم يجد شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل
فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا ف
شبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرا
يت حبرا في المنام فقال يا بني انت مني وانا منك هي والله كالغو
ل التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها قلت باي شيء
يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالفكر
والفكر بالعبر ثم وقف الراهب فقال خذها منا والا ارادك خليقا الا
تنتجوا الفعل دون قول وكان ذلك اخر العهد به قلت فقد وصف
الله تعالى الدنيا واهلها بصفة اعم من هذه الصفات فقال اعلموا
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الام
وال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان هاهنا
الزرع يكون اولا نبتا اخضر ناعما اهتزت به الارض بعد يبسها فجا
ذب في الشجر كاحسن ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا ويكبر ويشتد فيحصد
ويعزز ويكسر اعلاه ثم يدرس فيكون حطاما في تبنا مكسرا متقطعا

وهذا مثل

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبني ادم انه كانوا اطفالا اول الولادة
في حال الطفولية فيكونون في احسن من اي يعجبون الاباء ويعشقون ذوي
الاحلام والنهى ثم يكبرون ويصيرون شيوخا منكسة رؤوسهم معوسة
ظهورهم قد ذهب حسنهم ونعوتهم وفني شبابهم وجمالهم وذ
هبت نضارتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم والبؤس ثم يموتون
فيصيرون حطاما في القبور كما يشير في الحرس هذا بعد ما وصفها الله تعالى
بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر وكان
يعني [illegible] الصدر الاول يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما قبيحا لسموها
به وكانوا يسمونها ام دفر والدفر النتن وقال مالك بن دينار بلغني
ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فنشر له الناس
ينظرون اليه افواجا حتى مر برجل يعمل شيئا منكبا عليه ولا يلتفت
اليه ولا يرفع راسه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون
الي الا انت فقال الرجل اني رايت ملكا مثلك وكان على هذه القرية مات
هو ومسكين في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا باجسا
دهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت
وكشفت عظامهما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك من
المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت النظر اليك وروي ان
داود عليه السلام بينا هو يسيح في الجبال اذ وافى على غار فنظر
حجر مكتوب فاذا فيه رجل وهو خلق عظيم من بني ادم واذا عند راسه مكتوب
بكتاب مجموع يقول فيه انا ذو شيم الملك ملكت الف عام وفتحت
الف مدينة وهزمت الف جيش وافتضضت الف بكر من بنات الملوك

ثم صح اني ما ترى قطار التراب من الثرى والحجر وشادي وعمرا
دوانه فلا تغره الدنيا كما غرتني. وقال وهب بن منبه خرج عيسى
عليه السلام ذات يوم مع اصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع
قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن
لهم في قوتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون
فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وارضي ور
ورثتها عن ابائي باذن من تأكلون يا هؤلاء. قال فدعا عيسى
عليه السلام ربه تعالى فبعث الله سبحانه جميع من ملك تلك الارض
من لدن آدم عليه السلام الى ساعته فاذا عند كل سنبلة او ما
شاء الله رجل او امرأة كلهم ينادي زرعي وارضي ورثته
عن ابائي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه
السلام وهو لا يعرفه فقال معذرة اليك يا رسول
الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه
السلام فقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض
وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس
لك ارض ولا مال. وقال ابو العتاهية

معجزة عيسى

وعظتك اجداث صمت ... ونعتك ألسنة خفت
وتكلمت عن اوجه تبلى ... وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبور ... وانت حي لم تمت
يا شامتا بمصيبتي ... ان المصيبة لم تفت
ولربما انقلب الشمات ... فحل بالقوم الشمت

وروي

١٨

وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه خرج الى قبر فاطمة
رضي الله عنها مسلما عليها فبكى حتى رثا لها ثم قال
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وان الذي دون الممات قليل
ارى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على ان لا يدوم خليل
وقال رضوان الله تعالى عليه
الا ايها الموت الذي ليس تاركي ... ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيرا بالذين احبهم ... كأنك تنحو نحوهم بدليل
ولما نفض يده من تراب قبرها تمثل يقول رحمه
اقول وقد فاضت دموعي بجمعها ... ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحمام اصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب
وقال بعضهم رحمه الله
وما غنا الحذار والاشفاق ... وتشابيب دمعة المهراق
فلنا للفرقة من الليل قلق ... سوف انتاجه على الافاق
انقيا ما بقينا ويبين رمي ... بين شخصيهما بسهم الفراق
غير من هي ان يعوق الحبائل ... وعداها فلا يد الاعناق
كم صفيين متعا باجتماع ... ثم صارا لغيبة وافتراق
كان يوم البقاء للخلق الا ... يكن دام البقاء للخلاق
وانشد بعض الادباء رحمه الله تعالى
اسعداني يا نخلتي حلوان ... وارثيا لي من ريب هذا الزمان
واعلما ان بقيتما ان نحسا ... سوف يلقاكما فتفترقان

Copyright © King Saud University

ونقاما ت الاسكندر قال رسطاطاليس ايها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من اكابر الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس نظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

ووجد على قبر مكتوب

فقد فقرنا بعزنا من قبلنا ... ثم صرنا للناظرين اعتبارا

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى

نسير الى الآجال في كل ساعة ... وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كأنه ... اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب في الراس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك ايام تعد قلائل

ولما دخل ابو الدرداء الشام قال يا اهل الشام قال اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان من كان قبلكم بنوا مشيدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وروي ان الحافظ قال وجد مكتوب في حجر يا ابن آدم لو رايت يسير ما بقي من اجلك لزهدت في طول ما ترجو من املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك

وانما يلقاك غدا قدمك وانصرف عنك اهلك وحشمك وتبرا منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا انت في عملك زائد ولا الى اهلك عائد وقال الامير ابو بكر بلغني ان امرا تين اتتا عيسى ابن مريم عليهما السلام فقالتا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج ابانا لنا فانه هلك ونحن غائبتان عنه فقال تعرفان قبره قالتا نعم فذهب معهما فاتتا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله سبحانه فاخرج فاذا هو ليس به فدعا قبرا ثم دلتاه على قبر آخر فدعا ان يخرج فاذا هو قائم فالتزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبي الله يا معلم الخير ادع الله تعالى ان يبقيه معنا قال وكيف ادعو ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وانشد بعض الادباء

واستعبدتني من قواق قوم ... هم القطا بيض والحصون
والعز والعيد والزواله ... والامر والخفض والسكون
لم تنقض بنا الليالي ... حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

وروي ان النعمان بن المنذر خرج متنصرا ومعه عدي بن زيد فمروا بشجرة فقال عدي ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رآنا فليحدث نفسه ... انه موف على قرن الزوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تاتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا ... يمزجون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم ... وجياد الخيل تجري بالجلال

عمروا القوم بعيش حسن امنوا هم بهم غير عجال
عطف الدهر عليهم فتولوا وكذا الدهر حالا بعد حال

قال ثم جاوز الشجرة فمر بالمقبرة فقال له عدي ابن الملك اتدري ما تقول هذه المقبرة فقال لا قال انها تقول

ايها الركب المخبون على الارض المجدونا
كما انتم كذا كنا كما نحن تكونونا

وقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا تتكلما وعلمت انما اردت عظتي فجزاك الله عني خيرا فما السبيل التي تدرك بها النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتنصر يومئذ واخذ في الاجتهاد وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالروثية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة له منظر وهيئة فقال من يبغي خادما ماشيا فيما يقول فقلت دونك هذه القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى اقبل وقد امتلأت اثوابه طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال الكم غيرها فقلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره ثم اعتزل وقعد ياكل اكل جائع فادركتني عليه الرقة فقمت اليه بطعام طيب فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص بموضع فدونك فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما ابالي باي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فما عرف له اثر ولا وقع به على خبر فاعجبني قوله ثم تبعته

اثوابه

وانسته

اللهم صل على

٢٠

وانسته وقلت هل لك ان تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان لي معدا ثم انشا يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ وانه امرت خادما لي ان تحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعلت فبينما انا نايم اذا بقمع وردة قد اغفلته الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال افق من غشيتك وابصر من حيرتك ثم انشا يقول

يا خل انك ان توسد لينا … وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به … فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا مرعوبا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي كما ترى فاعجبني قوله وقال عبد الواحد بن زيد اني خرجت الى الابلة فاذا بامرأة مجنونة تطوف بالجمة فلم ازل اتبعها حتى وجدتها بمقربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من قبل ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك وقالت ما الذي جاء بك هاهنا فقلت جئت لتعظيني فقالت واعجبا للواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله تعالى حلاوة الزهد ويظل حيران والها فان كان له عند الله نصيب عاتبه في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي

بورد

مضجعي

الجندل

فجملت التي عوض من اعراض الدنيا فورثتنا بعزتنا ذلا والوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنا فنحن نرجع الى ما كنا عليه ارجعا
الى ما كنا نعرف من نعيمها قال ثم تركتني وولت عني وانصرفت عن
عنها وبقلبي حسرة منها وانشدوا

انها دار لها مدة * يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطا بها * يقطع فيها امل الآمل
وتعجل الذنب لما تشتهي * وتامل التوبة من قابل
والموت ياتي بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل

ولما نزل سعد بن ابي وقاص الحيرة قيل له ها هنا عجوز من بنات
الملوك فقال ائتوني بها فجيء بها حرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من اجمل عقائل
العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها الف قطيفة
خز وديباج ومعها الف وصيف ووصيفة فارسل اليها فجاءت كالشن
البالي وقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يجبى الينا خراجه
ويطيعنا اهله مدة من الدهر حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت ملأنا
ملكنا والدهر ذو نوائب وصروف فلو رأيتنا ايام ملكنا لارعدت من ابهتنا
فرقا منا فقال لها سعد ما انعم ما تنعمتم به قالت صعدت الدنيا علينا
وكثرت الاصوات اتاه عونا ثم انشأت تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا × تقلب تارات بنا وتصرف تارات
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت بحبرة الا والدهر يعقبهم عبرة حتى
يأتي امر الله على الفريقين فاكرمها سعد وامر بردها فلما ارادت ان

القيام

القيام فقالت يا سعد لا ازال الله عليك نعمة ولا جعل لك الى لئيم
حاجة ولا ازال عن كريم حرمه ولا نزع عن عبد صالح نعمة الا جعلك
سببا الى ردها عليه ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت مدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنة تسعده * يوم القيامة او نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج * وما اقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

وروي ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما
الجوع وقد اتيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق
فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلي
فجاء الرجل بثلاثة ارغفة فابطا عليه انصراف عيسى عليه
السلام فاكل رغيفا فانصرف عيسى عليه السلام فقال اين الرغيف
الثالث فقال ما كانا الا رغيفين فمرا على وجههما
حتى مرا بظباء فدعا عيسى عليه السلام ظبيا فذبحه فاكلا منه
ثم قال عيسى عليه السلام قم باذن الله انه يحيي الموتى فاذا
هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي
اراك هذه الاية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فمضيا
على وجههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام
بيده فمشيا به على الماء حتى جاوزا الماء فقال الرجل سبحان الله
فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الاية من صاحب الرغيف
قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب

Copyright © King Saud University

منها لبنة من ذهب ثلاث فقال الرجل هذا المال فقال عيسى عليه
السلام اجعل هذا المال اجعل واحدة لك وواحدة لي وواحدة
لصاحب الرغيف فقال الرجل انا صاحب الرغيف فقال عيسى
عليه السلام هي لك كلها وفارقه فاقام هو عليها ليس معه من
يحملها عليه فمر به ثلاث نفر فقتلوه واخذوا اللبن فقال اثنان
منهم لواحد منهم انطلق الى القرية ايتنا بطعام فذهب وقال
احد الباقين للآخر تعال نقتل هذا اذا جاء ونقسم المال بيننا
قال الآخر نعم وقال ايضا الذي جاء في نفسه اجعل في الطعام سما
فاقتلهما واخذ المال كله ففعل فلما جاء قتلاه واكلا
الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم اربعة حولها
مصروعون فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها وقال عبد الملك
ابن عمير رايت في هذا القصر عجبا رايت راس الحسين بن علي رضوان الله
عليهما على ترس مصبوب بين يدي زياد ثم راس ابن زياد بين يدي المختار
المختار ثم رايت راس المختار بين يدي مصعب ثم رايت راس مصعب ابن
الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان وقال ابن صعصعة زخرف الرشيد
مجلسه ونجد فيها وزينها وصنع فيها طعاما كثيرا وارسل الى ابي
العتاهية وقال صف لي ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك آمنا — في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت — لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت — في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا — ما كنت الا في غرور

فبكى

اللهم صل على

فبكى هارون الرشيد عند ذلك حتى كادت تفيض نفسه وحتى رحمه
من كان حوله فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين
لتسره فاحزنته فقال هارون دعه فانه رآنا في عمى فكره
ان يزيدنا عمى ويروى ان سليمان بن عبد الملك لبس افخر ثيابه
ومس الطيب بعيده ونظر في المرآة فاعجبته نفسه وقال
انا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجارية كيف ترين فقالت

انت نعم المتاع لو كنت تبقى — غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب — عابه الناس غير انك فان

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع من آخر المسجد
فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى ما يسمعه من حوله فصلى
ورجع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية
ما الجارية ما الذي قلت في صحن الدار وانا خارج فقالت ما رايتك
ولا قلت لك شيئا واذن بالخروج الى الجمعة فقال انا لله
وانا اليه راجعون نعتني والله الي نفسي ثم عهد عهده واوصى
وصيته فلم تدر عليه الجمعة الا وهو في قبره ووجد مكتوبا
على باب قصره في بيت

من كان يطأ التراب بنعله — وطئ التراب بصفحة الخد (برجله خ)
من كان بينك في التراب وبينه — شبران كان بموضع البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى — لم يعرف المولى من العبد

وروي ان ابا سليمان رجل بعث بنية قد ملكها بسبعة آلاف دينار
فقال هل تبغي من تحمل لها مثلا الذين ملكوا اهل المدينة اجمع

Copyright © King Saud University

قالوا رجل يكون في المقابر يدعى بذا دال وقال له ما دعاك
الى لزوم المقابر فقال اردت ان اعزل عظام الملوك من عظام
عبيدهم فوجدت ذلك سواء لا تتميز فقيل له هل لك ان تصحبني
فاحييك بشرف ابائك ان كانت لك همة قال ان همتي لعظيمة
ان كانت بغيتي عندك قال ما بغيتك قال حياة لا موت فيها
وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر معه وسرور لا يتبعه مكروه
قال الاسكندر لا اقدر على هذا قال فانصرف لشانك و
خلني اطلب بغيتي ممن هي عنده فقال الاسكندر هذا
احكم من رأيت وقال الهيثم بن عدي وجدوا في راس جبل
لبنان زمن الوليد بن عبد الملك رجلا مسجى على سرير من ذهب
وعند راسه لوح من ذهب مكتوب بالرومية انا سبا بن سماس
[illegible] من السماء [illegible] اقوبان الاكبر
وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا اجلها في كل
ما رأيت اعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع ابائه و
يقف على قبور احبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد
علمت ان الاجال والحياة [illegible]
[illegible] حين ينقضي الزمان وقد امر الصبيان وبقيت الحدثان فمن ادرك هذا
الزمان عاش قليلا ومات ذليلا ويروى في الاسرائيليات ان عيسى
ابن مريم عليه السلام مر في بعض سياحته اذ مر بجمجمة
عظيمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوام
ابن حسن ملك اليمن عشت الف سنة وولدت الف ولد ذكر وا

لزوم

وغنى

بجمجمة

وافتضضت

تجريب القلم تجريب القلم

تجريب القلم تجريب القلم

وافتضضت الف بكر من بنات الملوك وهزمت الف عسكر و
وقتلت الف جبار وفتحت الف مدينة فصرت الى هذه الحالة فلا يغتر احد
بالدنيا فما كانت لاحد تدوم لاحد فبكى عيسى عليه السلام
وجد مكتوب على باب قصر لبعض الملوك بلاد الهند [illegible]
ساحته:
هذي منازل اقوام عهدتهم ... يوفون بالعهد مذ كانوا وما
نقضوا ... تبكي عليهم ديار كان يطربها ... ترنم المجد بين
الحلم والكرم
وقال عبد الله بن [illegible] سرح
نزل حي من العرب شعبا من شعاب اليمن فنشأوا في واد واحد
واختلفوا فيه واشتعلوا القتال فاذا بصائح يصيح بهم لا
على [illegible] عليهم القتال فمن هو الله نحن ملكنا سبعون اعوز كل
اعوز اسمه عمرو فصل يا ايها الرجل اعتبر بمن مضى
من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف مكنت
لهم الدنيا وانسيت لهم الاجال وفسح لهم في المنى وزاملك
وامروا بالاكل والعدة والاموال كيف طحنتهم بكلكلة
المنون واختطفهم بزخرفة الدهر الخئون واسكنوا بعد الحصون
سعة القصور بين الجنادل والصخور وعادت العبر اثرا والملك
خبرا فيا اهل اليوم قد ذهب صفو الزمان وبقي كدره فالموت اليوم
تحفة لكل مسلم كان الغدر اصبح قائما واصبح الشر نائما واصبح
الجود غائبا وكان العقل اصبح مدفونا والجهل منشورا وكان اللوم
اصبح فاشيا والكرم ذاويا وكان الود اصبح مقطوعا والبغضاء

أقوام

موصولة وكان الكرام قد سلبت من الحيرة وترضى بها الاشرار
والفاسقون وكان الحب اصبح مستثقلا والوفاء ناسيا وكان الكذب
اصبح مثمرا والصدق ماحلا وكان الاشياء ان اصبحوا ابتداء امور العماء
واصبح الاخيار في بطن الثرى اما ترى الدنيا تقبل اقبال الطالب
وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول
فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة
ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز
فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك ولا تنافس اهل الدنيا في خفض
عيشهم ولين رياشهم ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء
منقلبهم

وقال الشاعر

رب مغروس يعاش به ... عدمته عين مغترسه
وكذا الدهر ما تمه ... اقرب الاشياء من عكسه

وقال الثقفي

تنافس في الدنيا غرورا وانما ... قصارى غناها ان يؤول الى الفقر
وان الفتى الدنيا كركب سفينة ... تظن وقوفا والزمان بنا يجري
تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا ... وايقن ان الدائرات تدور

وقال وهب بن منبه قرات في بعض كتب الانبياء عليهم السلام
ان تسبيح عبد الصالح اختار بعيرها بلا عكمة تناخ في فلان

لدا العابد

لدا العابد يا روح الله لو سالت الله تعالى ان يستنطق لنا هذه
الجمجمة فعسى تخبرنا بما رات من العجائب فجعل يستعطف
الله فقال يا روح الله عشت الف عام واستولدت الف ولد وركبت
وافتتحت الف مدينة وهزمت العساكر وقتلت الجبابرة وجبت
هذا الدهر واختبرته واختبرت تقلبه وانقلابه فلم ار شيئا اقوى
من طالح في امر صالح ولم ار لهذا الدهر شيئا انفع من الصبر ومسالمة
اهله ولم ار هلاكا لاهله الا في الحرص والطمع ووجدت العزة في الرضى
بالقسم وقال محمد بن العتاهية هذه اخر شعر قاله في مرضه
الذي توفي فيه

الهي لا تعذبني فاني مقر ... بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي ... وعفوك ان عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا ... وانت علي ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها ... عضضت انا ملي وقرعت سني
اجن بزهرة الدنيا جنونا ... واقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميعاد عظيم كاني ... قد دعيت له كان
ولو اني صدقت الزهد فيها ... قلبت لاهلها ظهر المجن

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم وفد عبد القيس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه
يا رسول الله قال لست انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس
ويقول ايها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم
فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات

وكلما هو ات ات، ارى السماء تغيرا وارى الارض تجر امهادا
موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور اقسم قس
بالله قسما حقا لا كذب فيه ولا اثم ولئن كان في الارض رضى ليكونن
سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه ثم قال
ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا
على حال النوم فناموا ثم قال ابيات شعر فانشد

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا للموت ليس لها مصادر — موارداً
ورايت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
سكنوا البيوت فنقلوا الى البيوت حتى المقابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

ثم قال الراوي لقد رايت منه عجبا اقتحمت واديا فاذا انا
ببعير حرانة وروضة مدهامة وشجرة عادية فاذا انا بقس بن ساعدة
في اصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع
كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالقضيب وقال تنح حتى
يشرب الذي ورد قبلك فلما رايت ذلك ذعرت ذعرا شديدا فقال
لا تخف لا تخف فالتفتت فاذا بقبرين بينهما مسجد
فقلت ما هذان القبران فقال هذان قبرا اخوين كانا يعبدان الله
تعالى في هذا الموضع وانا اعبد الله تعالى بينهما حتى الحق بهما
فقلت افلا تلحق بقومك فتكون في خيرهم فقال ثكلتك امك اما — ثكلتك

شملت

عظمت ارام ولد اسماعيل تركتنا في ترابها واتبعت الاضداد
وعظمت الانداد ثم تركني واقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طال ما قد رقدتما اجدكما ما تقضيان كراكما
ارى النوم بين الجلد والعظم منكما كان الذي يسقي العقار سقاكما
الم تعلما اني بسمعان مفرد وما لي فيه من حبيب سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي او يجيب صداكما
ابكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي لوعة ان بكاكما
كان لكما والموت اقرب غاية بروحي في قبريكما قد اتاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي ان تكون فداكما
سلام وتسليم وروح وراحة ومغفرة المولى على سكنيكما

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه يبعث امة وحده يعني
ان كل امة امنت بنبيها تبعث وحدها لا يخلطها غيرها ويبعث ايضا
قس وحده امة ليس معه احد وروى ان المهدي نام يوما فانشد منشد

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات ثواكله

فما اتت عليه عشرة حتى مات رحمه الله. وانشدني القاضي ابو
العباس الجرجاني بالبصرة

بالله ربك كم قصر مررت به قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه فصار من بعده للويل والخرب — عقاب
اجهل بنيك طالبا للزرع دعة فلا وربك ما الارزاق بالطلب

وانشد ... ببغداد

Copyright © King Saud University

أيها الرابع البناء رويدا لن تدوم والمنون عنك المبان
إن هذا البناء يفنى وتفنى كل شيء ابقى من الانسان
وقال الحكيم بن عمرو وقال ابو جعفر المنصور حضر موته القوم ان
كنت تعلم اني ارتكبت الامور العظام جرأة عليك وانا تعلم انه قد
اطعتك في احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا الله منا منك لا منا
عليك وكان سبب خروجه من الحضرة انه كان نظر اعلا الباب فاذا فيه
مكتوب فقال

كأن بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة الى تربة تسفي عليه جنادله
فاستيقظ مرعوبا ثم قام فانشد

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن يجدي عليك او منجم ابا جعفر عند المنية دافع
وقال يا ربيع ابتني بطهور فقام واغتسل وتطهر للحج ثم قال يا ربيع
الغني في حرم الله تعالى وانشد الفاضل ابو العباس الجرجاني بالبصرة
ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها او تحسب ~~العز~~ بالتشييد واللبس
حتى اذا الدهر لا شيء غالبه فانظر الى ملك الاملاك هارون
دم الامور بما عقدته مقاديرها وسخر الناس بالتشييد واللبس
حتى اذا الدهر لا شيء غالبه ومكنت فيه ما له اي نكس
راحت عليه المنايا بروحته زكيا ذا الملك والعز تحت الماء والطين
وانشد ابو محمد التميمي ببغداد
لم انبهم من اسمي العطايا لم استانو الشيء الحجبوا

اذا ما طار

اذا ما طار واخوانه رفاتا وضن لغيرهم قبرا او جبلا
لعلم بن معشار الهم شكول واشكل التي قد اعتنقوا التجودا

ومنهم زهد في الدنيا وبصر بعيوبها ابو علي عقال علوان بن الحسن
من بني الاغلب وهم من ملوك العرب وكان ذا نعمة وملك كانت له فتوة
فتاب الى ربه ورجع عن غيه رجوعا فاق نظراءه فرفض الدنيا واهلها وهجر
النساء واللهو وبلغ من العبادة مبلغا اربى فيه على المجتهدين وعرف
بإجابة الدعوة وكان عالما اذ بدأ فقه صحب عدة من اصحاب سحنون وسمع
منهم ثم انقطع في بعض سواحل البحر فصحب رجلا يكنى ابا هارون رجلا
من الصوفية فنبهه الله تعالى فلم ير منه كبير اجتهاد في العمل فبينا ابو عقال
يتهجد في بعض الليالي وابو هارون نائم ان غلبه النوم فقال لنفسه هذا
ابن حنبل ينام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو ارحت نفسي فوضع
جنبه فرأى في منامه شخصا يتلو عليه ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما
يحكمون فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ ابا هارون وقال له سألتك
بالله هل انت كنت فيه فقال لا يا ابن اخي ولا صحيح عن نعمه والحمد لله فقال ابو
عقال لهذا انت ولا يصلح لمثلي الا الكد والاجتهاد ثم رحل الى مكة
ولزم بيت الله الحرام وحج مرارا وبنى على ... المشرق وكان يعمل بالقربة
يتعلل من لقوته ومات بمكة وهو ما جرى في الحرم في المسجد الحرام
سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصحبه يوما ان لي حاجة
قال بعد الجهد منه اما ان لك شهوة اخبرني بها فقال نعم اشتهي اكل
راس واشتهيت راس شبير ولعلها ... ثم سألته بعد ايام هل

مر ابناء

يتهجد

Copyright © King Saud University

كان له الراسان فقال لها هو الآن فتحتهما فاخذهما من شوارع وجوه
البيض فحصل البنت الا الدود فاتيت الرواس فاخبرته فاطرق متعجبا
ثم قال لا كنت اظن ان احدا في زمننا يحمي عن الحرام هذه الحماية تلك
الرؤوس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم اعطاها الرواسين من
غير تلك الغنم فاتيت بهما ابا عفان فاكلهما فاخبرته بما قال الرواس
فبكى وقال يا بني ما كان يسمى عبد الله ابو عفان مثل هذه الحماية ولا
كنه فضله ذكر مثله بالله يا بني انا اكل طعاما اشتبه حتى الفا الموت
وكانت له اخت متعبدة فعاشت تحفت في بيته فكتبت هذه الابيات
ببابه على قبره

لبث شعري ما النفع فاثبته ... تعزة في الصوم مع نفي الوسن
مع غروب النفس عن اوطانها ... والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيقا ليتني وجدت به ... عللا تقعني من الحزن
وكما تبلي وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وروى ان رجلين تنازعا في ارض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض
فقال اني كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا الف سنة ثم مت وصرت
رميما الف سنة فاخذني خزاف فاتخذني خزفا ثم فخرني لبنا فانا في هذا
الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم تتنازعا في هذه الارض ولبعضهم

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
حنت الليالي بعد ما كنت مدة ... سوى العطا لو كن يغيرن فينا

ومن اعجب ما روي في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك زهدت
في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها وفقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم ل

لها اثر

27

لها اثر وكان هنالك دير للمتعبدين فيه يحمون فتاة متعبدة ما بصروا
له من الجد والاجتهاد ومن كثرة الاوراد ومواصلة الصيام فاقام به
جميع من في الدير فاقام على ذلك ما شاء الله ان افضت ايامه
ووافى حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن له اهل الدير من العباد وا
والزهاد والمنقطعين واذروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله
فاذا هو امراة فحصوا عن بعلها فاذا هو ابنة الملك فزاد هو ذلك
اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا في امره ما يجب له من الكرامة
فاجمعوا امرهم على ان لا يدفنوه تحت الثرى وان يجعلوه فوق الكهف
فغسلوه وكفنوه وجهزوه وصلوا عليه ثم اقبلوا يحملونه على الاكتاف
والسواعد فما بقي احد منهم حتى الاخر بجامع من يحمل وكل من انقطع
في الدير لعبادة ربه جل يحمل معهم الا ان بلغوا تقطعت اوصالهم بطول
الزمان وقع في حينه وكان في بلاد الروم ملك يقال له الاخرس رجل نصراني
قد بلغ من التخلي عن الدنيا واعتزال الخلق وتزوج تلك الجبال والسياحة
في الارض الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الايام فا
كرمه ابن هود واخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن امواله
وما حواه من الحمراء والبيضاء والجمار الياقوت والجواهر وبقايس الا
علاق والجواري والحشم والاجناد والكراع والسلاح فاقام في ذلك
اياما فلما انقضى قال له كيف رأيت ملكي قال رأيت ملكا ولكنه يعوزه
منه خصلة واحدة ان انت قدرت عليها تم انتظام ملكك وان لم تقدر عليها
فهذا الملك يشبه لا شيء قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطاء
عظيما حصينا قويا وتجعل تحته قدر البلاغ ثم تكبه على الملك حتى لا يجد

صح

ملك الموت. وقال المستغيث سبحان الله او يقول النعش على هذا فقال العجم
بأهل الفتح فامر بتركه غدا وقال من يفتخر بعد يعني كمثل من يفتخر فهلا
يرى الهم في النوم ويروى ان ملكا من الملوك بنا قصرا وقال انظروا من عاب
منه شيئا فاصلحوه واعطوه درهما فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين
قالوا وما هي قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه
وترك الدنيا ومن عجايب الخضر عليه السلام قالوا سيل الخضر عليه السلام
عن اعجب شيء رايته في الدنيا فقال طفت بلادها وكنت في خلواتها وقطعت
القفار والفلوات فقال العجب ما رايته اني مررت على مدينة لم ار على
وجه الارض احسن منها فسالت بعضهم متى بنيت هذه المدينة فقالوا
سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد
الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمس مائة سنة وعدت عليها بعد ذلك فلا
فاذا هي خاوية على عروشها ولم ار احدا اسالهم فاذا انا بغنم
فدنوت منهم فقلت اين المدينة التي كانت هاهنا فقالوا سبحان الله ما
يذكر اباونا ولا اجدادنا انه كانت فيه مدينة عامرة فغبت عنها نحوا هاهنا
من خمس مائة سنة ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا
غواصون يخرجون منها قشر الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان
البحر هاهنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا انه كان
هاهنا الا البحر من بعث الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس مائة سنة
ثم انتهيت اليها فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة
بالقصب والبردي والسباع فيها واذا صياد في قصبة في زورق
صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان هاهنا فقال سبحان الله ما يذكر

اباونا ولا اجدادنا انه كان فيه بحر فغبت نحوا من خمس مائة عام ثم
انيت ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالتها الاول والحصون والقصور
والاسواق فقلت لبعضهم اين الغيضة التي كانت هاهنا ومتى بنيت هذه
المدينة فقال سبحان الله ما يذكر اباونا ولا اجدادنا الا انها على حالها
منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمس مائة عام ثم انتهيت اليها
فاذا اعاليها اسافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اساله ثم رايت
راعيا فسالته اين المدينة التي كانت هاهنا ومتى حدث هذا الدخان
فقال سبحان الله ما يذكر اباونا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فصل
اعجب شيء رايته في ما حدثني في الدنيا فسبحان من بيده البلاد ومعنى العباد
ووارث الارض ومن عليها وانشد بعضهم

قف بالديار وهل ذاك اثارهم ... فتبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل مخبرا ... عن اهلها او ناطقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسمعت بالعراق منشدا ينشد

ايها الربع قد درست ... كان عيني قبل الضحى اثرا
اين سكانك ماذا فعلوا ... خبرني عنهم فقد ضاق الصدرا
ولقد نادى منادي لهم ... رحلوا واستودعوني عبرا

ومن الشعر المستحسن في هذا الباب

ورب ورقاء هتوف بالضحى ... ذات شجو صدحت في فنن شجو
ذكرت الفا ودهرا صالحا ... فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكاي ربما ارقها ... وبكاها ربما ارقني

وإذا تسعرت أسعرها وإذا أسعرتها تسعرن
ولقد تشكوا فما أفهمها ولقد أشكوا فما تفهمن
غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

ونظر رجل من العباد إلى باب ملك من الملوك قد شيده وأحكمه وزوقه فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد ومما نقل عن عبد الملك بن مروان أنه رأى غسالا بيده يلوي ثوبا فقال وددت أني أكون غسالا لا أعيش إلا بما كسبت يدي يوما فيوما فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر وقال عيسى بن مريم عليهما السلام أوحى الله تعالى إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وفي بعض الأخبار لا تغتر على أوليائي ولا تقرب لهم فتفتنهم وهذا الخبر يروى بكسر الميم وقال مورق العجلي ابن آدم في كل يوم تؤتى رزقك وأنت تحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه أيها الناس إن الأعمار تطوى والأيام تفنى والأبدان في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان البعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات

الصالحات

اللهم صل على الحبيب

٢٩

الصالحات وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكأس من العسل في أسفله السم فللذائق منه حلاوة عاجلة وله في أسفله موت ذعاف وكأحلام النائم الذي فرح في منامه فإذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه في الظلام مقيما وكدودة الإبريسم التي لا يزداد الإبريسم على نفسها لفا إلا ازدادت من الخروج بعدا فأنشد

ودود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الحياة الدنيا ويعرض عن الدار الآخرة مثال رجلين نقلا من أرض جنتي عنب فأما أحدهما فجعل يعض الحبة التي أخذها ثم يلقيها وأما الآخر فزرع الحبة فجعلها كان بعد زمان النفقة فإذا الذي زرع الحبة قد طارت له كرما وكثرت ثمرته وذكر الآخر صنعه بالحبة فوجدها قد صارت عند أكله عذرة ليس عنده منها إلا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل إن أردت أن تسكن معي حظيرة القدس فكن في الدنيا فريدا وحيدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الوحشي يطير في الفلوات ويأكل من الشجر ويشرب من ماء العيون فإذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع أحد استئناسا بربه تعالى وقال بعضهم رحمه الله

أرى للحوادث مصروف عجائب ونوائب موصولة بنوائب
ولقد تعجب من شبابي وانقضى ما الشيء أعجب إليّ من عجائب

خـ
الطيبي

تبغي من الدنيا الكثير وانما يكفيك منها مثل زاد الراكب
قال مالك بن انس بلغنا ان عيسى ابن مريم عليهما السلام انتهى
الى قرية قد خربت حصونها وجفت انهارها ويبست اشجارها
فنادى يا خراب اين اهلك ثم نادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد
ثم نادى يا خراب اين اهلك فنودي عيسى ابن مريم عليه السلام

عيسى ابن مريم

يا روح الله بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلائد في
اعناقهم الى يوم القيامة ثم بكى قال مالك وبلغني ان امرأة من بقية
قوم عاد يقال لها جمة اي عذاب الذي رايته اشد فقالت كل عذاب
الله شديد وسلام الله ورحمته ليلة لا ريح فيها فلم تلبث الريح تحملها
الريح بين السماء والارض قال مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا
عليهما السلام العشب وان كان ليبكي من خشية الله تعالى ما لو كان
القار على عينيه لحرقه ولقد كان الدمع اتخذ مجرى في وجهه
ومر بعض الملوك بشعر الحكيم وهو نائم فركله برجله وقال
قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك اما تعرفني
قال لا ولكني ارى فيك طبع الدواب فهي تركل بارجلها فغضب

الملك

وقال اتقول لي هذا وانت عبدي فقال له لا بل انت عبد عبدي
وكيف ذلك قال لان شهوتك ملكتك وانا ملكت الشهوات فقال فانا
عبد الملك من الملوك السادة املك من البلاد كذا وكذا ومن الرجال
كذا وكذا ومن الاموال كذا وكذا فقال ان كنت تفخر علي بما ليس من
جنسك وانما ينبغي لك ان تفخر علي بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا
ونلبس جميعا ثوبا ونلج هذا النهر ونتكلم فيتبين بين الفاضل من

المفضول

المفضول ما نحن فيه فاطرق الملك خجلا وها هنا احكي لك امرا اطربني فلبث
له عقلي وتبلبل حزني وفتح فيه بابا في ولا تزال من الله حتى يواريني
التراب وذلك اني كنت يوما بالعراق وانا اشتري ماء فقال لي صاحبه
وكان شيخا يا ابا فلان تعلم هذا الكوز الذي تشرب فيه الماء قد كان
انسانا يوما من الدهر فصار ترابا ما تعلم الفخار ان اخذ تراب القبر
فصنع منه جرارا وتلك الاواني فانظر كيف كان انسانا وصار انية تمتهن
في البيوت وتستعمل بعد ما كان يفتخر بالاكل وبالشرب ويبطر ويتكبر
جاه الدنيا فاله من العجائب ان الانسان اذا مات عاد ترابا كما
كان في النشأة الاولى ثم قد يتفق ان يجعل جرة ويعجن بالماء ترابا منه
فيتخذ منه انية تمتهن في البيوت او لبنة في الجدار او يبنى
بها سقوف البيوت او يصير من الدار فيتوكا بالاقدام او يجعل لبنا
على الجدار وقد يجوز ان تغرس عند قبره شجرة فيستعمل تراب القبر
شجرة وورقا وثمرا فترعى البهائم ورقها ويأكل الانسان ثمرها فيثبت
منها لحمه ويصير عظما او تاكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فيصير
كل بعض طرفوتا ويبقى كان بالكل طار ما كوله ثم يعود في بطن
الارض جميعا فيصير به في بيت الرحا صنعة او يعد الى تبنى بالقعر او يجوز
ان الحجر فيه ان يجعل فيه ترابه فتتشربه الجزاه في سقوف الاودية
والخلوات والوهاد البر فهذا مما اذهب العقول وحير الحلوم وفتح

والتلول

الفكرات وهانت عند مفارقة الاهلين والاموال وهجر الاوطان والديار
والهوى بعين الجبال والانس بالوحش حتى ياتي امر الله تعالى البر في
هذا منه صغر الدنيا وما فيها البر في هذا ما حقر الملك عندي من عظمه و

والمال عفن من جمعه البيت هذا لو نظر في القرآن وسلى من الشهو
ات وقال مسعر كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا وليس
من أجله إنكم لو أبصرتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل
وغروره وحكي بنى المامون بن ذي النون قصرا وكان من ملوك الأ
ندلس وأنفق فيه بيوت الأموال فجاء على أجمل بنيان في الأرض
وكان من عجائبه أن صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة وبنى في وسطها
قبة ماء وسيق الماء إلى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون وكان
الماء ينزل من أعلى القبة حولها محيطا متصلا بعضه ببعض وكان
تحت القبة في غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمامون قاعد فيها فبينا هو
نائم إذ سمع منشدا ينشد :.

:. أتبني بناء الخالدين وإنما ... بقاؤك فيها لو عقلت قليل :.
:. لقد كان في ظل الأراك كفاية ... لمن كل يوم يقتضيه رحيل :.

قال فلم يلبث بعدها إلا قليلا حتى انقضى نحبه ووجد مكتوب على
قصر في بلاد أهله :.

:. هذا منازل أقوام عهدتهم ... في خفض عيش نفيس ما له خطر :.
:. صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر :.

وللصاحب عفا الله عنه :.

:. ولقد مررت على ديارهم ... وطلولها بيد البلى نهب :.
:. فوقفت حتى ضج من تعب ... نضوي وضج بعذلي الركب :.
:. وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفت القلب :.

ولو قيل للدنيا صاحبي تقصد ما عنت هذا البيت :.

ومن يأمن

٣١

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع
وروي أن الحجاج قال في خطبته أيها الناس إنما بقي من الدنيا كالشيء من
الماء بالماء فوالله لو أعطيت ما مضى من الدنيا بأجمعها مني بذلك ما قبلته
فكيف أسى على ما بقي منها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب
مثلا للدنيا وللمرء في عمل الموت بمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره
الموت قال لأحدهم قد كنت لي خليلا مكرما وقد حضرني من أمر الله تعالى
ما ترى فماذا عندك فيقول هذا أمر الله تعالى غلبني عليك لا أستطيع
أن أنفس كربتك ولكن هذا أنا ذا بين يديك فخذ مني زادا ينفعك ثم
يقول للثاني قد كنت آثر الثلاثة وقد نزل بي من أمر الله تعالى ما نزل
فماذا عندك قال هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس
كربتك ولكن سأقوم عليك في مرضك فإذا مت أتقنت غسلك وجودت
كسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من أمر
الله ما نزل وكنت أهون الثلاثة علي فماذا عندك قال إني قرينك تعلى
وخليلك في الدنيا والآخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه
معك حين تخرج ولا أفارقك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم منه
الأول ماله والثاني أهله والثالث عمله وحكى العتبي ميمون بن
مهران الحسن البصري قال له قد كنت أحب لقاءك فعظني فقرأ له
الحسن البصري أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال ميمون عليك السلام أبا سعيد فقد
وعظت أحسن موعظة وأعجب كل العجب للشاك في قدرة الله
تعالى وأعجب منه للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى الأولى

Copyright © King Saud University

واعجبا كل العجب لشاك في قدرة الله تعالى عز وجل وهو يرى خلقه
واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت كل يوم وليلة ويحيى
واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وا
واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة
وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به وروي ان الله سبحانه اوحى الى دا
ود عليه السلام فقال جماع الخير كله في اربع واحدة لي وواحدة
لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فاما التي لي فان
تعبدني ولا تشرك بي شيئا واما التي لك فما عملت من شيء فانا
اجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما
التي بينك وبين الناس فخالقهم كما تحب ان يكونوا لك وقال سليمان
ابن داود عليهما السلام اوتينا مما اوتي الناس ومما لم يوتوا
وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا فلم نجد شيئا افضل من
خشية الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والر
ضى والقصد في الفقر والغنى وكتب معاوية الى عايشة رضي
الله عنها ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت
اليه عايشة رضي الله عنها سلام عليك اما بعد فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس والسلام ولما ضرب ابن
ملجم عليا رضي الله عنه ادخل منزله فعرته غشية ثم افاق ودعا
الحسن والحسين فقال اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الا
خرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شيء فاتكما منها فانا الى

وكونا

خصما

وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال اما
سمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر ا
خويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل
عليهما فقال اوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن ابيكما وانتما تعلمان
ان اباكما يحبه فاحباه يا بني اوصيكما بتقوى الله في الغيب والـ كل
المشهد وكلمة الحق في الغضب والرضى والقصد في الغنى والفقر وا
والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضى
عن الله في الشدة والرخاء يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده
النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية
يا بني من ابصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم
يحزن على ما فاته ومن سل سيف بغي قتل به ومن حفر لاخيه بيرا وقع
فيه ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات نفسه ومن نسي خطيئته
استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل ومن استغنى بعقله زل
ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل
السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن اكثر
من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاه ومن كثر خطاه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل
النار يا بني لا تاذن في هجران وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحدة في
ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر
يا بني لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا معقل احرز من

الورع ولا شبع أنفع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص
مفتاح التعب ومطية النصب التدبر قبل العمل يؤمنك من الندم
بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد طوبى لمن أخلص لله تعالى في
عمله وعلمه وبغضه وحبه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله
وفعله وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن عاد إليه
فتى به مخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون
عليه فقال وددت أني أخرج منها كفافا كما دخلت فيها والله لو أن
لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول
المطلع قال ابن عمر لما احتضر عمر رضي الله عنه غشي عليه فأ
خذت رأسه فوضعته في حجري فقال دع رأسي بالأرض لعل الله
يرحمني فمسح خديه بالتراب وقال ويل لعمر وويل لأمه إن لم يغفر له
فقلت وهل حجري والأرض إلا سواء فقال ضع رأسي بالأرض
لا أم لك كما أمرتك فإذا قبضت فأسرعوا بي إلى حفرتي فإنما هو خير
تقدموني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك
قال خبر السماء لا أدري إلى الجنة ينطلق بي أو إلى النار ولما حضرت
عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم إنك أمرتني فقصرت ونهيتني
فعصيت وأنعمت علي فأفضلت فإن غفرت فقد مننت وإن عاقبت
فما ظلمت إلا إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله ولما حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجد
تم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم ما

يكون

يكون منقلب هشام إن لم يغفر الله له ودخل على المأمون في مرضه
الذي مات فيه فإذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه
الرماد وهو راقد عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من
يزول ملكه وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع
على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجر وتأكل من
الثمر وتطير وليس عليك حساب ولا عذاب فيا ليتني كنت مثلك والله
لوددت أني شجرة إلى جنب الطريق فمر علي بعير فأخذني فأكلني
ثم أخرجني في بعره ولم أكن بشرا وقال عامر بن عبد
الله أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة من الأرض فقال يا ليتني
مثل هذه التبنة يا ليت أمي لم تلدني يا ليتني كنت نسيا منسيا
وقال ابن مسعود وددت أني طائر في منكبي بشر وسمع رجلا
يقول يا ليتني من أصحاب اليمين فقال ابن مسعود يا ليتني إذا مت لم
أبعث وقال عمران بن حصين لوددت أني رماد تسفيني الرياح في يوم
عاصف وقال أبو الدرداء يا ليتني كنت شجرة تعضد ويؤكل ثمرها
ولم أكن بشرا

الباب الثالث في مقامات العلماء
والصالحين عند الأمراء والسلاطين

دخل الأحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما
مثل بين يديه اقتحمته عينه فأقبل عليه وقال ثم قال الأحنف يا أمير
المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول واتصال
من المحول فالمكثر فيها قد أطرق والمقل قد أملق وبلغ به المخنوق

رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح
عن أهل الخمول وفي أداء الحقوق ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء و
ويزيل اللأواء وإن السبيل من بعد ولا يخص ويعم عن الجهلاء ولا يدفع
المنيع دار احتضر إليه شكوا وإن سمع إليه عن ثغر يكون من وراء الرعية
عماد إليه يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال
معاوية هذا والله الحق ولنعم ما نطق به في حسن القول وقال سفيان
الثوري حج المهدي فقال لا بد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد حول
البيت فأخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه أدناني ثم قال لأي شيء
لا تأتينا فنستشيرك في أمورنا فما أمرتنا بشيء صرنا إليه وما
نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت في سفرك هذا
قال لا أدري أمنائي ووكلائي قلت فما عذرك غدا إذا وقفت بين ووكلائي
يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لغلامه كم أنفقت في سفرتنا هذه قال يا أمير المؤمنين ثمانية عشر
درهما قال ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين وقال الزهري ما
سمعت أحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال
يا أمير المؤمنين اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك و
آخرتك ودنياك قال ما هن قال لا تعد أحدا بعدة وأنت لا تريد
إنجازها ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعرا واعلم أن للأ المنحدر
عمال جزاء واحذر العواقب وللدهر تارات فكن على حذر و
دخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال له عظني فقال يا أمير المؤ
منين إن الله تعالى لم يرض بخلقه فيك غيرك فلا ترض لنفسك إلا بمرضي

به عنه

به عنه وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بذلك
يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلكة من أجله كان خليقا أن
يحتاط لنفسه يا أمير المؤمنين مرة وقفت أنه يأخذها ونهاها بركوب منه
إليها إذا أفنيت الآخرة مرادتها بتجافيه عنها يا أمير المؤمنين إن اشتد
ثم الله تعالى أن تقدم على جنة عرضها السموات والأرض فوقعت عينك
إليها وليس لك منها نصيب يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحا
سب وحدك وإنك لا تقدم إلا على نادم مشغول ولا تخلف إلا على
مفتون مغرور وإنك وإيانا في سفر وجيز قصير وقال سليمان
ابن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له تكلم يا أبا حازم قال
بم أتكلم قال في الخروج من هذا الأمر قال يسير إن أنت فعلته
قال فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ إلا شيئا إلا بحقها ولا
تضعها إلا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله تعالى
من الأمر ما قلدك قال عظني يا أبا حازم قال يا أمير المؤمنين إن هذا
الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار إليك ثم قال يا أمير المؤمنين قولك ربك وعظمه عن أن يراك
حيث نهاك ويفقدك من حيث أمرك يا أمير المؤمنين إنما أنت سوق فما
نفق عندك حمل إليك من خير أو شر فاختر لنفسك أيهما شئت
قال فما لك لا تأتينا قال وما أصنع بإتياني إن أدنيتني فتنتني
وإن أقصيتني أحزنتني وليس عندك ما أخافك عليه ولا عندي ما
أرجوك له قال فارفع إلي حاجتك قال قد رفعتها إلى من هو أقدر
منك عليها فما أعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت بقول الله تعالى

وادّ امير المومنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح
عن الدخول ويدني اولي المعروف ويامر بالعطاء ليكشف البلاء
ويزيل اللاواء وان السيد من يعم ولا يخص ويبعد عن العجلة ولا يدفع
المنفعة ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه عفا ثم يكون من وراء الرعية
عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال
معاوية ها هنا يا ابا بحر ولنعم فيهم فحل الفحول وقال سفيان
الثوري حج المهدي فقال لا بد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد حول
البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه ادناني ثم قال لاي شيء
لا تاتينا فنستشيرك في امورنا فما امرتنا بشيء صرنا اليه وما
نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم انفقت في سفرك هذا
قال لا ادري لي امناء ووكلاء قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين ووكلاء
يدي الله تعالى فسالك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لغلامه كم انفقت في سفرتنا هذه قال يا امير المومنين ثمانية عشر
درهما قال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين وقال الزهري ما
سمعت احسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال
يا امير المومنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك ودنياك
وآخرتك قال ما هن قال لا تعد احدا بعدة وانت لا تريد
انجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان المنحدر
الاعمال جزاء واحذر العواقب وان الدهر تارات فكن على حذر ود
خل ابن السماك على هارون الرشيد فقال له عظني فقال يا امير ال
مومنين ان الله تعالى لم يرض بخلقه فوقك احدا فلا ترض لنفسك ان يكون ابر منك

به عنه

به عنه وانا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بذلك
يا امير المومنين من طلب فكاك رقبته في مهلكة من اجله كان خليقا ان
يجتهد بنفسه يا امير المومنين من ذو فتنة انه يرحلها وتجده يركنون منه
اليها اذا فتنة الآخرة من ازينها تحد ابيه عنها يا امير المومنين ان اسال
الله تعالى ان تقدم على جنة عرضها السموات والارض فوضعت
اليها وليس لك منها نصيب يا امير المومنين انك تموت وحدك وتبعث
وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخلف الا كل
مفتون مغرور وانك واياك في سعي وجهل انظر وقد حج سليمان
ابن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم قال
بم اتكلم قال في الخروج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته
قال وما ذاك قال لا تاخذ الاشياء الا بحقها ولا
تضعها الا في اهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله تعالى
من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المومنين ان هذا
الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل
ما صار اليك ثم قال يا امير المومنين نزه ربك وعظمه عن ان يراك حيث
نهاك او يفقدك من حيث امرك يا امير المومنين انما انت سوق فما
نفق عندك حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شئت
قال فما لك لا تاتيني قال وما اصنع باتيانك اذا ادنيتني فتنتني
وان اقصيتني احزنتني وليس عندك ما اخافك عليه ولا عندي ما
ارجوك له قال فارفع الي حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر
منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت بقول الله تعالى

Copyright © King Saud University

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض فمن
ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم الله تعالى ويزيد في قليل ما قسم الله
تعالى قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال له رجل من جلسائه اسأت
الى امير المؤمنين قال ابو حازم اسكت فان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده
وقال لرسوله قل له يا امير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسي
وقال الفضل بن الربيع حج هارون الرشيد فبينا انا نائم ذات ليلة اذ
سمعت قرع الباب فقلت من هذا قال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا
فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء
لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا اسأله قلت هاهنا سفيان بن عيينة
قال امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب
امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ
لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال اعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله قلت
عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا
عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا و
قال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ لما جئناك له فحادثه
ساعة ثم قال اعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا
فقال ما اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله قلت هاهنا
الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه فاتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته
يتلو آية من كتاب الله سبحانه يرددها فقرعت الباب فقال من هذا ءاية

فقلت

فقلت اجب امير المؤمنين فقال ما لي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله
اما عليك طاعة قال وليس قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه ثم نزل ففتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة
فاطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا
فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال اوه من كف ما الينها ان نجت من
عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب
تقي فقال خذ لما جئناك له يرحمك الله فقال وفيم جئت حملت على نفسك
وجميع من معك حملت عليهم حتى لو سألتهم عن كشف الغطاء عنك وعن
عنقهم ان يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا لك
اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن
عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني ابتليت بهذا
البلاء فاشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها نعمة انت واصحابك
فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله سبحانه و
فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال محمد بن كعب ان
اردت النجاة من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم
واوسطهم عندك اخا وصغيرهم ولدا فوقر اباك وارحم اخاك و
تحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب له
الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك
ثم مت اذا شئت وقلت واني لا اقول لك هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف
يوم تزول الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء من يامرك بمثل هذا
فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق

يا امير المومنين فقال يا ابن ام الربيع قتلته انت واصحابك وانا رفقت به
انا ثم اجلسوه فقال زدني فقال يا امير المومنين بلغني ان عاملا لعمر بن
عبد العزيز شكي به اليه فكتب اليه عمر يا اخي اذكر سهر اهل النار
وخلودهم ابدا فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظانا واياك ان تزل
قدمك عن هذا السبيل فيكون اخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك
فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك
فقال له خلعت قلبي بكتابك والله لا وليت لك ولاية حتى القى الله سبحانه
فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له زدني فقال يا امير المومنين
ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء له فقال يا رسول الله امرني
على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس
تنجيها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة
فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال ز
دني فقال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق
يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك
ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اصبح غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد
بكاء شديدا ثم قال له عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل
ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال انما اعني
دين العباد قال ان ربي لم يامرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فانه قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال هرون هذه

ألف

الف [illegible] خذها وانفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادة ربك فقال
سبحان الله العظيم انا ادلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك
الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا ثم خرجنا من عنده فقال هرون
اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم
فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال تفرجنا به
فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه
فلما كبر نحروه فاكلوا لحمه موتوا يا اهلي جوعا ولا تنحروا فضيلا
فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال فدخلنا
فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على التراب على السطح فجاء هرون
الرشيد فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك اذ خرجت
جارية سوداء فقالت يا هذا قد اذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف
يرحمك الله ووعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال يا امير المومنين ان الله
تعالى لم يجعل فوقك احدا فلا تجعلن فوق شكره شكرا ودخل عمرو بن عبيد
الله على المنصور فقرأ والفجر وليال عشر والشفع والوتر حتى بلغ ان
ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا امير المومنين فان ببابك نارا
تتأجج لا تعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وانت
مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم
بفساد اخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل
لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان بن مجالد اسكت فقد غم
غممت امير المومنين فقال عمرو ويلك يا ابن مجالد اما كفاك ان خزنت
نصيحتك عن امير المومنين حتى اردت ان تحول بينه وبين من نصحه اتق الله يا ايها

Copyright © King Saud University

المومنين اما علمت انه كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم جر
يدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد
ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا وكيف بمن يسفك
دماء المسلمين ويشقق ابشارهم وينتهب اموالهم ان المغفور له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش خدشها
اعرابيا من بني عمرو فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا انك
تكسر قرون رعيتك يا امير المومنين لو ان غربا من النار صب على اهل الارض
لاحرقه فكيف بمن يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا
لذابت فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ودخل بعض
العلماء على سلطان فقال له ان احوج الناس الى الاحسان من احسن الله اليه واولاهم
بالانصاف من بسطت يداه بالقدرة فاستدم ما اوتيت من النعم بتادية ما
عليك من الحقوق وروي ان اعرابيا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال العجوف
يا امير المومنين اتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فاكلت الشحم واما
الثالثة فاكلت اللحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندكم فضول اموال الثانية
فان كانت لله فاقسمها بين عباد الله وان كانت لهم فلم تحصرها عنهم
عليهم وان كانت لك فتصدق فان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمال
فقسم بين الناس وامر للاعرابي بمال فقال اكل المسلمين مثل هذا فقال لا يقوم
بذلك بيت المال قال فلا حاجة لي فيها تبعث لائمة المسلمين الناس على امير
المومنين وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين اذكر بمقامي هذا
مقاما لا يشغل عنك كثرة من تخاصم من الخلق يوم القيامة ولا ثقة من العمل
ولا براءة من الذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استزاده الكلام فجعل يردد له وعمر

يبكي

يبكي وينتحب ثم قال حاجتك قال عاملك باذربيجان اخذ مني
اثنتي عشرة الف درهم قال اكتبوا له حتى يرد عليه ودخل زياد
على عمر بن عبد العزيز فقال يا زياد الا ترى ما ابتليت به من امر امة محمد
صلى الله عليه وسلم فقال زياد والله يا امير المومنين لو ان كل شعرة
منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في الخروج مما انت
فيه يا امير المومنين كيف حال رجل له خصم الد قال سيء الحال قال فان
كان له خصمان الدان قال اسوأ حالا قال فان كان له ثلاثة قال لا يهنيه
عيش قال فوالله ما احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك
قال زياد فبكى حتى تمنيت اني لم اكن قلت له شيئا وقال محمد بن كعب
لعمر بن عبد العزيز يا امير المومنين انما الدنيا سوق من الاسواق فمنها
خرج الناس بما نفعهم فيها لاخرتهم وخرجوا بما خسروا وكم قوم غرهم
مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم
ياخذوا من الدنيا للاخرة فاقتسم مالهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا
يعذرهم فانظر الذي تحب ان يكون معك اذا قدمت فابتغ البذل حيث
يجوز البذل ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عندك
يا امير المومنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ووعظ وانجح الابواب
رجل بين يدي بعض الملوك واغلظ له السلطان فقال له الرجل
انما انت كالسماء اذا ارعدت وابرقت فقد قرب غيثها فسكن ما به
واحسن اليه ومنه احتجاج المنصور بن ابي عامر ملك الاندلس لسلطان
بالخزائن محتجبة ويعاوض عنها خيرا منها استشعر الفقهاء في قطع
يد وتر ابدا نكا يجوز بحق السلطان فارسل اليهم رجلا من الوزراء

مشهوراً بالجراءة والعجلة فقال لهم يقول لكم الأمير يا مشيخة السوء
يا مستحلين أموال الأيتام ويا آكلي أموال الناس ظلماً يا شهداء — أموال
الزور وأخذة الرشا وملقني الخصوم وملقحي الشرور ومدلسي
الأمور ومتبعي الروايات لنيل اتباع الشهوات تبا لكم ولا رأيكم
فهو اعزل الله واقف على قصور فخركم فويل وخوفكم الأمانات
تعرض عند طالب عليه ثم احتاج اليه فتخرجكم في حاجة مرة واحدة
بعدهم، فلم تسمعوا الا ما تقدم ولو هذا كنتم والله ليعاقبنكم
وليكشفن ستوركم وليبدين الاصلاح فيكم والحث عليهم بزلة و
وتحول فأجابه شيخ منهم ضعيف منهم الائمة فقال نتوب — ضعيف
الى الله فقال الأمير وقتله لا اقاله الله وزاد عليه زعيم القوم محمد
ابن ابراهيم بن حنونة وكان جليل القدر فقال للمتكلم معاذ نتوب
يا شيخ السوء ونحن بريئون والصرنا بهاتم اقبل على الوزير فقال يا وزير
بئس المبلغ انت وكما قصدت الينا عن الأمير فهو صفتكم معاشي خرجته
فانتم الذين تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بلا مخافة
وتحيفون معايشهم بالرشا والمصانعة وتبغون في الأرض بغير الحق
فأما نحن فهذه صفتنا ولا كرامة ولا يقولها لنا الا منتهم جاهل بنا
منهم أعلام الدهر وسرج الظلماء بنا يتحصن الاسلام ويفرق بين
الحلال والحرام وتنفذ الأحكام وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق
وتحقن الدماء وتستحل الفروج فهلا إذ عتب علينا شيء من الأمير
قبل ولا ذنب فيه علينا وقال يا نعيمًا فالذي قاله لا بيت لا ملا غدار الى الله — وصالته
وما اشتانا بما هو من المحاشد وعرضت لنا بالفحشاء فيعصمنا عنه

واجبنا

واجبنا دائما بصحيح الجواب بما تمكننا قدره على السلطان ولا تعقبن شيء
وتستحيينا وتسيئ على ما استقبلتنا به فنحن نعلم ان الأمير لا ينقاد
على هذا الرأي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في ضعائنا ولكنه يريد ببراءة
بل يريد ابتلاءنا وتعززنا فلو كنا عندك على هذه الحال التي وصفتها
وصفتنا عند العباد فالله من وراء ليبطل عليه كل ما صنعه وعقده
من اول جلالته الى هذا الوقت فلا يثبت له كتاب من صوب ولا من مسلم — من صوب
ولا من شراء ولا من بيع ولا حبس ولا صدقة ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك
الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قاموا منصرفين يكادوا
يبلغون مدد الغضب والوسائل تنادي بهم ارجعوا الى القصر فبلغها هشام
المؤيد بالله فاغتاظ ورفعوا منازلهم واعتذروا عما كان من حاجبهم
وقالوا لهم الأمير يعتذر اليكم عن عزمه من جرى قد ونستعيذ الله من الشيطان
الرجيم ونزغته انني حملته على الجفاء عليكم ويعلمكم انه قادح على ما
كان منتقص في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمر لكل رجل منكم بما تروق
من كسوته وصلة علامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم به و
وانصرفوا غالبين على حسن نسوة ولقد التفط ما الامر في حال الى ال
المهلب بن ابي صفرة بجرادة بالدو يتبختر في اثواب خيلاء بدها كان
اربع من ثيابه فقال له المهلب أوما تعرفني فقال له نعم لا بل اني
أعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
تحمل عذرة ويروى ان رجلاً قال لعبد الله العمري هذا هو الاشبه
عن الخراب وقد احل له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيراً كلفتني
أمراً كنت عنه غنياً ثم جاء اليه فقال له يا هارون فيما انكر البيدقال الشيخ

Copyright © King Saud University

يا عم فقال الكم ترى هاهنا من خلوف قال لا يحصيهم إلا الله تعالى فقال
اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك
وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى هارون الرشيد
بكاء شديدا حتى جعلوا يعطونه المنديل للدموع ثم قال والله إن الرجل
ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرف في مال المسلمين
فقال إن هارون الرشيد كان يقول بعرفة إذا أحب أن أحج في كل سنة
فما يمنعني من ذلك إلا هيبة الله العمري ويروى أن الحسن بن محمد بن الحسن
الحسن دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد
استكمل الإيمان فقال عمر ائتهن يا بيت النبوة ومعدن الرسالة
وجثا على ركبتيه فقال الحسن إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ومن
إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له
ومما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد
عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال
عمر ليتكلم أسن منك فقال الغلام أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء
بأصغريه لسانه وقلبه فإذا منح الله تعالى العبد لسانا لافظا وقلبا
حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ومن لا فلا
ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في مجلسك هذا من الأمة من هو أحق
به منك فقال له نعم صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام أصلح الله أمير
المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة وقد أتيناك لمن الله تعالى الذي من علينا
بك لم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد أتتنا منك إلى
بلادنا وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فقال له عمر عظني يا غلام

تمسل منديلا

فقال له

فقال له أصلح الله أمير المؤمنين إن ناسا من الناس غرهم حلم الله تعالى
عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت أقدامهم فهووا
في النار فلا يغرنك حلم الله تعالى عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك
فتزل قدمك فتلحق بالقوم لا جعلك الله منهم وألحقك بصالحي هذه
الأمة ثم سكت فسأل عمر عن الغلام عن سنه فإذا هو ابن ثماني عشرة سنة
ثم سأل عن نسبه فإذا هو من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين
فتمثل عمر ببعض الأبيات يقول له

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل لبعضهم [illegible] فقال
إنما يرفع المرء أدبه وعلمه وعقله لا حليته وحلته فحيا الله امرءا عرف
رفعة همته وجلاله لا والده حتى يشهد أصغراه لسانه وقلبه ويعلوا
به أكبراه همته ولبه ومما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر وهو ملك
وكان ضمرة ذا دمامة وعقل فاحتقره حين رآه فقال له لأن تسمع بالمعيدي
خير من أن تراه فقال ضمرة أبيت اللعن إن القوم ليسوا بالجزر إنما يعيش
المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا نطق نطق ببيان وإذا قاتل قاتل بجنان
والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان فأعجب المنذر كلامه

ضمرة

وروى أن روح بن زنباع كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع
أصحابه فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلل وقدمت إليهم الأطعمة والماء
المبرد والشراب المبرد فبينما هم كذلك إذ مر بهم راع فدعاه إلى الطعام
فأبى وقال إني صائم فقال له روح أفي مثل هذا اليوم الحار فقال الراعي أبادر أيامي

له روح

تمضي بما فيها فقال عند ذلك روح لقد ضننت بما املا بارائي اذ جاد
بها روح بن زنباع وروي ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك
فقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما
تحب ان قبلته فقال هات يا اعرابي فقال اني ساطلق لساني بما خرست به
الالسن من عظة الله وحق امامتك انه قد اكتنفك رجال اساءوا الاختيار
لانفسهم فابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في
الله تعالى ولم يخافوا الله فيك فلا تصحب دنياهم لفساد اخرتك فان اعظم
الناس غبنا يوم القيامة من باع اخرته بدنيا غيره فقال له سليمان
اما انت فقد نصحت وارجو ان الله سبحانه يعين على ما قلدنا وقد
جردت لسانك وهو سيفك فقال اجل يا امير المومنين هو لك لا عليك وقال
ابن ابي عمرو بن حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا
بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر
نحو الجبل فاذا براع بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له ائت الامير فاتاه
فقال له الحجاج اغسل يدك وتغد معنا فقال قد دعاني من هو خير منك فا
جبته قال ومن هو قال الله سبحانه دعاني الى الصيام فصمت قال في الحر
الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد حرا منه قال فافطر وتصوم غدا
قال ان ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا
بآجل لا تقدر عليه قال انه طعام طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ وانما
طيبته العافية ولما حج هارون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيس فيه
خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف وقدم المدينة بعث الى مالك ان
امير المومنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس

جردت

فغانمة

فغانمة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يجبر الناس ويحملهم
على اكل لحم الخنزير فاتي برجل من افضل اهل زمانه فاعظم الناس مكانه وهاله
لهم امره فقال له صاحب الشرطة للملك انا اتيك بجدي قد ذبحته لا يعلم
به الملك فكله واذا دعا الملك بلحم الخنزير اتيتك بالجدي فكل ثم
اتي به الملك فدعا بلحم الخنزير فاتاه صاحب الشرطة بذلك الجدي فامره
الملك ان ياكله فابى ان ياكله فامر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما
ذهب به قال ما منعك ان تاكل وهذا اللحم الذي اتيتك به قال قد علمت
انه هو ولكن خفت ان يفتتن الناس فاذا رأوه اكل لحم الخنزير فابوا
لو اقع الحد فلا يفتتن بي واكون فتنة لهم فقتل رحمه الله ويروى
ان ملكا كان يجبر الغرباء بالذبائح للاصنام فقيل ان في مملكتك رجلا لا يرى
رايك ولا يذبح للاصنام فامر باحضاره فقال له قرب ذبيحة بين يدي هذا
الصنم وتكون بقرة فابى فقيل له قرب كبشا فابى فقيل له قرب ديكا فابى
فقيل له قرب دجاجة فابى فامر به فقتل رحمه الله تعالى ويروى ان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب خوفنا قال او ليس فيكم
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى ولكن
خوفنا يا كعب فقال يا امير المومنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة
بعمل سبعين نبيا لازدريت عملك مما ترى فبكى عمر واطرق مليا
ثم افاق فقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المومنين لو فتح من جهنم
قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلا دماغه حتى يسيل من حرها
فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المومنين ان جهنم لتزفر

Copyright © King Saud University

لتزفرن يوم القيامة فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر حتى ابراهيم
خليل الرحمان على ركبتيه يقول يا رب لا اسئلك الا نفسي نفسي وانشاد
ابو هفان على بعض الامراء فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي
صار اليك قد كان في يد غيرك فما امسوا والله حديثا فارجع المحجبا ان شرا
فشوا فحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب
فان حب عباد الله موصول بحب الله تعلى وبغضهم ببغضه لانهم
شهداء الله على خلقه ومما دخل محمد بن واسع تسير العابد في زمانه
على بلال بن ابي بردة امير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقيه فقال له بلال ما هذه
الشهرة فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى يعني وا
وانتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة ولما دخلت
انا على ملك مصر هو الافضل بن امير الجيوش قلت له السلام عليك ورحمة الله
وبركاته فرد علي السلام على نحو ما سلمت عليه فقلت له ايها الملك ان
الله سبحانه قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا بعض البلاد
بلادها وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد
فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى منك بالشكر وان الله تعلى قد
الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان
وانما هو بالعمل والاحسان قال الله تعلى اعملوا ال داود شكرا
فاعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان
قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار به اليك فاتق الله فيما خولك من
هذه الامة وان الله تعلى سائلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله
تعلى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال سبحانه وا

وان كان

وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم
ايها الملك ان الله تعلى قد اتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن
داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والطير والوحش والبها
ئم وسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين ثم رفع
عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير
حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة
كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعلى ومكرا فقال
هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ففتح الباب وسهل الحجاب
وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلدك وجعلك كهفا للملهوف
وامانا للخائف وكتب حكيم الى حكيم اخي ما بلها عن ثلاث
اشياء ان اجبت عنها صرت تلميذا لك اي الناس اولى بالرحمة و
ومتى تضيع امور الناس وبما تستلقي النعمة من الله فكتب اليه
اولى الناس بالرحمة الخبير يكون تحت سلطان الجاهل فهو الدهر حزين
مما يرى ويسمع والعاقل يكون تحت تدبير الجاهل فهو الدهر متعب
مغبون والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع
امور الناس اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله
والمال عند من لا ينفقه وتستلقي النعمة من الله بكثرة شكره ولزوم
طاعته واجتناب معاصيه فان تغيير الله الى من فات قال يحيى
ابن معين حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما اتى
اشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له فقال
يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا يأكل بعضها بعضا وانت المسؤول

الجاهل

عقبة

المشغول عنها والمأخوذ بها فبينا هم كذلك إذ جاء غراب
من صراح وسليمان في منظرة له كسرى فصاح فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب قال عم لا أدري ما يقول ولا كرات شئت أخبرتك بعلم قال
أخبرني قال هذا الغراب قد طار من صراح فقال في منظرة كسرى أنت بها منظارة
مأخوذ وعنها مشغول من أين دخلت ومن أين خرجت قال إني لعجب
بالعجب قال ألا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف
عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه
العيش قال لقد عبت علينا ما نحن فيه ثم ضرب بيده ... وروي
أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر إلى جما
عة وقوفا فقال ما هذا قال ملك بن دينار يذكر الناس قال لوصيف
له اذهب إلى ملك بن دينار فقل له يقطع البنا إلى القبر فجاء الوصيف
فأدى الرسالة إلى ملك فصاح ملك ما لي إليه حاجة فإن جيئة فيها
فإن تكن له حاجة فليجعلني في حاجة نفسه فجاء فتوا منهم فقال
بلال بعض معه إلى الحلقة فلما دنا منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي
إلى الحلقة فلما دنا منها هنو جعفر فقال له ملك بن دينار رسكن
فكان السكوت فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا فقال إن نسيت
شيئا فذكرني قال محدثنا قال أما هذا فنعم قوم علينا أمير من قبلك
البصرة فمات فجعلناه في هذه الجبانة ثم أتينا ابن يحيى فدفعناه إلى جنبه
فوالله ما أدري أيهما أكرم على الله تعالى فقال له بلال يا أبا يحيى
أتدري ما الذي جرأك علينا وما الذي يسكتني عنك لأنك لا تأخذ من دراهمنا
هنا شيئا وأما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما اجترأت علينا
هذه

٤١

هذه الجرأة قال فأجازه لنا الخبيث عمداه أنا فاتقوا دراهمهم
ودخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما
ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال أحدثونا
أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب
عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أقرب إلى
الله تعالى أم خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فأنا أحدثك
بأمر لا تشك فيه قال الله تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إلى آخر
الآية يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله تعالى لنبي خليفة فما ظنك
بخليفة ليس بنبي فقال الوليد إن الناس يغروننا عن ديننا وروي
زياد عن مالك بن أنس قال بعث إلي أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس
فدخلنا عليه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه أنطاع
قد بسطت وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق
فأومى إلينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق عنا مليا ثم رفع رأسه
ونظر إلى ابن طاوس وقال حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال
النبي صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر
ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يصلني من دمه فأمسك ساعة
عنه حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه
الدواة فأمسك عنه ثم قال ناولنيها فأمسك ثم قال وما
يمنعك أن تناولنيها قال أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك

Copyright © King Saud University

صلى الله على الحبيب وآله

المسنون عنها والمأخوذ بها فبينما هم كذلك إذ صاح غراب
من صراح وسليمان في منظرة له كسروية فصاح فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب قال عمر لا أدري ما يقول ولا أكترث شيئا أخبرني بعلم قال
أخبرني قال هذا غراب قد طار من صراح فقد وقع في منظرة كسرى أين أهلها
ما فعلوا وعندها مسئول من أين دخلت ومن أين خرجت قال إني لأتعجب
بالعجب قال أفلا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف
عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه
العيش قال لقد عبت علينا ما نحن فيه ثم ضرب بفرسه وتناول وروي
أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر إلى جما
عة وقوف فقال ما هذا قال ملك من ملوك الشام قال لوصيف
له اذهب إلى ملك من ملوكنا فقل له لينفع البنا إلى القبر فجاء الوصيف
فأدى الرسالة إلى الملك فصاح ملك ما لي إليه حاجة فإن جئته فيها
فإن تكن له حاجة فليجئني في حاجته فلما دفنوا الميت قال
بلال من معه إلى الحلقة فلما دنا منها نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي
إلى الحلقة فلما دنا منها حتى جلس فيها أي الملك من دونه وسكن
فلما كان السكون فقال له بلال يا أبا يحيى ذكرنا قال إن نسيت
شيئا فاذكر لي قال حدثنا قال أما هذا فنعم قوم علينا أمير من قبل
البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم أتينا ابن يحيى فدفناه إلى جنبه
فوالله ما أدري أيهما أكرم على الله تعالى فقال له بلال يا أبا يحيى
أخبرني بالذي جرى علينا وما الذي يسكنني عنك ثم لا أخذ من رد إلا
هنا فيه أعاد والله لو أخذت من رد إلا هنا فيه ما اعتبرت علينا

هذه

هذه الجرأة قال فإنما أولنا الخبيث عليه إنا فإنما قوادا هم
ودخل ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما
ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال يحدثونا
أن الله تعالى إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب
عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أقرب إلى
الله تعالى أم خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فإنا أحدثك
بأمر لا تشك فيه قال الله تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إلى آخر
الآية يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله تعالى لنبي خليفة فما ظنك
بخليفة ليس بنبي فقال الوليد إن الناس ليغروننا عن ديننا وروي
زياد عن مالك بن أنس قال بعث إلي أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس
فدخلنا عليه فإذا هو جالس على فرش منضدة وبين يديه أنطاع
قد بسطت وبين يديه جلاوزة وبأيديهم السيوف يضربون الأعناق
فأومى إلينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق عنا مليا ثم رفع رأسه
ونظر إلى ابن طاوس وقال حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال
النبي صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل
أشركه الله في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه فأمسك أبو جعفر
ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن يصلني من دمه فأمسك ساعة
حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه
الدواة فأمسك عنه ثم قال ناولني الدواة فأمسك ثم قال وما
يمنعك أن تناولنيها قال أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك

فبينما فلما سمع ذلك قال فوما عني قال ابن كان ومن جئت لما كنا نبغي
منذ اليوم قال مالك فما زلت ابن كاوا ومن فضله قال احمد بن الحواري
سمعت رجلا يحدث عن امير المؤمنين قال بعثت الى الرشيد فلما انتهيت
الى باب القصر اخذني بيدا رضيعين فما عجلاني في دهليز القصر فلما
انتهيت الى باب القاعة لقيهما خصيان اخذا بيدي فما عجلاني في قاعة
القصر فانتهيت الى البهو الذي هو فيه فلقياني خصيان اخذا بعضدي
فاخذاني فما عجلاني في البهو فقال لهما هو زائر فقفا بالشيخ
فلما وقفت بين يديه قلت يا امير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدتني
امي كنت فيه اتعب من يومي هذا فاتق الله تعالى في خلقه
واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته وانصح لنفسك في ذلك
واعلم ان لك مقاما بين يدي الله تعالى انت اذل فيه من مقامي
هذا بين يديك فاتق الله واعلم انك من خلق الله تعالى وسكونك
كبيت وكيف ما انكم في فراشه حتى نزل الى مصلى بين يدي الله
فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا اذل وكيف لو رايت ذل المقام
بيته قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى لخصي اخرجوه فقد
ابكا امير المؤمنين ودخل عليه في مجلس اخر فقال له عظني
واوجز فقال يا امير المؤمنين ان الله اكرمك فما اكرمك به فيحق
عليك ان تحب ما احب وتبغض ما ابغض فان الله تعالى احب الله
دار ابغضها وابغض دارا احببتها كانما اردت خلا
ف ربك وارحم سواله اعلم يا امير المؤمنين ان الذي في يديك
لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك وكذلك لا يبقى لك كما لم

بمن

اللهم صل على الحبيب

٤٣

بمن تغير فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه
وسلم في امته ودخل هارون الرشيد على الفضيل بن عياض فسلم
عليه فقال وعليك السلام يا ايها الملك ثم قال له يا ايها المملك هل
لله فيك نعم قال افتعصيه قال نعم قال قد كفرت والله في
حبه اياك لو اقبيته اذا ما عصيته ثم انشد
تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة منه وانت لشكر ذاك مضيع
وروى زيد بن اسلم عن ابيه قال قلت لجعفر بن سليمان انهما تشمي
والى المدينة احذر ان ياتي رجل الى المدينة غدا ليس له في رد
سلام نسب ولا اب فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كانت امراة فرعون اولى بنوح ولو كان من زوجتيهما وكما كا
نت زوجة لوط ونوح اولى بفرعون من زوجته من ابيك الله يملك لم
ينفع به نسبه وقال بشر بن السري بينما الحجاج في المجلس جالس
اذ دخل عليه رجل من اهل اليمن فجعل يشكو جور كان به بعض من
معه وقال اذا فرغ من شكواه ابتني به فانا نال به فقال ممن انت
قال من اهل اليمن قال اهلك علم فخم بن يوسف قال نعم قال هو
عنده قال لقد تركته ابيض بضا سمينا لحو بالاعربطا قال وبلغني
ليس عن هذا اسلك قال عن سيرته وصنعته قال يا جور العمال
واخبث المصنع واعدى لعدوان على دين الله تعالى واحكامه قال
فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى وانت

Copyright © King Saud University

اما علمت ان الله ربي والله هو امنع لي منه واكثر منك لا خيط وقا
وقال ابن الاصمعي حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت
محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو
ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من اعرابها جرى بينهم فخصموا القرشي
فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذيب فقال ابو
جعفر فما تقول في بني فلان فقال اشرار من بيت اشرار فقالوا
اصلحك الله يا امير المومنين عن الحسن بن زيد وكان عامله على المدينة
قال ما تقول في الحسن قال ياخذ بالاحنة ويقضي بالهوى
قال الحسن والله يا امير المومنين لو سالته عن نفسه لرماها
باهنة وكذبه فيستشفون ما تقول فيّ قال اعفني قال لا بد ان
تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم با
لسوية قال فتغير وجه ابي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي
صاحب الموصل فقال دعني اذبحه يا امير المومنين فقال ابن ابي
ذيب اقعد يا بني ليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله
طهور ثم تناول رجل من ابن ابي ذيب الكلام فقال يا امير المومنين دعه
دعنا مما نحن فيه فقد بلغنا انك رزقت ولدا ابلجا بالعراق
يعني المهدي قال الناس فيه ذلك انه لصوام اليوم البعيد
ما بين الطرفين ثم قام ابن ابي ذيب فخرج فقال ابو جعفر اما
والله ما هو مستوثق لعقله ونفوه خالصين لذات نفسه .
ودخل ابو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل
الخليفة فقال له يا ابا النضر انه تاتيك كتب من عند الخليفة

فيها

فيها وفيها ولا نجد في امر انفاذها فما ترى قال ابو النضر
فقد اتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت
من اهله

الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من
اتباع الهوى ان يحضر الخصمان فيريد في نفسه ان يكون الحق للذي
له منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام
ملكه قال ابن عباس كان الذي اصاب سليمان ابن داود عليهما
السلام ان اناسا من اهل جرادة امراته من اكرم نسائه عليه فحا
كموا اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم
فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك الاية المطولة
التي انزلها الله تعالى في النسا يعبر بها اقتضته من القضايا السنية
العامة التي فيها بقاء الملك وثبوت الدول قال الله سبحانه
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين
واوضح شرائط النصر فقال عز من قائل الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرائط
كما ترى فمتى تضعضعت قواعدهم وانتقض عليهم شيء
من اطراف مملكتهم وخرج عليهم عدو او باغي فتنة او طامع

نعمة أو أضعفت عليهم الأمور أو الأسباب التي يعيشون
إلى الله ويستجيروا من سوء فعله بإصلاح ما بينه وبينهم بإقامة
الميزان الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق
الذي به قامت السموات والأرض والجهاد في الشرائع لا سيما ونصر
المظلوم والأخذ على يد الظالم وكف يد القوي عن الضعيف ومن
إعانة الفقراء والمساكين وملاطفة ذوي الخصاصة والمستضعفين
ويعلموا أنهم قد أخلوا بشيء من الشروط الأربع التي شرطهن في
النص وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع
وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول
عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهي مسؤولة
عنه ألا وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والمرأة راعية
على أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم وعبد
الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا وكلكم راع و
مسؤول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك
في حوزة راع والله والكلمة مأخوذة من الرعاية والمراعاة
فإذا تقدم لرعاية يحرص بأكله فهو الهلاك كما قال الشاعر
وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب
وروى مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما
من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم ولا ينصح إلا لم يدخل (أمير)
معهم الجنة وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله تعالى رعية فلم يحطها
بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة وروى عبد الرحمن بن سمرة قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الإ
مارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أ
عطيتها عن مسألة وكلت إليها وروى أبو هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تحرصون على الإمارة وستكون
ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة و
وقال أبو ذر قلت أمرني يا رسول الله فقال إنها أمانة وإن
وإنها حسرة وندامة يوم القيامة وروى البخاري أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون خير الناس أشدهم كراهية
في هذا الأمر حتى يقع فيها يوم القيامة إلا من أخذها وأدى
الذي عليه فيها وفي الحديث من ولي من أمر المسلمين شيئا
ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده
من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى
عاصم ليستعمله على الصدقة فأبى فقال سمعت رسول الله (أن يستعمله)
صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي
فيقف على جسر جهنم فيأمر الله سبحانه فينتفض به انتفا
ضة يزول كل عضو من مكانه ثم يأمر الله تعالى العظام أن تعود إلى أما
كنها ثم يسألها فإن كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه الله
كفلين من رحمته وإن كان لله عاصيا خرق به الجسر
فيهوي في جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله

Copyright © King Saud University

من

عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وكان
سلمان وابو ذر حاضرين فقال سلمان اي والله يا عمر
مع السبعين سبعين خريفا في واد من نار تلتهب التهابا فجعل
عمر يبكي على جبهته انا لله وانا اليه راجعون فمن ياخذها بما فيها
فقال سلمان من سلب الله انفه والصق خده بالارض وروى
ان العباس قال امرنا يا رسول الله فاصيب والستر مستر فقال له
يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها الا
احد فكم عن الامارة اولها ملامة واوسطها ندامة واخر
ها حسرة يوم القيامة وروى ابو داود في السنن قال جاء
رجل فقال يا رسول الله ان ابي كان عريفا على الماء وانه سالني
ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم
العرافة في النار وروى ابن ناجي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم
القيامة الامام الجائر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض
الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى على الصراط
ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على رؤوس الخلائق فان كان
عدلا نجاه الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به انتفاضة
صار بين كل عضو من اعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط
فما يلقى قعر جهنم الا بجبهته وجنبيه وروى معاذ بن جبل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي ليزل في مزلقة ابعد من عدن

العرافة واجبة ومعروف بين بعضهم من الناس

جهنم

في جهنم وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة
الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين في عمره وروى الحسن البصري ان النبي صلى
الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله
خر لي فقال اقعد في بيتك وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا امراء
على شيء وكم متخوض في مال الله ومال رسوله له النار غدا
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي
لا تنالهم شفاعتي امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق
منه وقال حذيفة من علامات اقتراب الساعة ان يكون امراء
فجرة ووزراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وقال
عمير بن حبيب ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من
الله تعالى بعدا ولا كثر اتباعه الا كثر شياطينه ولا كثر ماله الا
كثر حسابه وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما من امير يؤمر
على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا يحله الا عدله او
اهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير
المؤمنين من هو اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله
في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي
فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة
رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم وجار فهو في النار

I

وسلم

وجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه بريدة رواه الديلمي عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ابن هبيرة جاء صبيان الى عيسى السلام ليتخايرا
بين يديه في الواحهم فلم ينظر فيه وقال هذا حكم ولا اقوى على حكم
ابدا او تخيير غلمان اليسم يجعل ينظر في كتبهم فقال او هذا حكم
ولا بد من النظر والتصفح بين يسلون في كتبهم حديث مرفوع ان راواه
ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جعل للقضاء
فقد ذبح بغير سكين وفي اخبار القضاة ان قاضيا قدم الى بعض ولاة
وجاء له عفو في يوم قدمه فقال له ايها القاضي أبلغك قول النبي
صلى الله عليه وسلم من جعل للقضاء فقد ذبح بغير سكين فقال نعم قال
فبلغك ان امور المسلمين ببلدنا ابعثت تجرها قال نعم قال
اما كرهت السلطان على ذلك قال لا قال فما منعك ان لا اطلب لكم
مجلسا ولا اودي عندك شهادة ابدا وروى ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله
في ماله ورغبه فيما بين يديه واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد
على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت
نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل
عفوه وذكر ابن ابي السلطان فقال والله ليس عزة الدنيا
لفقده لو اخرته بالعدل ويقبل بالرضوان يختم جلاله وانما
يكون النوم حيث لا يقع النوم قال ابو بكر بن ابي مريم حج قوم
فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فاتاهم رجل فقالوا
دلنا رحمك الله على الماء فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انكم

لم

II

اللهم صل على الحبيب

٤٦

يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا وفي رواية ولا عرافا وانا ادلكم
على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا اعنا
على غسله قال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا
له فاعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم وصل عليه يرحمك الله قال لا
حتى تحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فصلى عليه
ثم التفتوا فلم يجدوا احدا فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام و
وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس
عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي او قتل نبيا وامام ضلالة وممثل
من الممثلين وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستة ايام اعقل يا ابا ذر ما اقول لك فلما كان في اليوم السابع قال
اوصيك بتقوى الله العظيم في امر سرك وعلانيتك واذا اسات فا
حسن ولا تسالن احدا الوان سقط سوطك ولا تؤتين امانة ولا تولين
يتيما ولا تقضين بين اثنين وقال ابو ذر ايضا قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي واني اراك
ضعيفا فلا تامرن على اثنين ولا تلين مال اليتيم وروى ابو ذر ايضا قال
قلت يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر انك
ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من
اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها وروى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا
حديث السن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم شيوخ وانا حديث السن
ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سبحانه هاد قلبك ومسدد لسانك فاذا

احب لك

Copyright © King Saud University

جلس الخصمان بين يديك فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فإ
نك إذا سمعت كلامه عرفت كيف تقضي فإن قال قائل كيف نهى
عن القضاء أبا ذر وأمر عليا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وما روي
أن من تقدم إلى القضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن حضرته
والتمتع بمشاهدته وتعلم سننه وشرائع دينه والتخلق بأ
خلاقه وشيمه وأيضا الفضل المشهور بين يديه والكون بحضرته
ومشاهدته والصلاة خلفه والقضاء في غيبته والبعد عنه
قلنا إنما نهى أبا ذر عن القضاء لمعنى فيه يقصر به عن رتبة ال
قضاء مما كان ضده في علي رضي الله عنه من استجماع شرائط
القضاء وقوته عليه ولذلك قال لأبي ذر إني أراك ضعيفا ثم قال في آ
خره إنها أمانة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فاستحق للنائب
لعلي أن من استجمعت فيه شروط القضاء وكان قويا على إنفاذ
إنفاذه لم يدخل تحت النهي ومن يعرض ضعفا عن القضاء فطلبه
أبا له إذ لم يدر عواقبه وقد وصف الله تعالى المسرع إلى الأمانة
نعته بالجهل والضعف فقال عز من قائل إنا عرضنا الأمانة
على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا أي ظلوما لنفسه
جهولا بعاقبة أمره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبي
صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة
رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض
به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على

جهل

جهل فهو في النار قلت فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة
القضاء أحدهما بفسقه وظلمه والآخر بجهله وقد عاب جهلة
بني إسرائيل فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم
يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وأنه ليس من بيت
المملكة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات
والكمالات وأنها تفتقر إلى العلم الذي به يحكم وإلى القوة التي
ينفذ الأحكام بها ومما طلبته بنو إسرائيل وأما قوله أيهما
أفضل القضاء في غيبته أو الحضور بين يديه والكون في حضرته
فالجواب أن نقول إن أوامره فرض يعصى بتركها والكون بحضرته
مستحب بعد الهجرة فلا يعصى بتركه وعلمنا بهذا أنه إنما بعثه
الله تعالى به فهو فضيلة في ذلك ويدل على هذا أنه أوجب
الجنة لمن قضى بالحق.

∴ الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان ∴
∴ ابن داود عليهما السلام ووجه طلبه له ∴
∴ وسؤاله ∴

قه د

زا يؤتى لأحد من بعده ونهى البخل عنه صلى الله عليه وسلم فإن
قال قائل أليس سليمان بن داود عليهما السلام قال هب لي
ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ثم زاد على ذلك أن
لا يؤتى أحد مثله من بعده وظاهره يؤذن بالبخل بما تكلم عن هذه
الآية من وجوه أحدها إنما سأل هذا بعد أن سلبه الله ملكه

Copyright © King Saud University

ثم اعاده عليه فجيئته كطلب الملك فكانه قال هذا الملك
الذي جئتني به فهب لي على صفة لا اعصيك فيه فتسلبنيه بالاه ونعا
فيني يدل عليه انه بدا بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد لا اعصيك فيه فتاخذه وانه ينال عقوبة لذا قوله
سبحانه هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب
دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان
اعطيت اجرت وان امسكت فلا تباعة عليك فيه ~~وقيل ان عصيت~~
وهذا خصيصا لسليمان بن داوود عليهما السلام لم يخص بها
احد من ولد ادم سواه لان الله قد سخر له الجن اجمعين فربطه له
لتسلطهم اجمعين على ما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي فقال عطاء معناه لا اسلبه كما سلبته في عمري فيصير الى غيري
كما سلبته في ماضي عمري وقيل لا تسلطه علي فيه شيطانا مثل له
الذي سلطت علي وقيل انما سال ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول
التوبة فاجاب الله دعاءه فعلم انه قد غفر له وقيل انما سال ذلك لـ
يكون اية لنبوته وعلما على معجزاته عليه السلام وقال مقاتل
كان سليمان ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير
الرياح والطير يدل عليه ما بعده قوله فسخرنا له الريح الى اخر
الايات وقيل ان سليمان عليه السلام كان ملكه في خاتمه وذلك
انه ذهب ملكه بذهاب خاتمه على ما سنذكره في باب الفرج بعد
الشدة ان شاء الله تعالى فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يقول اجعل
ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه غيري فان ابليس اخذ خاتم

سليمان

سليمان عليه السلام فتحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على
ملك سليمان يحكم فيه حتى انكر بنو اسرائيل احكامه وكان قد
القي عليه شبهه وقال عمر بن عثمان انما اراد به ملك النفس
وقهر الهوى يدل عليه ما روي سلمان ان [illegible] قال بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايتم سليمان وما اتاه الله
من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله حتى قبضه
الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يفتتن بالمـ
بالمملكة وبهذا فحوى سؤال المغفرة عن طلب المملكة
وقال بعض العلماء انما اراد حتى ان تقضي لادم عليه الـ
السلام من ابليس وذريته حيث كان سببا لاخراجه وذريته من
الجنة وروي ايضا في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان عفريتا من الجن جاءني فجعل يتفلت علي البارحة ليقطع
علي صلاتي وان الله سبحانه امكنني منه فعصرته فلقد هممت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون
اليه كلكم فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي فرده الله خاسئا فان قيل فما معنى قول يوسف عليه
السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قلنا
يستفاد من الاية ان من حصل في ملك لا يعرف قدره وامانته لا
يعرفون فضله فخاف على نفسه جاز ان ينبههم على مكانته وما
يحسنه فجعل يثني على نفسه وفيه فائدة اخرى وهو انه اذا
راى الامور بيد الخونة واللصوص ومن لا يحمد امانته وفعله

فيعلم

Copyright © King Saud University

من نفسه الأمانة مع الكفاية جاز أن يقيمه السلطان على كفاية
ثقته وأمانته وقد أفتى بعض فقهاء من أصحاب الشافعي من
كملت فيه آلات الاجتهاد وشروط القضاء جاز أن يقيمه السلطان
على كفايته بأن يخطب خطبة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك
عليه إذا كان إن لم يخرج من لا يقوم به فافهم ذلك

الباب الخامس في فضل الولاية
والقضاة إذا عدلوا فيها

قال الله سبحانه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الأرض يعني لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض يدفع
القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لأهلك القوي الضعيف
وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا تنتظم لهم حال ولا يستقر
لهم قرار فتفسد الأرض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق بإقامة
السلطان بقوله ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في إقامة
السلطان فيأمن الناس به ويكون فضله على الظالم بكف يده و
فضله على المظلوم أمانه وكف يد الظالم عنه وروى أبو
هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم
الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل
إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه
متعلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا
ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله

ورجل تصدق

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل
ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه وروى كثير بن مرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه
كل مظلوم من عباده فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر
وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر وروى أبو هريرة
يرفعه قال العامل بالعدل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في
أهله مائة سنة أو خمسين سنة وقال قيس بن سعد ليوم من إمام
عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة وقال مسروق لأن
أقضي يوما بالحق أحب إلي من أن أغزو سنة في سبيل الله وروى أن سعد
بن إبراهيم وأبا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل
ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت لقضاء
يوم بحق أفضل عند الله تعالى من صلاتك عمرك وتسبيح لم تقطعه
الأقوال أو قضيت على ما ينال الرعية من الصلاح لصلاح السلطان
واعلم أرشدك الله أن الإنسان أعجز حيوان الدنيا وأعلاها قدرا
وأشرفها منزلة وبالسلطان صلح الإنسان فهو أيضا أعز أعلاق
الدنيا وأعمها بركة وكونه خليفة الله تعالى جامع أمر الدنيا
والآخرة ثم كان بالسلطان العادل صلاح الدارين فالخلق
يتخصص بعم نفعه البلاد والعباد وبصلاحه تصلح الدنيا والآخرة
أن يكون منزلته عند الله عظمى كما كان قدره في العقول جسيما
ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه للبلاد والعباد عظيما وعلى
قدر عموم المنفعة تتفاوت الأعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة

Copyright © King Saud University

ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام أعم خلق الله نفعا فهم أجل خلق
الله قدرا لأنهم تعاطوا إصلاح الخلائق وإخراجهم من الظلمات
إلى النور وكذلك سلطان الله تعالى في الأرض وهو خلافة النبوءة
في إصلاح الخلائق ودفع ظلمهم ودعايتهم إلى عبادة الرحمن وإقامة
دينهم وتقويم أودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة إلا
نبي مرسل أو ملك مقرب فلا يخفى عظيم قدر السلطان عند الجهة
على نفسك وتشهد على قدر ما يقع وليس تبعه مقصورا على هذا
لذم هكام الدنيا يجبر لأجلها ولا كرضية ثم جمعته وجمعه
حرمها وحراسة ما ذكر عن الغزالي أعم نفعا لمن عقلت ولسيرته
تعالى في الأرض سلطانا وفد أهل عليه من آيات العدل ومواثيق
الأنصاف وشرايع الإحسان وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العا
دل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير رتبة لأن شره يعم
كما أن خير العادل يعم وكما أن بالسلطان العادل يصلح البلاد والعباد
وتنال الزلفى إلى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان
الجائر تفسد البلاد والعباد وتفشو المعاصي ولا تقلع وتورث
دار البوار وذلك أن السلطان إذا عدل انتشر العدل في رعيته فأ
قاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين
العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانبعثت قوانين الحق
فأرسلت السماء غياثها وأخرجت الأرض بركاتها ونمت تجا
راتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم فذرت أرزاقهم و
رخصت أسعارهم وامتلأت أوعيتهم فواسوا بفضلها المقل

الفقير

الكريم وفشت الحقوق وأعينت المحاويج وتهادوا فضول الأ
طعمة والتحف فهان الطعام لكثرته وذل بعد عزته فتم السكن
على الناس من ذاتهم وانعطفت عليهم أديانهم وبهذا تبين لك أن
أنواع الأجور أعلى ما يتعاطاه من إقامة العدل وما جورا على ما يتعاطاه
الناس بسببه وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد
فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم وفشت فيهم المعاصي وذهبت
أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا
الباطل وبخسوا المكيال والميزان وروجوا الهرج فرفعت منهم
البركة وأمسكت السماء غياثها ولم تخرج الأرض نبتها ونبا
تها فقل في أيديهم الطعام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتجا
وزوا على الحقوق فمنعوا الزكاة المفروضة وبخلوا بالمواساة
المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وتنازعوا الحق إلا القليل
وتجاذبوا الفقر والخسيس ففشت فيهم الأيمان الكاذبة والحيل في
البيع والخداع في المعاملة والمكر والخديعة في القضاء والاقتضاء
فلا يمنعهم من السرقة إلا العار ومن الزنا إلا الحياء فيظل أحدهم عاريا
من محاسن دينه متجردا عن جلباب مروءته أكبر همه قوت يومه وليلته وأعظم
مضراته اللقمة من هذا الطعام ومن عاقر كونه فيضيق الأرض حرجه من
ظهرها. وقال وهب بن منبه إذا هم الوالي بالجور وأعمل به أ
دخل الله النقص في أهل مملكته وفي الأسواق وفي الزرع والضرع
وكل شيء وإذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في
أهل مملكته كذلك. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تهلك

Copyright © King Saud University

العامة تبع الخاصة ولا تصلح الخاصة بعمل العامة والخاصة
هي الولاة وفي هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وقال الوليد بن هشام إن الرعية لتفسد
بفساد الوالي وتصلح بصلاحه وقدم سفيان الثوري على أبي جعفر
المنصور فقال إني لأعلم رجلا إن صلح صلحت الأمة قال ومن هو قال أنت
وقال ابن عباس إن ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا
بمكانه فنزل على بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر ثلاث فتعجب
الملك من ذلك وحدث نفسه بأخذها فلما راحت من الغد حلبت
على النصف فقال له الملك ما بال حلابها نقص أرعت في غير مرعاها
بالأمس فقال لا ولكن أظن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها
فإن الملك إذا ظلم أو هم بظلم ذهبت البركة فعاهد الله الملك
في نفسه أنه لا يأخذها ولا أحدا من الخلق فحلبت حلاب ثلاث فتاب
الملك وعاهد الله لأعدلن ما بقيت ومن المشهور في أرض المغرب
أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وأن
قصبة منها تعصر قدحا فعزم على أخذها منها ثم أتاها وسألها
عن ذلك فقالت نعم ثم عصرت قصبة فلم تبلغ نصف القدح فقال
أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك إلا أن يكون السلطان قد
عزم على أخذها مني فارتفعت البركة فتاب السلطان وأخلص لله
تعالى نيته أن لا يأخذها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة فجاءت
ملء قدح وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الأخبار بعض
قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا ولم يكن في الزمان

نخلة

وحرله

وتبه

ألا يأخذها

٥١

نخلة تحمل مثل ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام
ولو تمرة واحدة وقال لي شيخ من شيوخ الصعيد أنا أعرف هذه
النخلة في الناحية الغربية تحمل عشرة أرادب بشيرونية وكان
صاحبها يبيعها في سني الغلاء كل ويبة بدينار وشاهدت
أنا بالإسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك
فيه يعلو الماء من كثرته ويصيده الأطفال بالخرق ثم حجره السلطان
ومنع الناس من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد فيه
إلا الواحدة بعد الواحدة إلى يومنا هذا وهكذا تتعدى سيئات الملوك
وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية إن خيرا فخير وإن شرا
فشر وروى أصحاب التواريخ قالوا كان الناس إذا أصبحوا
في زمن الحجاج تلاقوا فتساءلوا من قتل البارحة ومن صلب البا
رحة ومن جلد ومن قطع في أمثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع
واتخاذ مصانع فكان الناس في زمانه يتساءلون عن البنيان والمصانع
والضياع وشق الأنهار وغرس الأشجار ولما ولي سليمان وكان
صاحب نكاح وطعام فكانوا يتحدثون في الأطعمة الرفيعة ويتوسعون
ويتوسعون في الأنكحة والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك
ولما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان الناس
يتساءلون كم يحفظ فلان من القرآن ومتى يختم وكم يصوم من الشهر
في أمثال ذلك

ن

الباب الثامن والأربعون في أن السلطان مع رعيته
مغبون غير غابن وخاسر غير رابح

Copyright © King Saud University

اعلم ارشدكم الله ان خطة السلطان عظيم وبليته عامة وفيه
تحير فيه من الافات وتحتوشه من الامور المهلكات ما يجب على كل
ذي لب ان يستعيذ بالله مما حمله ويشكره على ما عصمه لا يهدا
فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه الحوائج
تشغل عنه وهو مشغول بعضهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف (بهم)
الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وضيعته ونفقة معيشته
معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع مملكته وكل ما رتق فيها من
هول شيء من مملكته انفتق اخر وكلما رتق منها شعبا انفتق اخر
وكيف يقمع عدوا ان صح له اعداء الى ما يجب بينهم من الحلال والى
الناس ويقاضيه من خصوماتهم ونصب الولاة والقضاة وبعث
الجيوش وسد الثغور واستيفاء الاموال ورفع المظالم ثم من الحجب
الحجاب ان له بعضا او اهمله وانما برزا من الحجب فوقتها اشتغل بين الواحد
الرعايا ثم يسأل غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه فبالله لعجب
من رجل رضي ان ينال رغيفا ويحاسب منها على الالاف الالاف ويأكل
في معا واحدا ويحاسب على الف الالاف ومن هذا التمثيل جميع ا
اهواله يحمل اثقالهم ويردع اشرارهم ويجاهد عدوهم ويسد
ثغورهم ويدافع مناصبهم ومناويهم ويعصي ربه فيهم ويخاف
لمرله ومركب تهيبه من اجلهم ويقتحم جراتهم جهنم على بصيرة فيهم
ثم يجدهم له قائلين وعنه غير راضين ولولا ان الله يحول بين المرء و
وقلبه لم يرض بهذا عاقل منزلة ولم يختر هاللبيب لنفسه مرتبة
وكل ما ذكرته في هذا الباب اخذه النبي صلى الله عليه وسلم في كلمة

فقال

وقال ما انكر ولا مراية لكم صفوا امورهم وعليهم كدره ومثال
السلطان مع الرعية كالسراج مع الاكلة عليه الغناء ولهم الهناء
وعليه الحار ولهم النفار طلب القوم الراحة فخلصوا على التعب طلب
القوم الراحة والنعيم فاخطأوا الطريق المستقيم وعن هذا قالوا
سيد القوم اشقاهم وفي الحديث ساقي القوم اخرهم شربا وكان
بعض السلاطين يسير يوما ويتبع به الوزعة اذ نظر الى جماعة من
التجار فقال للوزير اعجب ان ليت ثلاثة كتوا بها كما يعز لهم امر
الدنيا والاخرة وما يعز لهم دنيا بلا اخرة وما يعز لا دنيا لهم
ولا اخرة قال وكيف ذلك ايها الملك اما الذين لهم الدنيا و
والاخرة فهؤلاء التجار يكتسبون اقواتهم ويصلون صلاتهم ويو-
بونه وراحدا واما الذين لا دنيا لهم ولا اخرة فهؤلاء الشرطة وا
والخدمة الذين بين ايدينا واما الذين لهم الدنيا بلا اخرة فانا
وانت وسائر السلاطين محمولون على جميع الورى ان عدل والسلطان با
لمنا [illegible] ويخصوا بالاعوان ويعيشون في سائر الحالات ويكونوا
له اعينا ناظرة وايديا باطشة واجنحة وافية والسنة ناطقة
وقوادم تنهضه وقوائم تقله وهيهات منه السلامة وانى له با
لسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لا تجتمع العمل ان
السلطان والجنة لا يجتمعا وهذا رجل له قدر قال ارسل
النبي السلطان [illegible] ولذا راد ها لبعض اصحابه [illegible]
ذلك وراجعت الرسول غير مرة وقال في ذلك [illegible] فانه لا خيلة
للبابر السلطان لا يجتمع في الدنيا عار ولا في الاخرة نار وروى

اللهم صل على الحبيب محمد

عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه لما ولي الخلافة اخذ المصحف ووضعه
في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ويقال ان هرون الرشيد كان يقول
والله اني لاحب ان احج في كل سنة وما يمنعني الا رجل من ولد عمر يسمعني
ما اكره وقال مالك بلغني ان في بعض الكتب القديمة يقول
الله تعالى من احلم من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اغر ممن اغتر بي
يا راعي السوء قد جعلت لك غنما سمانا صحاحا فاكلت اللحم وشربت
اللبن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم
تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

الباب الثاني عشر في بيان الحكمة في كون
السلطان في الارض

اعلم وفقنا الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله عظيمة ونعمة
على العباد جزيلة عظيمة لان الله تعالى جبل الخلق على حب الانتصاف
وكراهة الانتصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت في الماء يزدرد الكبير
الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر
ولم تستقم لهم معايش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض
الحكماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله في اهل الارض من حاجة
ومن الحكم التي كانت في اقامة السلطان انه من حجج الله سبحانه على وجو
وجوده ومن علاماته على توحيده لانه كما لم يكن استقامة امر العالم
واعتداله من غير مدبر ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وتد
بيره وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم
اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم

الهلاك

الا هلك العالم والعالم باسره في سلطان الله عز وجل كالبلد الواحد
في سلطان اهل الارض ولهذا قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه امران
جميلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما
الملك والرأي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأي بالتفرد ومثال
السلطان القاهر لرعيته ورعيته بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير
وحوله اقوام من الخلق يعملون صنائعهم فبينما هم كذلك طفئ
السراج فقبضوا ايديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك
الحيوان الشرير وخشخشت الهوام الخسيسة فدبت العقرب من مكمنها وخشخش
وبعثت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص
بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطالت
فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهرا للرعية كانت المنفعة
به عامة وكانت الدماء في اهبها محقونة والحرم في خدورها مصو
نة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الضعيف محمي
والمراعي خصبة والحيوان الشرير من اهل الفسوق والدعارة
خامل اذا اختل امر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو
جعل ظلم السلطان حولا في كفة ثم جعل فساد الرعية وتظالمهم
وهرجهم في ساعة او اختل امر السلطان في كفة كان هرج الس
السلطان ساعة اعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا
وفي زوال السلطان او ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسب
الجهال وتعلو اهل العداوة والسرقة واللصوص والفساق والسرقة
فقال الفضيل بن عياض جور ستين سنة خير من هرج ساعة

ولا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور ومخيف
على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في صلاح السلطان وان تبذل له نصحها
وتخصه بصالح دعائها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاد وفي فساده
فساد البلاد والعباد وكان العلماء يقولون ان استقامت لكم الا
امور السلطان فاكثروا حمد الله وشكره وان جاءكم منه ما تكرهونه
وجهوه الى ما تستوجبونه من ذنوبكم وتستحقونه بآثامكم و
اقيموا عذر السلطان في انتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من
ضبط جوانب المملكة واستيلاف الاعداء وارضاء الاولياء وقلة
الناصح وكثرة المدلس والطامع وفي كتب التاج هموم الناس صغار
وهموم الملوك كبار والباب الملوك مشغولة بكل شيء والباب
السوقة مشغولة بايسر شيء والجاهل منهم يعذر نفسه على ما هو
عليه من قلة المؤونة ومن هذا يعذر الله سلطانا تدور به هذه ويحق
وعن هذا قالت حكماء العجم لا يستوطن الا بلد فيه سلطان قاهر وقاض
عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره

قالت حكماء العرب والعجم مثل السلطان في جنب منافعه مثل
المطر الذي هو سقيا الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد
يتاذى به المسافر ويتداعى به البنيان وتكون فيه الصواعق وتدر
سيوله فتهلك الناس والدواب وله تعمير ويموج به البحر فتشتد
بليته على اهله فلا يمنع ذلك الناس اذا نظروا الى رحمة الله تعالى في

ويموج

آثار

في الارض

في الارض التي احياها والنبات الذي اخرج والرزق الذي بسط
والرحمة التي نشرها ان يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويلغوا
ذكر خواص الاذاية التي دخلت على خواص الخلق ومثاله ايضا
مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى فتثير السحاب وتجري في
السحاب ويجعلها لواقح للثمرات ورواحة للعباد يتنسمون
منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتوقد بها نيرانهم
وتسير بها في البحر افلاكهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم
وبحرهم وتخلص الى انفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتاذى
بها كثير من الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلها من قوام عباده وتمام
نعمته ومثاله ايضا مثل الشتاء والصيف الذي جعل الله تعالى
حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمرة
يجمعهم البرد باذن الله تعالى ويخرجهم الحر باذن الله تعالى فتصلح
على اعتدال الى ما خلق له من منافعها وقد يكون للناس في حرهما
وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما وهوامهما ومع ذلك لا ينسبان
الا للنفع والصلاح وقد عم صلاحهما اذا اتيتهما ومثاله ايضا
مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة و
سباتا وقد يستوحش له اخو القفر ويسارع فيه اهل الدعارة
والفساد ويعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات
الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى الحر نعم الله تعالى عليهم
به ولا يعد في صغير ضرر يكثر نفعه ومثاله ايضا مثل النهار
الذي جعله الله تعالى ضياء ونشورا والتماسا للاقوات وقد

Copyright © King Saud University

والشخوص

يكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشخوص والخصو
مات فيستريح الخلق فيه الى اجل ثم يتبين لهم نعمة الله تعالى
عليهم فيه وهكذا كل شيء من امور الدنيا يكون ضررة
عاما فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا وميسورها من غير
معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا نصب فيها ولا تعب
قال الشاعر

لا فرح شيء خالص نفعه فالغيث لا يخلو من العيث

الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد
فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة ففرقت في جميع
اجزاء الجسد فامن الجسد من الالم واستقامت الجوارح والحواس
وانتظم امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها فشا في
الجسد فتسري الى الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال فيعطى
كل عضو منها قسطه من الفساد فتمرض الجوارح وتتعطل
فيتعطل نظام الجسد ويؤول الى الفساد ومثال السلطان مثل النار
ومثال الخلق مثل الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما
كان منها مائلا احتاج الى النار ليقوم اوده ويعتدل عوجه وان فعل
النار ثم يلزم الخشب قبول الاعتدال فينبغي قلعه واذا كانت النار
معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في احواله ان امره اهل
الخلق فان ميلهم يستقيمون او اعتدل اعتدلوا ومثاله ايضا مثال

عين

٥٥

عين خرارة في ارض خوارة فان هي لم تسر به وعذب طعمه وت
سلمت من الكدر والفساد واصاب مكانه الارض وانتفعت الا
فيا صربان شربته عروق الاشجار فاغتذت به كثيرا فغلظت له
سوقها وتفرعت اغصانها واستدت افنانها ثم اخرجت اوراقها
وابرزت ازهارها ثم تولدت ثمارها فجاءت على احسن ما عهد
كثرة وطعما ولونا ورائحة فينتفعون به العباد واكلت حظوظها
البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز منها اقواته واتسع
واستقام النظام وان كان فيحوا اثر الارض ما يرى من الانبات وا
والنفع ويكثر على الزكوة والريع وكان فيه من الشجر ما ينبو عنه
ويقل نفعه كان ذلك الغالب من نفسه واطلع ما في فواله ولم يغادر
ممكنا الا وفاه وان كان في الغير كدرا وفسادا او ملح شربتها
الاشجار كذلك ففسد مزاجها واضر بجذر العاسد بالطيب و
فدقت سوقها وضعفت اغصانها وتغيرت اوراقها وقلت ازها
رها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة فوراقه
رها ردي طعمها كاسد لونها فدخل بذلك من النقص على جميع ال
الحيوان مثل ما دخل من المنافع عليهم في الاول وبهذا
قال الرسول عليه السلام ان الحصل يموتون هزلا في حجرهم من ذنب
ابن ادم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء عنها قطرها
ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والدواب

الباب العاشر في معرفة خصال وردت الشريعة بها فيها نظام العالم واثرون

Copyright © King Saud University

جامعة الملك سعود
عمادة شئون المكتبات
قسم المخطوطات

وهي ثلاث الكبر وترك المخاطبة والمشاورة وان لا يستعمل على الا
عمال والولايات راغبا فيها ولا طالبا لها ولتعلم ان الله سبحانه
ما فيها من امر انتظام الملك واستقامة الامر نص عليها الله ورسوله
اعلم ان هذه الخصال من اسباب الملك وقل من يعمل بها من الملوك
اشتقت ونزلت من السماء واحرى فانها الرسول صلى الله عليه وسلم
فاما الاول فهي قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر وفي الاية اشارة تدل على ان المخاطبة تنفر
الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما المطلوب في
تجليه اصحابه وحشمه واتباعه واهل خاصته التعزز للا
ولياء ويجمع بها الاتباع فيحصل كل في سلطانه وخضعها والاخر
حتى امر بعبثها ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع الصحابة
فجاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكي
فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجبتك وفي ذلك دليل على انه ما امتاز عنهم في المجلس ولا بان منهم في
مقعد وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح تهول
اصواتها فتتعاظم لها الشجر وفي القوة بكسر الاغصان والماء يلين
في اصول الشجر فيقلعها من اصولها وانه اذا كانت المخاطبة سمجها و
صعوبتها وتغييبها في حجرها ترفق بالكلام حتى تستعطف
فتخرج والاذعان اخرى ان يختال بلين القول وحسن المنطق واما

ارجى

منهو

ارجى ان تشفع من نفسي في الملك وبكل كلمة سيئة قالها كلمة
حسنة تثنى عليه والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر
فاذا قيل لك كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم وواجب عليهم
مشورته وان لا يعطلوا امره ونهيه قلنا هذا ادب ادب الله به
نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله مادة يقتدي به الملوك والخلفاء
والائمة من امته علم الله تعالى ما في المشورة من حصول الاخذ بالمجلس
وسلامة قلوبهم في الامور وان يعرفوا الجلساء والنصحاء والوزراء فيصلح عليه
وتقبل اليه وتحصل عنوة بين يديه فشرعه لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولغيره من الائمة من ملته الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة
فامرهم بالنزول فقال سعد يا رسول الله ان كان هذا بامر فسمعا
وطاعة وان يكن على غير ذلك فليس بمنزل فسمع النبي صلى الله عليه
وسلم منه وقال ارتحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجل ملوكا كانوا
او سوقة الاستبداد بالراي وترك المشاورة ويستعفف للمشاورة ولا
بالله ان شاء الله تعالى والخصلة الثانية ما روى البخاري ومسلم
وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا لا نستعمل على عملنا من اراده والسر فيه ان الولايات
امانات وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم والنفس تعلي الامانة
ـه لبل على الخيانة وانما يحفظها من يرى ثقلها واذا ائتمن خلقا
من علم موضع الامانات كان كمن ائتمن الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة
تعسف قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا انتقضت حقوقهم و
واهلكت اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعاء

ن

وا

وذكروا أن ولاة الملوك بالعدل والإحسان فكما قالوا البيت الذي
أنشده الأوائل

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وإذا خان الأمين الأمانة وفسد أهل الولايات
كان الأمر كما قيل

[illegible] ... [illegible] في المزونة

وآخر:
بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح إن حلت به الغير

وقال آخر:
ذئب تراه مصليا ... فإذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ... ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلى ... إن الفؤاد قد انقطع

ومن أشراط الساعة الحرص على الإمارة والتصدي لها وخطبة
الولاية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أشراط الساعة
أن تكون الزكاة مغرما والأمانة مغنما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تزال أمتي ما لم تر الفيء مغنما والصدقة مغرما وقال مغنما
علي رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا يعرف فيه إلا الباطل ولا يكون
فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يتخذون الفيء مغنما والصدقة
مغرما وصلة الرحم منة والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك
يكون سلطان النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان فخشية الدعاء
عليه الضعيف وأهل الصلاح وفعله بلا ظلم ساد الشر وقام عليه
القوي وقبح تداركه عند الجماعة وتعذر الراحة منه وتعذر من صلح
يصلح لها الموالاة

الباب الحادي عشر

الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطنة ودعامات له وهي [illegible]

فأول الخصال وأحقها العدل الذي هو قوام المملكة ودوام الدول وأس
كل مملكة سواء كانت نبوة أو سلطانية اعلم أرشدك الله أن الله
تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل
بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل فقال عز من قائل إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى فلو وسع الخلق العدل ما
قرن الله به الإحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل فكيف يصلح
إذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان من الله تعالى في الأرض يؤخذ
به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان من
الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال ميزان الله
تعالى الذي وضعه من القبائل بالنقص فقد تعرض لسخط الله سبحانه
واعلم أيها الوالي أن العالم بمنزلة رجل من أشد الناس وقلبه وزيره
ووزيرك ويد الملك أعوانه ورجلاه رعيته وروحه عدله فيما يتفرق
جسد بلا روح وإذا ارتفع ذلك العدل انقطع أمر الرعية ثلاث
أنفس كبير ووسط وصغير فاجعل كبيرهم أبا ووسطهم أخا له
وصغيرهم ابنا فبر أباك وأكرم أخاك وارحم ابنك فلذلك واصل
بذلك الذي بدأ الله تعالى وكرامته ورحمته عدل الملك يوجب الاجتماع
عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي
منشور الحكمة سلطان جائر أربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة

Copyright © King Saud University

اللهم صل على الحبيب محمد وآله

من نهار، إذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد منه. فضل
الملوك في الأعطاء ونشر فضائل العلم وعز طالب العدل عند السلطان
ثلاثة أشياء مشاورة النصحاء وتبديل الأعوان وإقامة سوق العدل
أفضل الأزمنة أزمنة أئمة العدل ثم العدل في نفسه قسمين قسم إلهي
جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام عن الله سبحانه وقسم ثاني
ما يشبه العدل وهي السياسة الاصطلاحية التي هم عليها التكبي
وينشأ عليها الصغير ويعسر أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية في
حال إيمان أو كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للأمور ثابت ونحو ذلك مما لا يجوزه
ولا يبكي. **وقد ذكر** في أول الكتاب أن سليمان بن داود عليهما السلام
سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لأحدهما خاصة بسليمان عليه
السلام فقال في نفسه وددت أن يكون الحق لخاصتي فأفضي له
فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه فجعل بعد الإيمان
قسا قلبه فيسقطه عنه جميع الأعيان المقيدة لعصيانه ويقوم
له جميع الشرائع التي تقوم بها المملكة. **قال** علي بن أبي طالب
رضي الله عنه إمام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير
من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم. **وقال** ابن
مسعود إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليه الشكر وإن كان جائرا
فعليه الوزر وعليك الصبر. **وقال** سليمان بن داود عليهما السلام
السلام الرحمة والعدل يجدد الملك واتفقت حكماء العرب والعجم
على هذه الكلمة فقالوا الملك بناء والجند أساسه فإذا قوي الأساس
دام البناء وإن ضعف الأساس انهار البنيان فلا سلطان إلا بجند ولا جند

الإجمال

إلا بمال ولا مال إلا بجباية ولا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل
فصار العدل أساسا لسائر الأساسات. **فائدة** العدل النبوي في جملة
القول فيه أن يجمع السلطان إلى نفسه حملة العلم الذين هم حفظته
ورعاته وفقهاؤه وهم الأدلاء على الله تعالى والفقهاء القوامون بأمره والحافظون
يحفظون حدود الله والناصحون لعباد الله. **وروى** أبو هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين
وعامتهم فأغنوا بها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدور
المملكة بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء والخلق بعد لأئه و
عموده بين هاتين الخصلتين يقوم عموده ويكون أمره فكيفما
لا وقد قرنهم الله في سلطانه واصطفاهم في خاصة معرفته **فقال**
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط
فبدأ بنفسه سبحانه وتعالى وثنى بملائكته وثلث بأولي العلم و
هم ورثة الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما
ورثوا العلم فيجب توقيرهم وتعظيمهم امتثالا لأمر الله تعالى وتعظيما لمن
أثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم على من سواهم
قال الله سبحانه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات فتكون فيه الشفاعة لهم في الوعيد وخصوص قبائهم لسلطانهم واجتماعهم
عهم على محبته وتوقيره **فواجب** على السلطان أن لا يقطع أمرا دو
نهم ولا يفصل حكما إلا بمشاورتهم لأنهم أمناء الله تعالى في شيء يعتقده
يتصرف وأقل الواجبات على السلطان أن يتزين بمجالسه مع العلماء

الله سبحانه منزلة لا ترفعه إذا خالفه وإليه أمره وما رئي من
أحكم له عقله ولم يأمن سطوته وإذا امتثل أمره وازدجر عن زوا
جره حل منه محل الرضى فمن اجتهاده لم يغضب على ابنه إذا خالفه ثم
لم يعاقب بشهوة نفسه عليه إذا خالفه فهذا أحرى لإقامة العدل
الشرعي في السياسة الإسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة بالأزمة
السالمة من العيوب المعهودة لا سيما في أمة الدنيا والدين وكمال الملك إذ
الحازم لا يثق بحزمه إلا بعد مشاورة الوزراء أهل الخبرة ولذلك لا يثق بعقله إلا بأهله بمشاورة
باستشارة العلماء الأبرار وقد وقع المأمون في فتنة فتخلص منها بمن
مشورة بالعقل عن تعنت بالعقل فإن الجوهر معادنه الاعتداد
العقول قوة القلب وطيب النفوس وبروز اليقين وأمارة العدو وقد
استأذن رجل من مصر على عمر رضي الله عنه لم يجد عنده حاجبا وكانوا بالقيل
بهو في المسجد فأتى المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كومة من الحصباء
ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فنمت وقال الحسن ابن فتنة
عثمان بن عفان وقد جمع الحصباء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند رأسه وقد وضع أحد جانبي ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين
ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل حمص إلى عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه أن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى الإصلاح فكتب
إليه غيرها حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور والسلام وقالت الحكماء
من حرم العقول فلا حيلة ولا للتوثب في سلطانه وقال يحيى بن أكثم ما بت
المأمون في بستان والشمس عن يمينه والمأمون في الظل فلما رجعنا وقد
وقعت الشمس أيضا علي فقال لي تحول مكاني وأتحول مكانك حتى نكون

في الظل

٥٩

في الظل كما كنت وأكون كما كنت فإن أول العدل أن يعدل الرجل على
بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل إلى الطبقة السفلى
فعزم علينا متخوفين وكان يقال ليس شيء أبعد من ملك الغاضب وقيل
للإسكندر لو أكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال إنما
يحيى الذكر بالأفعال الجميلة والسير المحمودة النبيلة ولا يحسن بمن يغلب
الرجال أن تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل حصنا كان
له أحسن جنة ومن استشعر حلية العدل استكمل رتبة الفضل وقال
وقال الحكيم لا يزال السلطان معظما حتى يتخطى إلى أركان العما
رة ومباني الشريعة فحينئذ يرفع الله سبحانه يده وقالوا لا
تظلمن الضعفاء فتكون بيد أقويائك وقال بعض الحكماء أمير
بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كأرض بلا نبات وشاب بلا تو
بة كشجرة بلا ثمرة وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا
صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال حكيم
اتفقت ملوك العجم على أربع كلمات أن الطعام لا يؤكل إلا على شهوة
والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها والملك لا تصلحه إلا الطاعة والرعية
لا يصلحها إلا العدل وأحق الناس بإجلال نفسه على العروش الملوك
الأقربين يعولهم بعدل من دونهم وأنه من إذا قالوا وفعلوا كان ما فعلوا
غير مردود وقالت الحكماء ثم ما تشتبك الأنطاف وإذا زعيم ذهب الظفر
بدوا النظام عن شيء إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة وقال الحكيم شر
الزاد إلى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا البعد وأن يمل العباد
السلطان إرادة بعد القتل وجبر أن يذكر فيقيم سوق العدوان

Copyright © King Saud University

احب ان يلقى الله وشرب الخمر لذ عنده فليعزل وان اجتمعا
جميعا فليعزل الخصلة التي يخلد بها ذكر الملوك على غابر الدهر
هو ودوام الزمان عدل واضح او جور فاضح هذا يوجب له الرحمة وهذا
يوجب عليه اللعنة **فصل** واما القسم الثاني من العدل فهو
السياسة الاصطلاحية وان كان اصلها على الجور فيقوم بها امراء
الدنيا وكانها تتشاكل مراتب الانساب على نحو ما كانت عليه ملوك
ملوك الطوائف في ايام الفرس وكانوا كفارا بالله تعالى يعبدون النيران
ويتبعون هواجس الشيطان فتواضعوا بينهم سننا واستنوا بينهم
احكاما واقاموا لهم مراتب في النصفة من الزعماء والسفهاء والخرا
جات وتوظيف المكوس على التجار لكانت تعقودهم على وجوه ما
انزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها برهانا تابعوا انه اجرى
الشيء بعض من عند الله تعالى على لسان رسوله صاحب المعجزات محمد صلى الله
عليه وسلم فمنها ما اقرته في شريعته ومنها ما نسخته وابطلت حكمه
فجاءت الحكمة البالغة الى امر الله سبحانه والحكم بما انزل الله
سبحانه وبطل ما سواه فكان ملكهم محفوظا بامر ما بينهم للعفو ايش
انما وقع بينهم فانقطع بذلك عن الاهل فكانوا يقيمون بها واجب
الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم **وبهذا** بقي السلطان
الكافر الحافظ لشرائط السياسة الاصطلاحية اقوى من السلطا
ن المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة النبوية الشرعية والجور
المرتب من العدل المهمل اذ لا شيء اصلح لامر السلطان من ترتيب الامور
ولا شيء اجهز له من اهمالها **واعلم** ان دهماء يوهن من ان عنه على

وجه

٦٠

وجه الاهمال الشرف وان كان عدلا افسد القلوب بها من عشرته
فيوخذ منه السياسة على نظام معروف ورسم مألوف وان كان جورا
فلا يقوم سلطانه لاهل الايمان ولا لاهل الكفر الا باقامة العدل النبوي
وما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي **وقال** ابن المقفع الملوك
ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل
المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيهم بمنزلة الراضي واما
ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذ
الذليل مع عزم القوي ولا يسلم من الطعن **واما** ملك الهوى فلعب
ساعة ودمار دهر **ولقد بلغنا** ان ملكا من ملوك الهند نزل به
صمم فاصبح مسترجعا مهموما لامور المظلومين وانه لا يسمع
استغاثتهم فامر مناديه الا يلبس احد في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم
ثم قال لئن منعت سمعي لم امنع بصري فكان كل من ظلم يلبس ثوبا
احمر ويقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته **واخبرني** ابو ال
العباس الحجازي وكان معمرا دخل الصين بسيرة عجيبة غريبة لملوكها
في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك فيه ناقوس مو
صول بسلسلة وطرف السلسلة في خارج القصر وعليه امناء
السلطان وحفظته فياتي المظلوم ويحرك السلسلة فيسمع ا
الملك صوت الناقوس فيامر بادخال المظلوم وكل من حرك السلسلة
نفسه او ليلة العطلة حتى يدخل على السلطان

الباب الثاني عشر في التنبيه على الخصال التي زعم الملوك انها زالت ولتحرز منها

Copyright © King Saud University

سلطانهم ايها الملك امرض كل الجرم او تكون جزا
بالجور عما الجبار العسى يعرف من خبرته به فقال ان نصيبه عفو بنا وا
والحصين بينبغي بعرفته به فلا وبانيه ثوابا قال ابو جعفر
المنصور ما زال امر بني امية مستقيما حتى افضى امرهم الى ابنائهم
المترفين فكانت همتهم من عظيم شان الملك وجلالة قدره قصد
الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله تعالى ومساخطه
جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله تعالى
العز ونقل عنهم النعمة قال عبيد الله بن مروان بن مروان هذا هو
المعروف بمروان الحمار وهو اخر ملوك بني امية فقتل في ارض مصر
في كورة ابي صير قال لما زال ملكنا وهربنا الى ارض النوبة فيمن
اتبعني واصحابي فسمع ملك النوبة بخبري فجاءني وقعد على الارض
ولم يقعد على فراش افترشته فقلت له الا تقعد على ثيابنا فقال لا فقلت ولم
قال اني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لله تعالى اذ رفعه الله
فقال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة ولم تطئون الزرع بدوابكم
والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون
الحرير والديباج وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل
انصارنا بقوم من الاعاجم دخلوا في ديننا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك
على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله تعالى عليكم وظلمتم
فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ
غايتها واخاف ان يحل عليكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم

وانما

وانما الضيافة ثلاثة فتزودوا ما احتجتم اليه وارحلوا عن بلدي
وسئل ابن زجحم ما بال ملك ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان
فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال لانهم قلدوا كبار
الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكماء موت الف من العلية
اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال زوال الدول
باصطناع السفل وقال الشافعي رحمه الله تعالى اظلم الناس
لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالا
شراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض الملوك بعد زوال ملكه
ما الذي سلبك ما كنت فيه دفع عمل اليوم الى غد والتماس عدة
بتضييع عدد وسئل ملك بعد ذهاب ملكه ما الذي سلبك ما كنت
فيه قال ما عطينا من بكر وبطغاء ورفع عمل اليوم الى غد وسئل
بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم قال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا
فاثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا ففسدت نياتهم لنا
وتمنوا الراحة منا وحمل على اهل خراجنا فقل دخلنا وابطل عطاء
جندنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان
اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء اسرع
الخصال في هدم السلطان واسرعها في فساده وتفريق الجمع عنه
اظهار المحابات لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبائل ومعتني
اعز في قبيلة فهو بأمر قبائل وهو يا قبيل المحابات بفسده ود
وقال بهرج الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد

Copyright © King Saud University

ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحسبك بهما زوال العز فقيل لمسلمة
بعد ذهاب ملكه ما الذي اذهب ملككم قال ثقتي به ولني والبعيد
اخر بمعرفتي واستعملت اشباهي واعجابي بتدبيري واضاعني الحيلة
في وقت حاجتي والثالثة عند محلتي ومما اجيب به مروان الجعدي و
وهو آخر ملوك بني امية فقيل له هذا لو علو دولته ما نصرت وكفى بها
كفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه فسيل وكلوا من الشرار اولاد
الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر ا
صابه ما ترى وسئل بعض العلماء ما الذي ذهب بدولة بني مروان فقال
تحاسد الاتباع وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد بن عمر كان يحب ان يضع
من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يرد عليه
من اخبار خراسان فلما راه لا نصر بن سيار قال

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها الكلام
فقلت تعجبا يا ليت شعري ... أأيقاظ امية ام نيام

وكان دعاة بني العباس يسيرون في ستورهم ولا تصل اخبارهم الى سلاطين
بني امية.

الباب الثالث عشر في الصفات التي زعم الحكماء انها لا تدوم معها مملكة

ومن اعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا
ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل والكبر يكون بالمنزلة
والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب

يستكثر

يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك بذلك من رذيلة تمنع
من استماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف
وكل كبر ذكره الله تعالى في القرآن فمقرون بالشرك قال النبي صلى الله عليه
وسلم للعباس انهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يح
تجب منهما وقال ازدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صا
حبه اين يذهب به فيصرفه الى الكبر قال الاحنف بن قيس ما تكبر احد
الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه
قال الشاعر:

وتيه جلال عن الروح لا عن غضاضة ... ولا كبر ان يقال به كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك
وان اعدائي مثلك في حقيقتك وقالت الحكماء لا يدوم الملك مع
معظم النقائص من يغير سائر قومه ومن احمق ومن عشيرته منهم لا
فرح بزهد سبب الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الاحمق المطاع
فالواو لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة
واعظم من ذلك ان الله سبحانه حرم الجنة على المتكبر فقال سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واما العلو فلا يكاد احد
يسلم منه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعها من دخول الجنة
وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا قط الا تحول دائه في الذي اتكبر
عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم تستقم حاله
ومن ابغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهته الحماة تطاول

Copyright © King Saud University

اليه الاعداء واما الاحتجاب فيحمله على ذلك الاستبداد وترك المشورة
للرجال ومن الصفة التي لا تقوم معها مملكة الكذب والغدر والـ
والغضب والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال
لا تغتفر من السلطان الكذب والغضب والحسد والجور والبخل والجبن
فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم تخف
سطوته ولا بقاء للسلطان لا يرهب وقالت الحكماء خراب البلاد
وفساد العباد مقرونان بما كان الوعد والوعيد من الملوك والكذب
اسقط الاخلاق واغلب شيء على صاحبه واحرى ان لا ينزع عنه لضراوته
قيل لاعرابي لم لا تكذب قال لو تغررت به ما تركته وهو نوع من الغش
وضرب من الخذلان واصل لاستجلاب المقت وهو اضعف اركان الخلفاء
ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا استعمل كذبة طائحة
نسبت اليه قال الشاعر

حسب الكذوب من المهانة … بعض ما يحكى عليه
واذا سمعت بكذبة … من غيره نسبت اليه
لي حيلة فيمن ينم … وليس في الكذاب من حيلة
من كان يخلق ما يقول … فحيلتي فيه قليلة

قال الله سبحانه انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واما
الحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف احدا واذا ضاعت الاشراف هلك
الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم … ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخيل فانه اذا كان بخيلا لم يناصحه احد ولا تصلح الولاية الا بالمنا

صحة

صحة وليس يمانعه ان يبخل لان بيوت الاموال بيده واما
الجبن فانه اذا كان جبانا اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره
واذا كان حديد الغضب او مزورا به ان يغدر به هلكت رعيته
وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولقد دخل ابن
عجلان على مصعب بن الزبير فضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال ابن مصعب
ان شاء الامير اخبرته بما انزل الله تعالى على عيسى عليه السلام قال
لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه
يلتمس العدل قال الاوزاعي يهلك السلطان بالاحتجاب والاحتجاب
واما الاحتجاب فقد ذكرناه واما الاحتجاب فهو اوحى الخلال في
هدم السلطان واسرعها خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان
فكانه قد مات لان محجبه موت حكمي وتعبث بطانته في ارواح الـ
الخلق ووجوههم واموالهم لان الظالم قد امن ان يصل المظلوم
الى السلطان ومعظم ما رأيناه في اعمارنا وسمعنا ممن سبقنا في
خول العباد على الملوك من حجبتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الر
عية في سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهنالك
سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بكثرة الحجاب
والابواب وجعلت دونهم حجابا مشيدة وحصنا من الحجارة والطين
مانعة دافعة وباب الله تعالى مفتوح للعباد ليس بينهما حاجب
ولا بواب قال الله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية
ليس بين ان يملك السلطان الرعية او يملكه الا الحزم والتواني وكفى
له ان يكون شهوة في غير امراته وبر في غير امته وقيل من حق

ابى الحلوة احزم وقال من لم يجد له هزله وقهر لبه هواه وا
واعرض عن ضيع فعله ولم يعتذر عن زلة عن هفوة ولا غضبه عن
كبده وقال بعض الحكماء زوال النعم وزوال اصطناع الشغل من كان
عدوا لله زال سلطانه وقالوا من لم يستكثر بالفقه لم ينتفع
بالحكمة وقال يحيى بن خالد البرمكي وجدت بعض الحكم من
البلاغة بعض الجهل مع التواضع خير من العلم والسخاء مع الكبر
فما احسنه غطت على سيئتين والفاقة غطت على حسنتين

الباب الرابع عشر في الخصال
المحمودة في السلطان

وفيه اتفقت الحكماء والعلماء عليها فقالوا ايها الملوك ارفعوا
قدركم عن عدول مخلوق بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدول مثلها
فانها انكا فيه من الغارة الشعوا وقال معاوية لصعصعة بن
صوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته
عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا
للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للغريب قالوا
والعفة توجب المحبة والفضيحة توجب البغضة والبغضة توجب
العداوة والمتابعة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والامانة
توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب
الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة
والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر
يوجب المقت والتواضع يوجب المحبة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب

الحزمة

اللهم صل على الحبيب

٦٤

المذمة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رخاء الاعمال
والهوينا توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير
يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير يوجب
بقاء النعمة وبالاناة تسهل المطالب وبلين الكنف المعاشرة تدوم
المودة وبخفض الجناح تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب
عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة
وبعدل المنطق تجب الجلالة وبالنصفة تكثر التواصل وبالافضال
يعظم القدر وبصلاح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن
يجب السؤدد وبالحلم عن السفيه يكثر الانصار وبالرفق والتؤدة
يستحق اسم الكرم وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل السادسة
تكسوا اهلها المحبة الفضافضة تخلع عن صاحبها ثوب
القبول من صغر النعمة الحسد لصاحبها على النعمة النكد في
العواقب نجا من لم يعلم نجا ومن صبر غنم ومن سكت سلم
ومن خاف نجا ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم
ومن اطاع هواه تردى مع العجلة الندامة ومع التاني السلامة
من زارع البر يحصد السرور وصاحب العاقل مغبوط وصديق
الجاهل تعب اذا جهلت فسل واذا زللت فارجع واذا امسكت
منعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من بدا لك
ببره فقد شغلك بشكره المروات كلها تبع للعقل والراي
تبع للتجربة العقل اصله التثبت وثمرته السلامة والتوفيق
اصل العقل وثمرته النجاح والتوفيق واجتهاد زوجان

النجح

بالاجتهاد تسبب والتوفيق نجح بالاجتهاد قال الله تعالى و
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كثر تشاغل
كثير من الناس في التوفيق هل هو كسب للعبد وهل الى اقتنائه سبيل
ام لا وان الاعمال كلها تبع للقدر واختارت العلماء اربع كلمات
من اربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم
ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف
كنز والجهل سعد والايام دول والدهر عبر والمرء منسوب
الى فعله وماخوذ بعمله اصطنع المعروف تكسب المحامد تكن موا
المعايب بعد ذلك بكم انصفوا من انفسكم يوثق بكم اياكم والاخلا
في الغيبة فانها تضع الشرف وتهدم المجد نهنهة المجا
هيل الهون من جرير تد راس العشيرة حمل اثقالها واجمعت
حكماء العرب والعجم على اربع كلمات قالوا لا تحمل بطنك ما
لا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامراة ولا تثق بمال وان كثر

الباب الخامس عشر في بيان التي يعز بها السلطان وهي الطاعة

قال ملك فارس لموبذ موبذان ما شيء واحد يعز به السلطان
قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة و
والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل الطاعة والد
والطاعة زينة الملة وكان يقال طاعة السلطان على اربعة او
جه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة وقال حكيم

شعر

اللهم صل على سيدنا محمد

٦٥

بها

شعر العتبي على بعض ملوك حمير قال له شعرنا صلاح الملك
قال المعدلة مثلا بعثه وهيبة وارعد ورعية كما بعث جار
المعدلة جبانة لا نام وفي الهيبة نفي الكلام وبطاعة
الرعية التالف والائتلاف وطاعة الائمة فرض على كل الرعية
طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله تعالى اتقوا الله في
والسلطان بطاعته من اجلال الله تعالى اجلال السلطان على
ذلك كله ان جانب الطاعة توجب شمل الجمع وتنظم امر المسلمين
عصيان الائمة هدم اركان الملة الطاعة ملاك الدين الطاعة
معقل السلامة واربع منازل السعادة الطاعة للطريقة ال
المثلى والعروة الوثقى وقوام الامة وقيام السنة طاعة
الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة
الائمة عصمة لمن ركن اليها وحرز لمن دخل فيها ليس على الرعية
ان تعترض الائمة في تدبيرها وان سولت لها انفسها مل عليها
الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقام الحدود وتؤدى
الفرايض وتحقن الدماء وتامن السبل وفي الحديث طاعة السلطا
ن ومناشدة اهل الدين والنعم والقرآن اذ لا يقوم الدين الا
بسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا بها الامانة عصمة
للعباد وحياة للبلاد اوجب الله من خصه بفضلها وحمله
عبئها الطاعة فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
طاعة الائمة هدى لمن استبصر بنورها ومؤيد لمن حافظ عليها

ح بالسلطان

Copyright © King Saud University

الخروج من الطاعة منقطع العصمة بريء من الذمة مبدل
بالكفر النعمة فطاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم
وجنته الواقية وكفايته الغالبة اياكم والخروج من انس
الطاعة الى وحشة المعصية ولا تضمروا غش الائمة وعليكم
بالاخلاص والنصيحة ما يشفعوا الى السلطان انا اذ لهم اه
الله تعالى قبل ان يعرفوا الطاعة مفروضة بالمحبة طاعة المحبة
افضل من طاعة الهيبة. نظر عيبة على السلطان ان استصلاح
لهم والتفقد لامورهم وحسن النظر فيهم والعدل عليهم
والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة وانا استقامة
والشكر والمحبة والرعية من الحاجة الى الراعي ما البر بالراع
من الحاجة اليهم لولا الرعاية هلكت الرعية ولولا المسيم
هلك السوام .

الباب السادس عشر في معرفة
الخصال التي هي ملاك امور السلطان

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل
يحرزان الملك وقال زياد السلطان ملاكه ثلاثة اشياء الشدة
على المذنب والمجازات للمحسن وصدق القول ولما غزا
سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب بلاده وقتل جنوده
وافنى بها رفته فقال له ملك الروم انك قتلت واخربت فاخبرني
ما الامر الذي سست به حتى قويت على ما ارى وبلغت في
السياسة ما لم يبلغه ملك قبلك من زمانا يظنك لها مرتبته اذ بين

الخراج

الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لا بغا له سابور
لاني لم ازد في السياسة على ثمان خصال لم اهزل في امر ولا نهي
ولم اخلف في وعد ولا وعيد ووليت اهل الكفاية والثقة على
الغناء لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت قلوب
الرعية المحبة من غير جرأة والهيبة من غير ضغينة وعممت
بالقوت ومنعت الفضول فاعترف له واهدى له الخراج وكتب
الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني
ايقظت رأيي وانمت هواي وادنيت السيد المطاع في قومه
ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت الخراج الموفر لامانته
وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من
نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء
فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب
وقال ابو عبيدة اذا كان الملك محضا لسيرة بعيدا من ان يعرف
ما في نفسه متخيرا للوزراء محببا في انفس العامة مكافيا
بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يامنه المجرم كان خليقا
ببقاء ملكه .

النطف

الباب السابع عشر في
خير السلطان وشره

افضل الملوك من كان منزلته بين الرعايا لكل واحد منهم
فيه قسطه ليس احد اهون من احد لا يطمع القوي في حيفه
ولا ييأس الضعيف من عدله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

تأخذ فيه الأمة من آراء المروءة تكون به على تسكين المرتبة
حتى يقضي حاجته وفي حكم الهند أفضل السلاطين من أمنه
البريء وخافه المجرم وشر السلاطين من خافه البريء وأمنه
المجرم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمغيرة لما ولاه
الكوفة يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار وفي حكم
الهند أيضا قالوا شر المال ما لا ينفق منه وشر الإخوان الخا
ذل وشر السلاطين من خافه البريء وشر البلاد ما ليس
فيه خصب ولا أمن وخير السلاطين من أشبه النسر حوله
الجيف لا من أشبه الجيفة حولها النسور وعن هذا المعنى
قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها
وفي أمثال العامة رهبوت خير لك من رحموت وكان يقال شر
خصال الملوك الجبن عن الأعداء والقسوة على الأولياء الضع
الضعفاء والبخل عند الإعطاء وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر جار مقام إن رأى حسنة
سترها وإن رأى سيئة أظهرها وامرأة إن دخلت عليها
لسنتك وإن غبت عنها لم تأمنها وسلطان إن أحسنت إليه
لم يحمدك وإن أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى
أضل وأنا أعلم قال إذا ملكتك أمراء إن أطعتهم أذلوك
وإن عصيتهم قتلوك وقال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك
السلطان سوق ما نفق فيه أتي به إليه وفي كتب الهند
المفزع الناس على من السلطان إلا القليل من بكر للبر والمرو

عنك

عنك فعاقبك فيكسبه لما اتهم روايته فإنه في الأرض
وسمع زياد رجلا يذم الزمان فقال له لو كان يدري ما
الزمان لعاقبه إنما الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكوا
صف لي الزمان فقال أنت الزمان إن تصلح يصلح وإن تفسد
يفسد وفي المثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين
الملك وقال بعض الحكماء إن أحق الناس أن يحذر العدو الفا
جر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال ابن جهم
أدوم التعب صحبة السلطان الشيء الخليقة وقال بعض
الحكماء إذا ابتليت بصحبة السلطان لا يريد صلاح رعيته
فقد خيرت بين خصلتين ليس فيهما خيار إما الميل مع الوالي على
الرعية فهو هلاك الدين ولا حيلة له إلا الموت والهرب
منه وقالوا الملك العادل كالنهر الطامي ينتفع به الأ
شرار والأخيار ولا يضر أحدا والملك القسوة مثل الجيفة
يسرع إليها شرار الحيوان ويتجافاها الناس ه

الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ليزع
بالسلطان ما لا يزع بالقرآن معناه الجيد في وقال كعب مثل
الإسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأو
تاد والأطناب فالفسطاط الإسلام والعمود السلطان
والأطناب والأوتاد الناس لا يصلح بعضهم إلا ببعض وقال

Copyright © King Saud University

أوصى شبيب ابنه يا بني إن الملك والدين أخوان لا غناء لأحدهما
عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فمهدوم وما
لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب
وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه
ولتكن من أهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توأمان

الباب التاسع عشر في خصال
جامعة لأمر السلطان

قالوا يجب على السلطان أن يعود على فقراء رعيته ويكون
في حروبه على حسب جوده في عساكره وإصلاح الرعية
أنفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه إنصافه
وسلاحه كفايته وماله رعيته وقالت حكماء العرب لا ظفر
مع بغي ولا صحة مع نهم ولا ثناء مع كبر ولا شرف مع سوء
أدب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا [illegible] بدون
دراية ولا حكم مع عدم فقه ولا سؤدد مع انتقام ولا ثبات
ملك مع تهاون وجهالة الوزراء ولما ولي أبو بكر الصديق
رضي الله عنه وخطب قال أيها الناس إنه لا أحد أقوى
عندي من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا أضعف من الظالم
لي حتى آخذ الحق منه وقيل للإسكندر بم نلت ما نلت
قال باستمالتي الأعداء والإحسان إلى الأصدقاء وقال
ابن جمهور سوسوا أحرار الناس بمحض المودة والعامة
بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة وقال المؤيد

أن السياسة

٦٨

أن السياسة التي فيها صلاح الملك الرفق بالرعية وأخذ الحقوق
منهم في غير مشقة وسد الفروج وأمن السبل وأن ينصف
المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف وقالوا الوالي من
الرعية بمنزلة الروح من الجسد لا حياة له إلا به وكالرأس
من الجسد لا بقاء له إلا به وبعد الوالي من إصلاح الرعية مع
فساد نفسه كبعد الجسد من البقاء بعد ذهاب رأسه
والسلطان حقيق أن يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه
من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغي أن يجعل
الولاية إلا على حسن التدبير وأن لا يحقد لأن الحقد لا يقدر على
أشكاله وأن لا يغضب لأن الغضب والقدرة لقاح الشر
والندامة ولا يبخل لأنه أقل الناس خوفا من الفقر وأن لا يعجل لأن
فوته محل عن المجازاة ولا ينبغي للوالي أن يستعمل سفيها
فيما يكتفى فيه بالسوقة ولا سوقة فيما يكتفى فيه بال[illegible]
ولا جبانا فيما يكتفى فيه بالجراءة وقال معاوية
إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني
لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوها
خليتها وإذا خلوها مددتها ونحو هذا قال الشعبي كان
معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بما يمشي
لا يضع يده إلا حيث يبصر وينبغي أن يعلم رعيته أنه يطلب
خيرها إلا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له أن يدع تفقد صغير
الرعية اتكالا منه على النظر في جسيمها فإن للصغير موقعا

Copyright © King Saud University

يتشفع به وقد اوتي الله تعالى ملك الدنيا سليمان بن داود
عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد
وكان التهاون فيه يسيرا اشار الى الوقوع في الكبير **وقال الشاعر**
لا تحقرن سبيبا كم جر شرا سبب ⁖ **و**قالوا اصل
الاشياء كلها واحد ولا يضع مباشرة جسيم اموره فللجسيم
موضع ان تغفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير ابدا
فيضيع الكبير **وقال زياد** لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك
عن اربع المؤذن للصلوة وصاحب الطعام فان الطعام اذا
اعيد تسخينه فسد وطارق الليل لشيء ما دهى وصاحب
البريد فالتهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة **وقال ابو**
العباس السفاح لا عطلن الحلم حتى لا ينفع الا الشدة ولا كثر
الاعز لخاصتي ما امنتهم على نعامة ولا غمدن سيفي حتى يسله
الحق ولا عطين حتى لا ارى للعطية موضعا **وقال اردشير**
لما كمل ملكه واباد اعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول
كالعبودية ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شيء احوج للعقل
مرغوب وحاجة فيتأمل فيهما صفحات عقله **وكان عمر بن**
الخطاب رضي الله عنه يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين
في غير ضعف والقوة في غير عنف **وقال** الاصمعي قال لي هارون
الرشيد هل تعرف كلمة جامعة لمكارم الاخلاق يقل لفظها و
ويسهل حفظها تكون لاغراضها نعتا ولمقاصدها وفقا تشرح
المشتبه وتوضح المستعجم **قلت** نعم يا امير المومنين دخل اكثم

ابن

ابن صيفي حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له اني سائلك عن
اشياء لا تزال مختلجة بصدري وما تزال الشكوك عليها رائجة
فانبئني بما عندك فيها **قال** ايت العز سالت خبيرا والسنان
بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال فما
السؤدد قال اصطناع المعروف واحتمال الجريرة **قال** فما
الشرف قال كف الاذى وبذل الندى **قال** فما المجد قال حمل
المغارم وابتناء المكارم **قال** فما الكرم قال صدق الاخاء في
الشدة والرخاء **قال** فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل
قال فما الغنى قال الرضى بما يكفي وقلة التمني قال فما
الراي قال لب تعينه تجربة فقال له الملك اروت زنادك بصرت
اذ كنت نار خبرتي فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هي لك **قال**
الاصمعي فقال الرشيد وله بكل كلمة بدرة فانصرفت بالثماني
البدر **وكان معن** بن زائدة يفد على قيس وبكر فقال له
يوما ما افضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال فما افضل
العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال ما افضل المروة قال
استبقاء ماء وجهه قال ما افضل المال قال ما قضي به الحقوق

(اراد)

⁖ الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان ⁖

قال ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي
اربعة نفر لا يكون على بابي اعف منهم قيل من هم يا امير المومنين
قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير

Copyright © King Saud University

لا يصلح الا باربع قوايم فان نقص قايمة واحدة عابه. فاولها قاض
لا تاخذه في الله لومة لايم والاخر صاحب شرطة ينصف
الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي
ولا يظلم الرعية فاني غني عن ظلمهم ثم عض على اصبعه
السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل من هو يا امير المو
منين قال صاحب بريد يكتب بخبر هولاء على الصحة وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان نقصت
واحدة لم يصلح له امره قوة على جمع المال من ابوابه حلاله و
ووضعه في حقه وسهولة الحجاب فيها ولين الكلام في يده

الباب الحادي والعشرون في حاجة السلطان الى العلم

قال ابن المقفع ان اكرم الناس بعقل او سلطان ملا يعجبه
بجهله ذلك بان زوال الكرامة سريع لهما ولا يكون يعجبه
ان اكرم موكل لعلم او امارة او دين. واعلم ارشدك الله
ان احوج الناس الى النعمة اكثرهم عيالا واتباعا
وحشما واصحابا والملوك كلهم يستمدون من السلطان
الخلايق السنية والمراتب العلية يعترفون اليه في ... ا
حكام او قطع التشاجر وفصل الخصوم فهو احوج خلق
الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم والتخصص بالعلم كبلد
بلا اهل وافضل السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة
العلم والتحلي به والتشوق الى سماعه والتعظيم لحملته

التشاجر

أهل

لحملته

لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده
وبعده من البهيمية ومضاهاته للعالم العلوي وهو
من اوكد ما يتحبب به الى الرعية واذا كان الملك خاليا من
العلم اتبع هواه واضر برعيته كالدابة بلا رسن تمر في
غير الطريق وقد تتلف ما تمر عليه واعلم ان زينة ابعد
الغضائل وحسن المناقب وبها التحلي والاضافة للامن مع
المثالب وتحقق الرواية لكان لا يقطع عليه ويحكم منعه
بقدرها وتنبيه من علو المنزلة وقرب الحظوة ويكون
حسنه احسن كما يكون قبحه اقبح وليس احد من اهل
الدرجات السنية والمراتب العلية احوج الى مجالسة
العلماء وصحبة الفقهاء وسير الحكماء من السلطان لان
وانما كان ذلك لوجهين احدهما انه قد نصب نفسه لمما
رسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوما
تهم وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة
بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله ان لم يعرف
هذه الامور جملتها ولم يفهم ماهيتها والثاني ان
من سواه من الناس لا يعدمون من ينكر عليهم ويعارضهم
وينكر لهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون
ذلك مما يبعثهم على رياضة انفسهم ويعلمهم مراشدهم و
ومناظرة العلماء ومعاشرة النظراء تلقيح للعقول وته
ذيب للنفوس وتدريب لماخذ الاحكام بخلاف السلطان

Copyright © King Saud University

لأن لو ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك إذ لا يليق به ولا يجد
لنفسه إلا معظم لقدره ومبجل لشأنه ومساو له بمساواته وما دح له
بما ليس فيه وإنما جرأتهم له صدق رأيه على قدر علو المنزلة
يكون قبح السقطة كما أن على قدر ارتفاع المحاسبة يكون صوت
الوصية. **فصل** يا أيها الملك ليس راحة فوق أن يؤمن بتقوى
الله العظيم ولا أحد دون أن يؤمن بتقوى الله العظيم ولا
أحد أجل قدرا ممن يقبل أمر الله تعالى ولا أرفع خطرا ممن
يتعلم حكم الله تعالى ولا أعظم شأنا ممن يتصف بصفات الله
تعالى. **ومن** صفات الله تعالى جل ذكره العلم الذي وصف به
نفسه وتمدح بسعته فقال عز وجل وسع كرسيه
السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما ذكر بعض أهل التفسير أن الكرا
سي هم العلماء وإذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك والأشرا
ف وذوي الأقدار والشيوخ فيها أولى لأن الفضل منهم أقبح وإذا
ابتلوا بالفضيلة فضيلة. **حكي** أن إبراهيم بن المهدي دخل
على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما
عندك فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر
واشتغلنا في الكبر فقال المأمون لم لا تتعلم اليوم فقال أ
ويحسن بمثلي طلب العلم فقال نعم والله لأن تموت طالبا للعلم
خير من أن تعيش قانعا بالجهل قال وإلى متى يحسن بي طلب
العلم قال ما حسنت بك الحياة. **وروي** أن شيخا من الحكماء
رأى شيخا يحب النظر في العلم ويستحيي أن يكون في آخر عمره

أفضل

أفضل مما كنت في أوله لأن الصغير أعذر وإن لم يكن في الجهل
عذر وبه منتشر وأحكم جهل الشباب معذور وعلمهم محقور فأما
الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح لأن علو السن إذا لم
يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير أفضل منه لأن الأمل
فيه أقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له في
الجهل أفضل منه وكل ما ذكرناه من حاجة الشيخ إلى العلم يجري
في السلطان إلا أنه أكثر دعاوي إلى اكتسابه إلا أنه لا من في
عداه إنما يختص بعيشته للواهي فيفرض عليه تحصيل ما يقوم
به. **والملك** منتصب لسياسة أهل مملكته وتعليمهم
وتقويم أودهم فهو إلى التعلم أحوج. **ولقد قال الشافعي**

∴ إذا لم يكن مر السنين مترجما ∴ عن الفضل في الإنسان سميته طفلا — تسميته
∴ أرى الدهر من سوء التصرف مائلا ∴ إلى كل ذي جهل كأن به جهلا
∴ وما بال في الإنسان إن شيبه ∴ كذا الدراية الغر بالبال الغلا — قد
∴ وما تنفع الأعوام حين تعدها ∴ ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا

وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤيده
عقل مضلة وكيف يستنكف من التعلم وقد ندبه على طلب العلم
وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام إلى مجمع البحرين في أقطار
المغرب على بعد النظارات إلى لقاء الخضر عليه السلام ليتعلم منه
بما خصه به فقال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا فهذا
وهو نبي الله تعالى وكليمه وهذا **محمد** رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصفوته من جميع خلقه قد أوصاه ربه بما ندبه وعلمه كيف يستنزل — يستنزل

Copyright © King Saud University

ما في خزائنه فقال تعالى وقل رب زدني علما فلو كان في خزائنه
شيء أشرف من العلم لنبيه عليه وهذا آدم عليه السلام لما
فخرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها لربها فخر آدم عليه
السلام بالعلم فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فلما
عجز القوم أمرهم بالسجود له وأخلق بخصلة تستحق السجود
لعاملها أن يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فصل الخطاب فمن
ذهب عمره ولا ينصر له عذر ابدا وروي في بعض الأخبار مثل الذي يتعلم
العلم في الصغر كالرقش على الحجر والذي يتعلمه في الكبر كالذي
ينقش على الماء وقد سمع الأحنف رجلا يقول التعلم في الصغر كا
لنقش في الحجر فقال الأحنف الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا
فحض على العلم ونبه على العلة وقد كان أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يسلمون شيوخا وكهولا وكانوا يتعلمون العلم
والقرآن والسنن وهم بحور العلم والصواب والحكمة ومعادن
الفقه غير أن المتعلم في الصغر أرسخ أصولا وأبسق فروعا وليس
إذا لم يحرزه كله يفيته كله وقال رجل لأبي هريرة إني أريد أن أتعلم
العلم وأخاف أن أضيعه فقال أبو هريرة كفى بتركك له
تضييعا وبعض المتخيرين من كل الشعر وإنما مثل الجهل في
الجهل مثل الجمل الحمل ثقيلا فإن هو كلف ما أعيى لنقصه
قليلا فلعله يوشك أن ينقصه كله فيستريح منه وإن هو لم يطرح
القليل حتى يطرح الكثير فما أوشكه أن يسرع هلكه وكذلك
الجاهل إن تعلم قليلا يوشك أن يأتي على بقيته وإن لم يتعلم في الكبر

ما فاته

لما فاته في الصغر فأوشك أن يموت تحت عبء الجهل وقال الشاعر

ولا خير فيمن راح ليس بعالم :: بصير بما يأتي ولا متعلم
تعلم فإن العلم أفضل زينة :: من المرأة الحسناء عند التكلم
وآخر
ما أجمل العلم على عالم :: لم يعد في مذهبه يشربا
فاطلب هديت العلم تحظى به :: لا مرحبا بالجهل لا مرحبا
والقبح الجاهل لو ألبسته :: قد حلة العبقري والقزبا

وقال بعض الحكماء إنا لم نطلب العلم لنحيط به ولكن لنستكثر
من الصواب ونستقل من الخطأ

الباب الثاني والعشرون في وصية
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم وأهله قال كميل بن زياد
خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبانة فلما أصحر
تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها
للخير احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على
سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا منه إلى ركن وثيق العلم خير من
المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الإنفاق
والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه
ومحبة العالم دين يدان به يكسبه الله تعالى حياته الطاعة
وجميل الأحدوثة بعد وفاته مات خزان المال وهم أحياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر أشخاصهم مفقودة وأمثالهم

التكلم

Copyright © King Saud University

في القلوب موجودة فلا نزيدها هنا واشار الى صدره لو علما جالوا لو اصبت له حملة بلى قد اصبت له لقنا غير مامون عليه يستعمل الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه وكما قال ونعمه على عباده او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في احيائه ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذات سريع الانقياد للشهوات او مغرى شانه جمع الاموال والادخار ليس من رعاة الدين في شيء اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لا تخلوا الارض من قائم لله تعالى بحجته لئلا تبطل حجج الله وبيناته وهم اولئك واين اولئك الاقلون عددا الاكبرون عند الله قدرا يحفظ الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استخشنه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا باجساد ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده وامناؤه على عباده وهم الدعاة الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم

الباب الثالث والعشرون في ذكر العقل والمخ والفكر

فقد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل واقسامه واحكامه ومحله بما لا مزيد عليه ونذكر هنا منافعه ومداركه ولباب ما يجوز فيه من القول انه لا يستشهد بالشاهد على الغائب فمن كان

في طوف

في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب كان له عقل وسمي عاقلا عند العرب ومن وجد يتوجه التكليف عليه ولهذا ان من نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت اركانه وجعلت فيه من الالات ما يكتفي به سكانه ما يشرف عليه ما يشرف عليه انشاؤه فجدرانه مبنية فهو عظيم وابوابه منصوبة وفرشه مفروشة وزرابيه مبثوثة وموائده موضوعة وصحافه مصفوفة واراكه منضودة وحجاله مسدولة وكسوته وابار بنيت وبيوت ماء وبها ابيع ومنازيب لصب الماء ومنفذها بالابيع لغيض الماء وضيفان للضياء والنوافذ ومواضع خارج الخارج ومنافس للرياح والاهوية التي يشاهد ما يستحسنه العقلاء للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر بهذه احواله صنعه صانع قادر عالم حي مدبر او اتفق بنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستيقن في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال وانما كثرت له هذه الامثلة لان ما في الانسان من المحاسن والاعضاء ولطيف الصنعة والعجائب اكثر مما في القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى نفسه وجد ما فيها من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع او دفع ضر فيجمع نظره في عضو واحد منها وهو فيه فيرى في اوله اسنانا شبيهة بالفاس تصلح للقطع وفي اخره ضروسا مضرسة تصلح للطحن وشق فيه كالقصعة اتصال الرحا بالطعام

والعجائب

Copyright © King Saud University

أن ينفذ الطعام إلى خارج ولسان يرد ما انقلب من الطعام على
الأضراس ثم يلقيه في الحلقوم فيصلح لأن يزداد هذا الجسم علم
بأدنى تأمل أن هذه السلسلة ما اتفقت بنفسها اتفاقا بل هي
مصروفة إلى قصد قاصد وجعل جاعل على هذا النمط ونزيده
هنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على كل عجب ولأكثرت منها
كراهة التطويل فمعرفة الصانع للخلق تعلم بلا سنة لا ال
والنظر المرتب على الضروري وعلى هذا المعنى نبه الكتاب
المبين بقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وهذه العبرة تنشأ
تشتغل العقول بإثبات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر
والأعراض والعلم المفيد لإثبات الصانع في الشاهد مثل البناء
والنجار والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم علم
اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند النظر في حدو
ث العالم علم استدلال لاعتبار الغائب بالشاهد إذ لا فرق في
العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع **وإنما** كان العلم في
الشاهد ضروريا لأن الإنسان يعرف من يرى البناء يبني والخيا
ط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم ير العقلاء الباري سبحا
نه يخلق ويخترع وإنما استبعادهم من النظر في الشاهد **فإن قيل**
أي العلمين أقوى في النفوس وأثبت في العقول عند النظر في الس
ي والقضاء للنجار أم العلم بالله سبحانه عند النظر في السما
وات والأرض وما بينهما **فالجواب** أن هذا يستدعي
تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضعا لذلك بكثير

نعلم

٧٤

نعلم أن له عقلا غريزيا ونسميه عاقلا لتوجب التكليف
عليه وهو العقل التكليفي وإذا ثبت هذا فاعلم أن الله
سبحانه خلق الحيوان على أربعة أنحاء ملائكة وآدميون
وشياطين وبهائم **فأما** الملائكة فعقل بلا شهوات ولا هوى
يمازجه **وأما** البهائم فشهوات بلا عقل **وأما** الشياطين والجن
فركب الله تعالى فيهما العقول والشهوات والهوى **و**هكذا
ركب الله تعالى في بني آدم العقل والهوى والشهوات وغلبت
شهوة الشياطين وهواهم عقولهم فقصروا أوقاتهم
بالأخلاق المذمومة بالكبر والعجب والمقت والبغي والدعوى
والحسد وسائر الأخلاق المهلكة **وأما** البهائم فقصرت
أوقاتها في شهوات البطن والفرج **وأما** الآدميون فركب
الله تعالى فيهم عقول الملائكة وأخلاق الشياطين وشهوات
البهائم فمن غلب عقله هواه منهم فكأنه من عالم الملائكة
كالأنبياء والرسل عليهم السلام والأولياء والأصفياء وقليل
ما هم **وأما** من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فإن كان
له في المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنساء والخيل
المسومة والأنعام والحرث يأكل ويتمتع بعد أن كسبه من حله
فهذا من عالم البهائم وإنما ألحقناه بعالم البهائم لأنه لا تكليف بعالم
عليها ولكنه في هذه المباحات لا حرج في الاستمتاع بها بعد
أن يكون كسبها من حلها **وإن كان** الغالب عليه أخلاق الشيا
طين من الكبر والعجب والحسد والغش وسائر الأخلاق المذمومة

فهذا من علائم الشياطين وإن اجتمع في الشخص لو أمر امرأة
الشهوات واتباع الهوى والأخلاق المذمومة فيكون في آدميا
في صورته شيطانا في أخلاقه فلا يصلح للصحبة فاحذر ثبت
هذا فاعلم أن العقل الغريزي الكهول رفقة من الغبن وأخرج
إلى الشيخ من الشيب **فصل** فأما العقل المكتسب فهو
نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة وإصابة الفكر وليس
له حد ينتهي إليه لأنه ينمي إن استعمل وينقص إن أهمل ونماؤه
يكون بأحد وجهين إما أن يقارنه من مبدأ النشوة ذكاء وجودة
وحسن فطنة كالذي قال الأصمعي **قلت** لغلام حدث من
أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني والله بفطنته وملاحته
أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق قال لا والله
قلت ولم قال أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب بمالي
ويبقى علي حمقي فانظر هذا الصبي كيف استخرج بفطنته ما يدق
على من هو أكبر منه سنا **وقيل** لبعض الصبيان إنك لأديب فقال كان
عيسى ابن مريم **وقد قالت** الحكماء العقل بسرعة الفهم
وغايته إصابة الوهم وليس لهذه غاية ولا لجودة الفكر حد
نهاية ألا ترى أن إياس بن معاوية الذي يقدم المشايخ كان به
قال لأبيه وهو طفل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا أبة تعلم
ما مثلي ومثل أخي مثل فرخ الحمام أقبح ما يكون كلما كبر
ازداد ملاحة وحسنا فيقتنى له العلالي وتتخذ له المرتفعات
وتستحسنه الملوك **ومثل** أخي مثل الجحش الصغير أصلح ما يكون إذا

أصغر

أصغر ما يكون كلما كبر قبح وصار للقفر إنما يصلح لحمل الزبل
والتراب **و**الوجه الثاني ما يحصل في الحنكة وصحة الروية
بطول معالجة الأمور وكثرة التجارب ومرور العبر على أسماعهم
وتقلب الأيام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول وقفه من
على عيونهم وجوه العبر ونصوصها مسامعهم أنواع الأخبار
والآثار والغير **قال** بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب
الأيام عظة **وقالوا** التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل
ولذلك حمدوا آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار
فاتبعوا الأخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم
وعليكم بآراء المشايخ فإنهم إن فقدوا ذكاء الطبع فقد
أفادتهم الأيام حنكة وتجربة **وقال الشاعر**

ألم تر أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وأخرى

إذا طال عمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في كرها عقلا

غير أن للعقل آفات كما قال بعض الحكماء وكيف يرجو العاقل
النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى أبعد أن تنجو به
جبلة الحازم المحتال وهو أغمض مسلكا في الجنان من الروح
في الجثمان وأملك للنفس من النفس وأمال للشيء وبهذا قيل كم
من عقل أسير في هوى أمير فمن هذا اختار أن يكون زهدا فلا يهوى ولا يصار
عقلا كما قال علي بن الجهم رحمه الله تعالى

أنعتق حرة ونحن عبيد ... إن رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب إذا تناهى وزاد في الأشياء هل

Copyright © King Saud University

اللهم صل على الحبيب محمد

فضيلة

يكون فضيلة أم لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة لانه اذا كان مجموع
ذا هذه الاحوال فضائل فلا شك ان كثرة الفضائل فضائل وانما الشيء
المجموع تكون الزيادة فيه نقصا من الحدود كالتهور في الشجاعة
والتبذير في الكرم فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور
وحسن الاصابة في الظنون ومعرفة ما لم يكن بما كان وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال افضل الناس اعقل الناس وقال عليه الصلاة
والسلام العقل حيث كان ألف مألوف وقال القاسم بن محمد من لم
يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب الخصال عليه
الا ترى انه لما مات بعض الخلفاء جيشت الروم واجتمعت ملوكها
وقالوا الان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم
والوثبة عليهم فعقدوا لذلك مشاورات وتراجعوا فيها بالمناظرات
واجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة النحر وكان رجل
منهم من ذوي المعرفة والراي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض
الراي عليه فلما اخبروه بما اجتمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا
فسألوه عن علة ذلك فقال غدا اخبركم ان شاء الله فلما اصبحوا
غدوا عليه فقالوا الوعد قال نعم فامر باحضار كلبين عظيمين قد
اعدهما ثم حرش بينهما وألب كل واحد على الاخر فتواثبا وتهارشا
حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده
وارسل منه على الكلبين ذئبا قد اعده فلما ابصره الكلبان
تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب
فقتلاه [illegible] ثم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع

المسلمين

عليه

المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتل بينهم
ما لم يظهر عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تر
كوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا رايه وتفر
قوا عن رايهم وانما القصد من هذا الباب صرف العقل الى الدهاء
والمكر قال الشعبي وفعت الفتنة ودهاة العرب ستة
معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد
ابن امية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الاصمعي
كان معاوية يقول انا للاناة وعمرو للبديهة وزياد للصغار
والكبار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رايت اعطى
للجزيل من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله ولا رايت اثقل
حلما ولا اطول اناة من معاوية بن ابي سفيان ولا رايت اغلب للرجال
ولا ابين لهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا اشبه سرا بعلانية
من زياد ولو ان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية ابواب لا يخرج من باب
منها الا بالمكر لخرج من ابوابها كلها وقال ابو الدرداء قال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا قلت بابي
وامي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا
ثم تنفل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه
عزا قال ابو هلال واصنع ما شئت وانشد

اذا المرء عف النفس في ما يشتهي ... وكان عليه للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما ... هواك عدو والخلاف صديق

وروى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ان المكارم اخلاق مطهرة

Copyright © King Saud University

فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشرها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقال بعض الحكماء العقلاء العاقل من عقله في إرشاده ومن رأيه في إمداده فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في إغوائه فقوله سقيم وفعله ذميم فأما من صرف فضله إلى الدهاء والمكر والشر والختر والخديعة كالحجاج وزياد وأشباههم فقد ذموم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بالخب والخب لا يخدعني وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم وصاحبه ممقوت ومرتاب عن أبيه ونحو زعموا فيه وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن يعزل زيادا عن كتابته فقال زياد أعن موجدة أو خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك وكتب زياد إلى معاوية رضي الله عنه أن العراق في يميني وشمالي فارغة فوقف الحجاز لكيما أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه فطعن في إصبعه بعد أيام فمات ونحو إن كان من غلب عليه الدهاء والمكر فلا ترغب في الحيلة ونرجع بها ولا تتسامح في الحيلة فيما تتواصل به العقلاء فإنما وجه ثالث ليس بشيء

من أمور

من أمور الدنيا الطالب الرفعة وباغي الوسيلة ومن تاه أي أمر كان وأوجز خير من الحيلة وأضعف الحيلة خير من كثير من الشدة وقالت الحكماء ملاك العقل الحيلة والثلاثة القلب القوي والضعيف من الأمور ورووا أن رجلا وقف بكسرى الملك فقال إني لأصنع ما تعجز الحيل عنه فقال تفعله قال أشد برجلي حبلا وتشد طرفه برقبة الفيل وبرجلي الآخر كذلك وتشد طرفه برقبة الفيل ثم تسابق الفيلة بالضرب والزجر فلا أتزحزح من مكاني ويعطى له فقمت له حيلته ثم تقاضى على أن يعطيه بأربعة من الفيلة حتى تجرها فعسفوه شهرين فقال كسرى من لم يكن أكثر ما فيه عقله هلك بأكثر ما فيه ونظمه بعض الشعراء فقال بعض

من لم يكن أكثر ما فيه عقله أهلكه أكثر ما فيه

وسمعت أستاذنا الفقيه أبا الوليد يحكي أن رجلا استأذن على هارون الرشيد وقال إني أصنع ما يعجز الخلائق عنه فقال الرشيد هات فأخرج أنبوبة فيه منها إبرا عدة ثم وضع واحدة في الأرض وقام على قدميه وجعل يرمي إبرة إبرة فتقع كل إبرة في عين الإبرة الموضوعة حتى فرغ خ فأمر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار فسئل عن جمعه بين الإهانة والكرامة فقال وصلته بجودة ذكائه وأدبته لكي لا يصرف فكره في الفضول ومن زعم أن العقل المكتسب إذا تناهى لا يكون فضيلة قال لأن الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة

كالكرم للغني هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط
بين التهور والجبن وقالت الحكماء للاسكندر ايها الملك عليك
بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الامور اوسطها وقال
علي رضوان الله عليه خير الامور الوسط اليه يرجع العالي ومنه
يلحق التالي قالوا ولان الزيادة في العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء
والمكر وذلك مذموم قلنا هذا كله باطل لعلة مثال لتصحح ان
العقول الاول وهو منقوض في العقل الغريزي وبالعلوم وسا
ير الفضايل واما قولهم انه يفضي بصاحبه الى الدهاء والمكر
قلنا الدهاء والمكر كسب من اخر غير العقل العاقل باختيا
ره وليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه فيه قلة عقله
وكان ابن جمهور لما فرغ من كتابه في امثاله وشرح كل باب
على حياله يقول ليس العجب ممن جمع هذه الامثال فصار
عالما وانما العجب ممن جمعها ولم يصر عالما قال الشيخ
رحمه الله وانا اقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا فصار به
كاملا وانما العجب ممن قراه ولم يصر منه كاملا

الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وز
يرا من اهلي هرون اخي فلو كان السلطان يستغني عن
الوزراء لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران

عليهما

عليهما السلام ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به ازري وا
شركه في امري دلت الاية على ان موضع الوزارة ان تشد قواعد
المملكة وان يفوض السلطان اليه لعجزه وعجز الا من استكملت فيه
الخلال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه
الكلمة على ان صحبة العلماء والصالحين واهل الخير والمعرفة تنظم
مصلحة الدنيا والاخرة وكما ان الشجاع من الناس يحتاج الى السلاح
وكذلك اجل الملوك يحتاج الى الوزراء كما تحتاج اعزة الخيل الى
السوط واحد الشفار الى المسن يحتاج اجل الملوك واعظمهم واعلمهم
الى الوزير وروى ابو سعيد الخدري قال ما بعث الله نبيا ولا است
خلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم
من عصمه الله سبحانه وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو
الثقل يريد انه يحمل من اصول المملكة واعبائها اثقالا واوزار
ومعز الملوك ملك له وزير صالح ان نسي ذكره وان ذكر
اعانه واعلم ان اول ما يستجيد الملك من الوزراء امران عفو ما
كان يجهله ويعفو عنه عن ما كان عنده فيزول شكه وقال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة و
لك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاوره في ذلك فقال هامان
بينا انت اله تعبد اذ صرت تعبد جانبا واستحر ... مع امركم ما
كان وعلى هذا المنهج كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم لا يا
لوه خبالا وليس الفرقا ... فارقب منازل الادميين

النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة والوزير عون على الامور وشريك في
عنر التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة والوزير من الملك
بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال اتخذهم نعم الا
الوزير اول ما يحتاج اليه السلطان قوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب
الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاثة تدل على
فدره كمال دولته وهذه الخلال يحمل بها الخلوة كرها ويعالج العيون ذكرها و
وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حيلة
الملوك وزينتهم وزراؤهم وفي كتب كليلة لا يصلح السلاطين الا با
لوزراء والاعوان ولا الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا المودة
والنصيحة الا بالرأي والعفاف واعظم الاشياء ضررا على الناس عامة
وعلى الولاة خاصة ان يحرموا صالح الوزراء والاعوان ويكون اعوانهم غير
ذي مروءة وغناء ويحذر الملك ان يولي الوزارة غير المجرب كي لا
تضيع الامور كما يجب وان يطبب بغير طبيب بصير مامون قال شيخ
ابن عباس لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم فاذا راه الغضب
صحيفة كتب اليه صحائف في كل صحيفة ارحم المساكين واخش الموت واذكر
الآخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه
وقال ازدشير يجب على الملك الكف ما يكون نظرا اعظم ما يكون حكما
ولا يذهب حسن اثره في رعيته خوف بدلها ولا يستغني بتدبير اليوم عن
تدبير غد وان يكون حذره للملا اكثر من حذره للعدو وان ينفي
بطانة السوء لانه من انقلب الى العامة ولا يحصى في اصلاح العامة الا
بالخاصة وقال ازدشير لكل ملك بطانة حتى يجمع ذلك جميع

المملكة

المملكة فاذا اقام الملك بطانته على حال الصواب اقام كل واحد
منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية وقال
الملك الجليل والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من
الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله
وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثال السلطان مثال الطبيب
ومثال الرعية مثال المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء
فان كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا
من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة
السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل فيقتله
الملك بغير جرم فاشترطوا ان يكون الوزير صادقا في لسانه عدلا في دينه
مامونا في اخلاقه بصيرا بامور الرعية وتكون بطانة الوزير ايضا
ايضا من اهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك ان يولي الوزارة لئيما
فان اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالا
شراف وتكبر على ذوي الفضل والانساب ولما اراد سليمان بن عبد
الملك ان يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن ابي مسلم قال له عمر بن
عبد العزيز انشدك بالله يا امير المؤمنين الا تحيي ذكر الحجاج باسـ
ـتكتابك اياه فقال يا ابا حفص اني لم اجد عنده خيانة درهم
ولا دينار قال عمر انا اوجد لك من هو اعف منه في الدينار والدرهم
قال ومن هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما وقد اهلك هذا
الخلق ودخل رجل له عقل وادب على بعض الخلفاء فوجد عنده
رجلا ممن كان الخليفة يقبل عليه ويقربه فقال

Copyright © King Saud University

يا ملكا كان عنه عصمة ... وحبه مفترض واجب

أن النبي تشرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

وأشار الى النخعي فقتله يا أمير المومنين عن غد فسأله حجر يحيى بدا
من أن يقول صادق ما عندي بلا سلام لا يحب وزير المملكة أن يدع
ما عليه حتى يرى من صاحبه الوثوق بما يراعيه لما شاء الغيور
من المكشوفة المنتصحة وكان بعض الملوك قد كتب له ثلاث رقاع
وقال للوزير إذا رأيتني غاضبا فادفع إلي التي رفعته في الواحدة إنك
لست بإله وإنك ستموت وتعود في التراب فيأكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . وفي الثالثة اقض الثانية
بين الناس بحكم الله فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك إذ كان الوزير يساوي
الملك في الجلال والهيبة فليصرع عن الملك فإن لم يفعل فليعلم أنه
مصروع وفي الأمثال إذا أمكنت الدهماء خافت الوزراء ولما
أمور المملكة ما يدل على الوزراء والأمة أنفع الملوك إلى الوزراء
سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتروا بمودة الأمير إذا
غشك الوزير وإذا احتجت إلى الغضب فلا تغش الأمير ويقال الغرور
يتناول عنه الوزير بما نعا السلطان زجاجة رواء الوزير بابها فمن أتى
أحدا ومن بابها ولج ومن أتاها من غير بابها ارتج كاتب الملك مستقر
أسراره ولسانه الناطق عنه في أطراف مملكته والمخصوص بفريد
وتزويده ونكاح تخصيص الأمير وزينة حاجبه ولسانه كما
يده ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود
المملكة لذا قيل على الملك ثلاث يرجع الحجاب عنه ويتجهم الرسالة

عليه

عليه ويعشي سرك إليه وقال انوشروان لا ينبغي للملك أمر حتى
يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مأمون الغيب وخادم
ناصح الجيب . وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من الشخص
كما أن من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك
السلطان إذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها وفي
قالت الحكماء لا يصلح ذوا الكبر في الثناء ولا العجب في كثرة
الصديق ولا السيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص
في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء الملك
وكما أن المرآة لا تنفع وجهها إلا بصفاء جوهرها وجودة صقلها
ونقل بها من الصدأ كذلك الوزير لا يكمل أمره إلا بجودة عقله و
صحة نصحه وصفاء نفسه ونقاء قلبه ومن شروط الوزير أن يكون
مكين الرحمة للمخلوق سواء رحمته ما يجرحه السلطان بغلظته
ومن شروطه أن يكون نقي الجيب لا يفرح فيفتنه ولا يكتم نصيحة قال
بعض الملوك لوزيره لا تكن إلي بما تسرني بدل فرح مباشرة بما تكرهه
كما تعطي من آتاك بما تحب فإن من أتاه رد كمن يشرطه ومن شروطه
أن يكون همته لا كليلا ولا حزو لا هذرا وموقع الوزير من الملك موقع الملك
من العامة وكما أن السلطان إذا صلح صلحت الرعية وإذا فسد فسد
جسمه وكذلك الوزراء إذا فسدوا فسد الملك وإذا صلحوا صلح ا
الملك وكان يقال آفة العقل الهوى وآفة الأمير مخالفة الوزير
وقال المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى إن الله يعطفني عليك
ولا تعصه فيسلطني عليك وقال المامون لمحمد بن يزداد إياك أن تعصي

Copyright © King Saud University

الله فيما يصلحني عنده واعلم انه ليس للوزير ان يكتم السلطان
نصيحة وان استغشها وموقع الوزير من المملكة كموقع الروح
العين من الانسان والبدن فانه اذا صح قبضهما وضبطهما صح التد
بير واذا فسدا دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة ان تكون
في غير اهلها كما لا يصلح الملك ان يكون في غير اهله وشر الوزراء من كان
له الاشرار والبطانة وزراء وبطانته ودخلاء واوصت امراة ابنها وكان
فقالت يا بني ينبغي للملك ان يكون له اشياء ثلاثة وزير يثق برايه
ويفضي اليه باسراره وحصن يلجأ اليه اذا افزع وسيف اذا انازل
الاقران لم يخف عليه ان يخونه وذخيرة خفيفة المحمل اذا نا
بته نائبة كانت معه وامراة اذا دخلت عليه اذهبت همه
وطباخ اذا لم يشته الطعام صنع له طعاما يشتهيه ٥

الباب الخامس والعشرون
في الجلساء والاخوان

قال الله سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا ال
متقين وقال سبحانه يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد
اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا
وقال سبحانه يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وكل خليلين
وصديقين او متواخيين اجتمعا على معصية فهما عدوان الا
عداوة و ينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوي
الراي والحسب وذوي التجارب والعلم فمجالسة العقلاء
تلقاح العقل ومادته ولذلك حفظت اراء الشيوخ فقال القدماء

المشايخ

المشايخ في اقتحام الوقار وينابيع الحكمة والاخبار لا يطيش لهم
سهم ولا يسقط لهم وهم و قالوا عليكم بآراء الشيوخ فانهم
ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على اعينهم وجوه العبر وتصدت
لاسماعهم اثار الغير وقالوا راي الشيخ خير من مشهد الغلام و
قال عبد الملك بن مروان لجلسائه جنبوني ثلاثا لا تطروني في
فانا اعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا راي لكذوب ولا تغتابوا
عندي فتفسدوا قلبي عليكم و قال بعض الحكماء كفى بالتجارب
تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة
ثمرة الجهل و قد قال هرم بن قطبة وهو احد حكماء العرب حين سار
اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الحـ
ـديد الذهن وقال كثير من حكماء العرب عليكم بمشاورة الشباب
فانهم ينتجون رايا لم يطله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة
الهرم والمذهب الاول اصوب على العقول و قال عمر بن عبد العزيز من زا
رلا لمعاوية يا امير المومنين عليك بمشاورة الالباء اعداء كانوا
او اصدقاء فان العقل يقع على العقل وقال ابن عباس مجالسة
العلماء تزيد في الشرف وقال سفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم
ليلقى الرجل العاقل فيكون بعقله عاقلا اياما و قال مالك بن انس مر
سليمان بن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه
مكتوبا ٥٥٥

غدونا من قرانا ... اصبحنا للقصر فقلنا له
فمن سال عن القصر ... فعيننا وجدنا قاله

الحمد لله وحده

يغادر المرء بالعرء ... اذا المرء ما اشكال
وفي الشيء على الشيء ... دلالات واشكال
وفي العين على القلب ... دليل حين يلقاك
فلا تصحب اخا الجهل ... فاياك واياك
فكم من جاهل اردى ... حليما حين واخاك

ووجد عليه نصرا وافقادها فقال من بني الفضر قال ... اخرجه قال اكرم الحمد وفعت عليه فالمعنو تسعماية سنة وفي الامثال يغض المرء ما يغض خليله ولما حج عبد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا اهل مكة عرفنا خياركم من شراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا خيار واشرار فنزل اخيارنا على اخياركم واشرارنا على اشراركم فعرفناكم واعلم انه ليس الشيخان على الفارياد امر الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم يكن مثله شانه انشدني شيخي الاستاذ ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن سعيد المعنى ....

وما صاحب الانسان الا كرقعة ... على ثوبه فليتخذه مشاكلا
وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال ابن الاعرابي صحبني رجلان من اعراب حاجر فقال لاحدهما ما لذة في الدنيا من برح ولا بستمتاع منه ادب ومجالسة زين ومعرفة عز ومنه اكرنه تلقيح العقول ونشيه واخلاق شرف ومجد وقال اسحاق سمعت ابي انشده طارق بن يحيى المامون رحمه الله وانه لمشتاق الى وصل صاحب ... يرق ويصفوا ان كدرت عليه

عليه ... بر

٢٧

زائد

معن بن ... من النعمان بن جعونة ... صعالى ولا الرضى لطوع يده فحضر المامون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الانسان واحسن من الجميع قول ابي خرده
تتبع الكل انه اذا زانه ... كان انشاء خلفا حين يحول
اراك اعوار كلي المونسين اذا غاب عني قريب او بعيد
يلون مجالسه في اثنائه ... فلم ارى مني الا حميد

وقال معن بن مسيح للاحنف بن قيس يا ابا محرم ما تشتاق الى غائب اخوان حضور ولا تنتفع بحاضر اذا اغتنت اخوك ابراهيم بن العباس الكاتب فنقصه فقال ...

وانت هوى النفس من بينهم ... وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان يتفرقوا وحشة ... وما معهم ان بعدت اجتماع

وقالت الحكماء النظر في العواقب تلقيح للعقول وقالوا العاقل لا ينقطع صداقته ولا يمحو لا عقود موده فانه من نصحاء احد من المرآة الصافية وعلى ذلك كما نجد لوجه المرآة الجليلة فانما الى صلاح كما يحتاج منه الى تحسين صورته وقال المامون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة ما خلا سبعا قال وما السبع يا امير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شيء قال فاين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولى بها وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شيء فما كلت العفو والحاضر حتى لا احد لواحد منهما كما وشعثت الطيب حتى لا اجد له رائحة واتيت الله

النساء حتى لا ابالي امراة اتيت ام جمع حاربك بما وجدت تشكى انه
من حبيب تسعفه بشيء وبينه معونة التجمله وقال عبد الملك بن مروان
قد قضينا الوطر من كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر
على التلال العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وادناهم
وباعد ذوي العقل وافاضلهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد
ورثه من لا يحمده ومن الكلام الشريف قول الحكماء ما احوج ذا القدرة
الى حزم يحوطه ودين يكفه وعقل يعدله والى تجربة تهوله وعين
محبوبة والى اعوان تسرع اليه واخلاق تسهل الامور عليه والى
جليس رفيق ورأيه شفيق والى عين تبصر العواقب وعقل يخاف
الغير ومن لم يعرف كفرا باح ام يحترز من سطوة الدهر ولم يتحفظ
من فلتات الزلل ولم ينتفع بعد تاديب وان عظم ولا ثناء وان سمع واذا
رأيت من حبيبك خللا مما تكرهه وخلة لا تحمدها وصدرت منه كلمة
عوراء وهفوة عثراء فلا تقطع حبله ولا تصرم مودته ولا تكشف او
كلمه واستر عورته حتى يرجع بانفه ويبرأ من عمله قال الله سبحانه
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما امره
بالبراءة من عملهم السوء وقال الشاعر ۝

اذا ما خليل منه مثيل فقطعته ... بقيت وما لي بالنهوض مواصل
ولا كراد اوية فارضي شرايتي ... وان هو اعيا كان فيه تحامل

واتى رجل الى بعض الحكماء فشكى اليه صديقه وعزم على قطعه والانقطاع
عنه فقال له الحكيم ان تعلم ما اقول لك فاحتمل ام بك من مزيد الود
الغضب ما يشغلك عنه فقال اني لا اقول واع قال اسرور لك مودته

كان

اللهم صل على سيدنا محمد

مصاحبة

كان الطول ام عمل بي لنه قال بل مورد قال المحتاله عندها اكثر
امر شيء له قال بل هو عندنا فقال هل جمع بصالح انا قال عز وجل وهب
لشرور الجريمة والخروج مقوية الغضب والانتقام منه ونعله لا تنال
ما املك فتكون مصاحبة الغضب وانت ساع الى ما تحب ۝

الباب السادس والعشرون في
بيان الخصال التي هي جمال السلطان

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البناء
البنيان ونذكر الان التي تجري من المملكة مجرى التاج والكمال
وحسن الهيبة والكمال واصلها وقاعدتها العفو قال الله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية
على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى
اسأل العالم فذهب جبريل عليه السلام ثم عاد فقال يا محمد ربك يأمرك
ان تصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك واعفوا ارشدكم الله ان الله
سبحانه امر بالعفو وندب اليه وذكر فضله وحث عليه ووعد
فاعله به فقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وعزايم الامور من صفات الصالحين من الرسل قال الله سبحانه فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم
يغفرون وقال عز من قائل وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر
الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناية
والعاصين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال فيما انتصر بعد

صح المصطفين

Copyright © King Saud University

كظمه ولم يعف ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
برفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء
وأراح الغمة ووضح فضل العافين على المنتصرين والواهبين حقو
قهم على المنتقمين فقال وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتحقيق العفو
عند القدرة على الانتصار أو العفو فضل وفضل الله تعالى أحب إلينا من عدله
لأنه إن عدل علينا فأخذنا بحقه هلكنا وإن عفا عنا برحمته تخلصنا
ولولا أن العفو يسع الخلائق لما قرنه الله بالإحسان فيما علم الله
سبحانه أن في العدل المحض والمناقشة والمداقة ما تضيق عليه النفوس
وتحرج به الصدور ثم عقبه بالإحسان فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل
والإحسان فإن الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله
تعالى وإحسان وأيضا فإن الانتصار سيئة والعفو حسنة وقد قال الله
تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على أن الانتقام يسمى
سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وإنما سميت سيئة لأنها
كانت نتيجة سيئة لأنه لا يجوز الانتصار وإنما هو كقول عمرو بن الخطاب
الخطاب رضي الله عنه من كلثوم د.

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وإن لم يكن في الحقيقة جهلا وعن هذا روت
عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا
من مظلمة ظلمها قط غير أنه كان إذا انتهك شيء من محارم الله سبحانه
فلا يقوم لغضبه شيء وروي أيضا أنه ينادي مناد يوم القيامة من كان

له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا فإن عفوت ابتغا
لما طلب كان أجرك على الله وإن لم تعف كان حقك قبل من ظلمك وكان
أجرك ضمان الله تعالى وتولى يكون على مخلوق وأيضا فإنك إن لم تعف
نلت حقك بلا زيادة عليه وإن عفوت كانت حسنة اسم ينتهي إلى أضعا
والله سبحانه يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقد دخل
عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أحد المؤلفة
قلوبهم فقال له يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا با
لمعروف فغضب عمر وهمّ أن يوقع به فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين
إن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن
هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا
عند كتاب الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ترحم وكان يقول أولى الناس
بالسلطان أحفظهم بالرأفة والرحمة وفي الإنجيل أنجى أهل الرحمة لأ
نهم يرحمون وقال سليمان بن داود عليهما السلام لقد أبغض
الله المستكبر عن أن يرحم الضعفاء والرحيم الرحماء أتقى القسوة
والغلظة وأشباهها من الرحمة ولما تمكن داود عليه السلام
من قاتل جالوت أبقى عليه وهو يومئذ مع عدوه وهكذا لهو وقال رب أعظم
في أعين أعدائي كما أعظمتني في عين عدو وفتح له الخلاص
من جميع الهموم وقالت الحكماء من حكمة الدهر لا سؤدد مع الانتقام
ولا رياسة مع عزارة نفس وعجب وقالت الحكماء ليس للأمراء بالشيء
أجود منه بالعفو ولا هو بشيء أقبح منه بالعقوبة والتعدي للنقص

منه موضع العفو محمودة في العفو منه وان تخطئ في العفو الى
فضيلة خير من ان تخطئ في العقوبة في فضيلة واحدة وقال معاوية
اني لارفع بنفسي ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي
وعورة لا اواريها بستري قال المامون ليس علي في الحلم مؤونة
ولوددت ان اهل الجرائم علموا رأيي في العفو فيذهب الخوف منهم
فتخلص لي قلوبهم وقال رجل للمنصور يا امير المومنين ان الانتقام
انتصاف والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنتصف ونحن
نعيذ امير المومنين ان يرضى لنفسه باوكس النصيبين وان لا يرتفع الى
الى اعلى الدرجتين فعفا عنه عفا الله عنك فعفا عنهم وقال
بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما ادري ايهما انا به اهنى
يوم الشرف ابيوم ظفرك او بيوم عفوك قال الشاعر

ما زلت في العفو للذنوب واطلاق لجان بجرمه علق
حتى تمنى البراة انهم عندك امسوا في القد والحلق

واذا بغى باغ عليك بجهله فاقتله بالمعروف لا بالمنكر واخر

ورفع الى انوشروان ان العامة تعاتب الملك في معاودة الصفح عن
المذنبين مع ثباتهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء
وليست معاودة ادوائهم بمانعة من معاودة العلاج لهم وقال
عمر بن عبد العزيز ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ومن عفو
الى قدرة وشفع الاحنف بن قيس في مجرم الى السلطان فقال ان
كان ذنبا وسعه العفو وان كان بريئا وسعه العدل وقيل لبعض
الحكماء ابلغ امير المومنين امرنا فقال انه لا يبالي فيه ثم قال ان كان

حقا

حقا اوسعنا عفوه وان كان كذبا وسعنا عدله وقال رجل
لعبد الملك بن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت احدا يا امير المومنين
ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك وقال بعض الناس يعيب العفا
في مستودع لعداوة اولياء الذنوب والعافي مستودع لشكرهم او مكافاتهم
مكافاتهم ايام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من ان تنسب الى
ضيقه واقال الله عثرة موجبة لا اقال الله عثرة ربك وعفوك عن الناس
موصول بعفو الله تعالى عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله تعالى
والله تعالى يحب العافين وقال المنصور عقوبة الحليم التعريض
وقال المامون رحمه الله

لما رأيت الذنوب جلت عن المجازاة بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوا امضى من الضرب للرقاب

وقال الاحنف لا تزال العرب بخير بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيما والذل
شرفا وقال الحكيم اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت
وقال بعض الحكماء اقبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون مضرا او مسيئا
للمروة تخلصته او يكون في قبول عذره تشجيعه على المكروه او عودته على
الشر فان قبول العذر ريبة اشراكا في المنكر ولما دخل الجراح دمشق
حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية في عليه له منكبها فبينما هو
كذلك اذ ابصر في بعض حجر فصرح رجل مع امرأة من حرمه فاتى الحجرة
وقرع الباب فلم يكترث من بخيلة به فوقعت عينه على الرجل فقال له
يا هذا في قصري وتحت جناحي فتهتك حرمتي وانت في قبضتي فاحملك
على هذا فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني فقال له معاوية فان عفوت

Copyright © King Saud University

عند اقتدر ها على قال نعم فغلا ببلد وهذا من اجود ما التعظيم و
والعقل الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو يعارض قول الشاعر
اذا امرضنا اتيناكم نزوركم ٭ وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
واتي موسى الهادي برجل قد جنا جناية فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده
فقال الرجل ان اعتذاري مما تقرعني به رد عليك واقراري بما ذكرت
ذنب ولا كن اقول ٭
فان كنت ترجوا في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر
وقال المهلب لا شيء ابقى للملك من العفو فان الملك اذا
وثقت منه رعيته بحسن العفو لم يوحشها الذنب وان عظم واذا
خشيت منه العقوبة اوحشها الذنب وان صغر حتى يضطرها ذلك
الى المعصية ومن الحكمة البالغة هذا قول هيابور وقد جمع
اولاده فقال يا بني ان عجزكم ان تعلقوا قلوب الرعية حبا فاما
ملئوها خوفا وبشرة لكم بان تجعلوها العقوبة على من لا يستحقها
ولا كن تجعلها لمستحقها وفي هذا المعنى فان الله سبحانه
فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى قول المستحق او على ما في زيه
اغرا بركوب امثاله فها هنا يكون العفو مفسدة ٭ يا ايها المعاقب
اذا اقمت على مذنب عقوبة فلا تكن كالمتشفي المتلذذ بعذابه ولا تطل
وبالله اخوان لام واب في احوهم وهو عليهما السلام لم ينقصه عن له
وفرقة ما بيعة فضل الله به نطول عليك فاذكر لو تكنت في مقامه
بمن ينبغي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب فاحذر التعدي والتفصيل واقم
نفسك منه مقام المقيم للعقوبة ولتكن عقابك مقدارا وليكن عقابك

للتقويم

للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى عن هذا قال ابن زجبهر لا ينبغي
للملوك ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا يهينوا احدا
بكرامة من ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان
ولا الى البخل اسرع منك الى البذل وقال الشاعر
صفوح عن الاجرام حتى كانه ٭ من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى ٭ اذا ما الاذى بالكرام لم يغش مسلما
وقال سليمان بن داود عليهما السلام التنكيل والعقوبة امنية لا
ينبغي للملك ان يضطره غضب او رضى الى ثواب او عقاب وقال ازدشير
فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اكتساب المحامد والشجاعة
المكارم وكلما استكثر منها بانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولا
ية عليهم وكلما نقص منها قرب من السوقة وقال لمامون انه لا اجد
العقوبة لذة اعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك و
وانما ان على من بغى بغيره دخل على نفسه من قبح الكفاية الرأي اعظم ما
ادخل على صاحبه من العقوبة وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم وقيل لا يهون اي
شيء من افعال الناس تفعل تشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس
وقال حكيم الحلم قوام الشيمة والعجز كالعقل وقال بعض
الحكماء السيمة التي لا يشين حسن الظفر بقبح الانتقام وجهه مناقب
الملوك العفو وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من اذا العبد بذ
الذنب واذا الذنب بذ العفو اللهي ان عفوت فخير راحم وان عذبت
فغير ظالم اللهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل الا عند فكيف يصنع الخطا

ساهمو ولا يفعل الى هنا ما قرّر ... حسن العفو ... على الواجب

الخائفون وإن كان لا يرجو إلا الله وإلا فيمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وإن الله ذو حلم ولكن بقدر الحلم ينتقم الحليم

وروي أن الحجاج حمل إليه رجل من الخوارج فقال لأقتلنك قال ولم قال لخروج أخيك قال فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي قال هاته قال فإن معي أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فتعجب من جوابه وخلا سبيله ولما وفد عقيل بن أبي طالب على معاوية أمر له بمائة ألف درهم فلما أراد الانصراف دخل الكرخي جارية بأربعين ألف درهم فرجع إلى معاوية فأخبره فقال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما إن أغضبتني يضرب عنقك بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فأقطع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسين بن علي الخبر فكتب إلى معاوية إني لا أجيز بيع مسلم فأرسل معاوية إلى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يأمر برد المال فقال مسلم أما دون أن أضرب عنقك بالسيف فلا فضحك معاوية وقال والله لقد قالها لي أبوك قبلك فلما بلغ ذلك امتد وسوغه المال فقال الحسين حين بلغه علمنا معاوية حلما وجودا

الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة

وهذا الباب مما يعرفه الحكماء من أساس المملكة وقواعد الدولة السلطانية ويفتقر إليه الرئيس والمرؤوس وقد ذكرنا في باب الخصال العرفانية ونذكرها هنا فوائدها ومحاسنها وما يتعلق بها

اعلموا

اعلموا أرشدكم الله أن المستشير وإن كان أفضل رأيا من المستشار فإنه يزداد برأيه كما يزداد النار بالسليط ضوءا فلا يغترن ويعلم أنه إذا استشار الرجل يظهر للناس منه الحاجة إلى رأي غيره فيمنعه ذلك عن المشاورة فإنه لا يريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به وإن أراد أن يذكر كان الفخر له ذكره وأحسن عنده وفي الباب ليس السند أن يغتروا ولا يتبعوا برأيه وزد في الرأي من إخوانه فلا يعتقد عزمه على إنفاذ رأيه وظهور صوابه لديه إلا بعد الاستشارة ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الأدب وعلمه بموقعه من النفوس على الاستشارة فيه فقال يا بني فانظر ماذا ترى وهذا من أحسن ما يرسم في هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة أمرار لا تكاد تنقطع ويروى أن روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي نحن لا نملك علينا من لا يشاور وقال ابن جعفر إذا أشكل الرأي على الحازم كان بمنزلة من أضل اللؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الرأي للأمر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب وكان يقال من كثرت استشارته حمدت آراؤه وفي حكم الدهر قال بعض الملوك إن الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الأنهار وينال بالحزم والرأي ما لا ينال بالقوة والجنود ولم تزل حزمة الرجال يستعملون رأيه فوق النجدة كما يستحلي الجاهل الجهلاء عن علم الهوى وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي أخلاق المخلوع يعني أخاه الأمين فقال كان واسع

Copyright © King Saud University

الصدر ضيق لا يكاد يمتنع من نفسه ما ثابت هممها اهواؤها ولا يبغي
الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيما يسوء عاقبته فلا يرد
عنه ذلك عتابهم فيه قال بعضهم لما نزل به فقال كان يجمع للكتا
ب بالليل يرو يعرفها يسموه الليل يبو فقال القاموس لا فاعل محله
اما والله لو دان ذلك الى النصائح واختار مشورات الرجال وملك
نفسه عن شهوتها ما يجري به وقال بعضهم انفاذ الحكم للا
مور بغير مشورة كعبادة بغير نية ومن قول العلماء على اختلاف هذا
فيهم يستحدون العيوب ويستشرون صواب الرأي من كل احد حتى
الامة الوكعاء هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ
اهدى الي عيوبي وكان يقال من اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى
الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الا
ستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال
بعضهم الرأي خير من فهم وتاجر خير من نفقه يمه وذكر صاحب
كتاب صاحب التاج ان بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال
احدهم لا ينبغي للملك ان يستشير منا احدا الا خاليا فانه اموت
للسر واحزم للرأي واجدر بالسلامة واعفى لبعضنا من غائلة
بعض وكان بعض ملوك العجم اذا شاوروا مرازبته فقصروا في الرأي
دعا الموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ مرازبتك
فتعاقبنا فيقول نعم لم يخطئوا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا ا
اهتموا اخطأوا وكانوا اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه
بقوته وقوت عياله لسنة ليتفرغ له وكان يقال اذا احزن
النفس قوتها الكمات واذا شاورت فاحذر ان تخون نصح فلا له

المشورة

المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك وقال بعض ملوك العـ
ـجم لا تقنعك شدة باسك ولا علو مكانك في نفسك من ان تجمع
الى رأيك رأي غيرك فان احمدت احمدت وان خيف عذرت فان يخطئ لك
خطأ منهما ان وافق ابدا رأي غيرك ازداد رأيك شدة عند ان خا
لفه عرضته على نظر لم فان رأيته معتليا على ما رأيته قبلته وان رأيته
متضعا عنه استغنيت ونذكر انه يجري له النصيحة ممن شاورته وان
اخطأ ويحض له مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة
الا انك ان اصبت مقتنعة اسلمت وان يخطئ لانا نكذب بالسنة الحسنة
وقال رابع لا نصر فيقولهم يحرزون ان الخطأ عنهم اذا اعتمد خطأ له
لا تعجز عن نفسهم يكد يحبون واعلم ان القول الغليظ يسمع لبعض عر
فتنة كما يتكار على شرب الدواء المر لبعض مغبته قال اعرابي ما
غبنت قط حتى غبن قومي قيل له وكيف قال لا افعل شيئا حتى اشاورهم
وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس فقال نحن الف رجل
وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأنا الف حازم وكان ابن هبيرة
امير البصرة يقول اللهم اني اعوذ بك من صحبة من غايته نفسه ولا يرى
خطأه في دعوى مستشيره وفي حكم الهند من الهند من الاخوان الرخصة
عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة احكم
الرأي واذا اعم مرضا وقالت الحكماء لا تشاورن معلما ولا راعي غنم ولا
كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من
يرهقه احد الشيئين وقالوا لا رأي لحاقن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور
من لا قوت عنده والحازق الذي ضغطه الخف والحاقب الذي يجد

خلاصة

Copyright © King Saud University

في حقه وان قالوا من شكا الى عاجز اعاد له بعجز وامده من جزعه
ومن لطيف ما جرى في الاستشارة ان زياد بن عبيد الله استشار عبيد الله
ابن عمر في اخيه ابي بكر ان يوليه القضاء فاشار به فبعث الى ابي بكر فامتنع
عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين به على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد
الله انشدك الله اترى لي القضاء قال اللهم لا فقال زياد سبحان الله
استشرتك فاشرت علي به ثم اسمعك تنهاه فقال ايها الامير استشرتني
فاجتهدت لك الراي ونصحت للمسلمين واستشارني فاجتهدت له الراي
ونصحته ويروى ان الحجاج بعث الى المهلب يستعجله في حرب الازارقة
فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الراي لمن يملكه دون من يبصره

فصل في النصيحة

اعلم ان النصح للمسلمين والخلائق اجمعين
من سنن المرسلين قال الله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
ان كان الله يريد ان يغويكم وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم
فكيف آسى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين و
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة
الله فله اجره مرتين وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
منهم فالنصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة والنصح
ماخوذ من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها نصيحة
تقول العرب هذا قميص منصوح اي مخيط ونصحته نصحا اذا خطته
ويختلف النصح في الاشياء لاختلاف احوال الاشياء فالنصح لله سبحانه

هو

هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما ليس له باهل عقدا وقولا
والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه
والبعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والـ
جهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا وارادة وبث ما ذكرناه جميع
في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القر
اءة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المحرفين وطعن
الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للائـ
مة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة و
ارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد
بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد
خلتهم عند الحاجة ونصرهم في جمع الكلمة ورد القلوب النافرة
اليهم والنصيحة لجماعة المسلمين والشفقة عليهم وتوقير
كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم ودعوتهم الى ما يسعدهم
وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن
النصيحة للمسلمين رفع مؤنته يده ونفسه وهواه عنهم
قال الاصمعي نعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه نوقا مهازيل
ومسكها بيده حتى من [illegible] فالقاها في الماء وقال بالكلها اذا
جنبهم والنصح لجميع اعمال الرعية اصلاحهم ودعوتهم الى الايمان
وتحذيرهم سوء مغبة الكفر او التثبيت ان كان ذا سلطان ليكفوا عن
قتال المسلمين فيكون ذا حرمة واما بالقتال فيما لعله لا طاقة لامره فيهم و

Copyright © King Saud University

وروى معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل
عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة
المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم وقال جابر بن عبد
الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما
استطعت والنصح لكل مسلم وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال أبو الدرداء
العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة
لله لا تثبت إلا في قلوب المحبتين الذين عرفت عقولهم وصدقت نيا
تهم واعلم أن من عز النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولو العزم وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي
وجهي ما أكره وقال بلال النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله
بها الأنبياء عليهم السلام ومن أمارات الإخلاص والنصيحة في أمورهم
فالنفس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله مائلة إلى هواها وفي منثور
الحكمة ود لك من نصحك وقلاك من مشى في هواك وكان يقال أخوك من احتمل
ثقل نصيحته وقال بعضهم

عرضت نصيحة مني ليحيى ... فقال غششتني والنصح مر
وما لي أن أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأخلاق بر
ولكن قد أتاني أن يحيى ... يقال عليه في نقعاء شر
فقلت له تجنب كل شيء ... يعاب عليك إن الحر حر
وعلى النصح فحثني وعلى عيبك النصيح

وفي نسخة اخرى
وقال الخطا

ومعصية

ومعصية النصيح عليك مما ... تزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال وهب بن منبه إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه
ولا خير فيمن لا خير له في نفسه وقالت الحكماء لا ينصح امرأ لا ينصح
نفسه وقال بعضهم رأي ورأيك في العقل أمثل لنفسه من أن يحلانه
خلو من هواه وقال أبو الدرداء إن شئتم لأنصحن لكم إن أحب
عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويعملون في الأرض
نصحاء وروى أن رجلا لقي إبراهيم بن أدهم يرفع رأسه إلى السماء
وقال إلهي إنك تعلم أنما تثيبني وتعاقبه فلا تثيبني ولا تعاقبه
ومن الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم.

الباب الثامن والعشرون في الحلم ومجانسته ومحمود عواقبه

قال الله سبحانه إن إبراهيم لحليم أواه منيب وقال تعالى فاصفح
الصفح الجميل وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصفح الجميل
الرضى بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضى بلا توبيخ ولا حقد بعد
وفي الأمثال الغمة كاد الحليم أن يكون نبيا ويروى أن رجلا
قال يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى قال
لا تغضب واعلم أن الحلم أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب

Copyright © King Saud University

لما فيه من راحة الفكر واجتلاب الخير واحوال الناس به السلطان
لانه منصوب لاقامة وجه الحقائق ومعارضة اخلاقهم وكان يقوم
به في حال سلمهم وانما يغشون بابه حين نزل عمهم وخصوماتهم
وشرورهم وتكدر انفسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم تبرم نفوسهم
بهم وادبهم ورأيا وقع منه حمل ثقيل وكان انو شروان من اهل الحلم والا
ناة وكان يقول هما خصلتان لو انهما ظاهرتان لعين الرعية لضعف
بهما ذرعا يعني الحلم والاناة ويروى ان يحيى بن زكريا لقي عيسى
عليهما السلام فقال يا روح الله تعالى ما ينجي من غضب الله تعالى
قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف يبدأ الغضب قال التعزز
والتكبر والتجبر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال وجبت محبة الله على من اغضب فحلم والذي يحمد نظيره الامثال
في هذا الباب قصة اسحق قال له ابراهيم عليهما السلام يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تومر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين ثم تله للجبين واقبل على حلقه بالسكين فلم يقل
لا تفعل فقال الله تعالى فيه فبشرناه بغلام حليم وفي الاخبار يقول
ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم نيأس منه وان كان يعجزني اغو
ائيه غاية لانه تاتي عليه ساعة يحتد فيها فنصيب منه ما نريد
ويروى ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال
له يا امير المومنين انك انما تغضب لله فلا تغضب له باكثر من غضبه
لنفسه اعلم ارشدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم
حيث يجعل رسالاته فحمدها والشد فوقها واعظم شانها

٩١

لا خطأه اذ كنت ابيع السلطان انما تنصره في حق الله تعالى بامر الله فالله
سبحانه قد حد حدودا وشرع شرائع واقام فرائض وسننا ونهى عن حدود
ورسوم ثم قدر في كل ما يستحق عقابا بقدر حدا محدودا ونهى ان يتجاوز
ذلك الحد فلا يقتل من استحق الحبس والادب والحد ولا يقطع من استحق
القتل والادب ولا يحبس غير من استوجب الحبس وكانت الخلفاء يودبون
الناس على قدر منازلهم فمن عثر منهم في المروءة اقيلت عثرته ولم يقابل المروات
بشيء لقول النبي صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن سواهم
كان يقابل على قدر منزلته وهفوته وكان يقام فانما فيما يفعل فيه نظر اذ
فتكون هذه عقوبته وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من راسه
وآخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض غلظة قال الشعبي كانت القضاة
في زمن عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين اذا اخذ الرجل شاهد زور نزعت
عمامته وطيف به في المسجد وقيل هذا شاهد زور فلا تقبلوه وزياد ضربهم
ونزع عمائمهم فلما ولي مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤوسهم فلما
ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم سمر ايديهم وسيرهم بمسامير ثم
نزع الكرسي من تحت ارجلهم حتى تنخرم ايديهم فمن ميت وحي فلما
ولي الحجاج العراق وبلا تحجج قال كل هؤلاء يلعبون من اخل بثغره
ضربت عنقه وقال رسطاليس النفس انه لينبغي ان تجد الم الهوان والا
النفس التي بعد يوثر فيها يبيح الكلام وفيه قال القائل
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام واعلم
ان من تجاوز العقوبة فوق ما حده الله فيها فقد ولي الجرم في الذنب سبحانه
واستوجب ما استوجب المجرم من العقوبة ونيمن لا حرج انه انعلم

Copyright © King Saud University

يعاف للهوى والتشفي اذ ابقى بغضب لله تعالى وفي كتاب
سليمان بن داود عليهما السلام القاهر لنفسه اشد من يفتح
المدينة وحده وصدق نبي الله عليه السلام فان السلطان يفتح
المدينة ويقهر اهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقهر ابطالها
ثم تغلبه شهوة ويبغي ابتزاع ذل هواه وقد قهرته فتنة بطيئة
او قدح خمر يذهب بعقله وقال اكثم بن صيفي الصبر على جرع مرارة
الحلم اعذب من جني ثمر الندم وسال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كبيرا من كبراء فارس عن احمد ملوكهم عنده فقال لازدشير فضل
السبق غير ان احمدهم سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كان اغلب
عليه قال الحلم والاناة فقال علي هما توأمان ينتجهما علو الهمة
ومن محمود الصبر ان يعفو الناس من اخلاقه اذا لم يعجل بالثواب
ولا بالعقاب فان ذلك نجاح ومحض الغايب ورجاء التراجي قال محمود الوراق

ساكزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان عظمت منه علي الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ... تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... مقالته نفسي وان لام لائم

اجابته عرضي

وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول اسرع الناس جوابا من لم يغضب
لا توقدن جنبيك جمرة الغضب واشد دا اسالته بالحلم فان شجرة النار
اذا الحت عليها الرياح تحاكت اغصانها فتشتعل نارا وتحترق من
اصولها قال عمر بن عبد العزيز ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد

من اخر

من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه
في الباطل واذا قدر عفا وكف وسئل جعفر بن محمد عن حد الحلم
فقال وكيف يعرف حد شيء لم يره احد وقال الاحنف بن قيس
لابنه يا بني اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره
وكان سلم بن نوفل سيد بني كنانة ضربه رجل بسيفه من قومه فاخذ فاتي
به اليه فقال ما دعاك الى ما صنعت اما خشيت انتقامي قال فلم سودناك
الا ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحتمل
المكروه في النفس والمال فخلى سبيله فقال فيه الشاعر

يسود اقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كلب لبحكم من غرابة انما انت عبد فقال والله
لا عصيت عصيته ما يعصيها ان تعبد ما عقد الصانة وانا من النسي
ومن امثال العرب احلم تسد ويروى ان هشاما غضب على رجل من
اشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل فقال اما تستحي ان تشتمني وانت خليفة
الله في الارض فاستحيا هشام وقال اقتص فقال اذا اسفه
مثلك قال فخذ منه عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها
لله قال هي لله ثم لك فنكس هشام وقال والله لا اعود الى مثلها
وقال الشاعر

رب يبلغ الحلم اقوام وان شرفوا ... حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح احلام
وجهل رددنا ذاك بفضل حلومنا ... ولو اننا شئنا رددناه بالجهل اخي
ربحنا وقد خفت حلوم كثيرة ... وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

Copyright © King Saud University

وقال مسلم لخالد بن صفوان صف لي الأحنف بن قيس فقال أيها
الأمير إن شئت أخبرتك عنه بثلاث وإن شئت باثنين وإن شئت
بواحدة فقال أخبرني عنه بثلاث قال كان لا يحسد ولا يحقد
ولا يمنع الحق إذا نزل به قال فأخبرني عنه باثنين قال كان
يؤثر الخير ويتوقى الشر قال أخبرني عنه بواحدة قال كان
أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أكثم بن صيفي الغلبة
والعز للحلم وقال الأحنف وجدت الحلم أنصر لي من الرجال
وصدق الأحنف لأن من حلم كان الناس أنصاره كما روي أن رجلا
أسرع في شتم بعض الأدباء وهو ساكت فاحتمى له بعض
الحاضرين بالضرب وقال له رحمك الله أما انتصرت فقال لا قال
ولم فقال لأني وجدت الحلم أنصر لي من الرجال وها هم بين يدي إما
يعظمني وقال رجل لعمرو بن العاص والله لأتفرغن لك فقال الآن
وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر إن رجلا فيمن كان قبلكم
استضاف قوما فأضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا أنبح
ضيف أهلي الليلة فعوا جراؤها في بطنها فبلغ ذلك نبيا من أنبيائهم
أو قيلا من أقيالهم فقال مثل هذا مثل أمة يكونون بعدكم يغلب
سفهاؤهم على حلمائهم وقال الأحنف إياكم ورأي الأوغاد قالوا
وما رأي الأوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وسئل الأ
حنف عن الحلم فقال هو الذل أصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور
ويروى أن المهلب نازعه رجل من بني تميم فأربى على المهلب
والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت إذا شتمني استحييت من

سخف

سخف السفهاء ورغبت عن غيبة اللئام والسفلة وكان
إن الحيي تقل وجهه وسخت نفسه بأن يكف بعض الحجة وينبذ
المروءة وخلع ربقة الحياء وقلت ما كنت أتى بسوء الثناء ومر المسيح
عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل
له إنهم يقولون شرا وأنت تقول لهم خيرا فقال كل ينفق مما عنده
وقال أكثم بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفى النقمة
نوم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الإخوان غنم والمماراة تزرع يفرق ومن
الفساد إضاعة الزاد وسب رجل الشعبي بقبائح نسبها إليه
فقال الشعبي إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر
الله لك وقال رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأسبنك
سبا يدخل معك في قبرك فقال أبو بكر معك والله يدخل لا معي و
وقال رجل للأحنف بن قيس إن قلت لي كلمة لتسمعن مني عشرا
فقال لا لكنك لو قلت عشرا لما سمعت مني واحدة ويروى أن
رجلا سب الأحنف وهو فيما يشبه التكرير فلما قرب من المنزل
وقف الأحنف وقال يا هذا إن كان بقي لك شيء فقله ها هنا
فإني أخاف أن يسمعك فتيان الحي فيؤذوك وسب رجل بعض
الحكماء فقال له الحكيم لست أدخل في حرب الغالب فيها شر من
المغلوب وقال لقيط بن زرارة
فل بني سعد فما لي وما لكم ترقون مني ما استطعتم وأعتق
أغركم أني بأحسن شيمة بصير وإني بالفواحش أخرق
وقال رجل لأبي ذر أنت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

Copyright © King Saud University

خير ما اعطا فقال بل ان اخي ازورا في عقبة كؤود ان نجوت منها لم يضرني ما فاتني وان لم انج منها فانا اشر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال له الحكيم وعنك اعرض وفي هذا المعنى قيل

قل ما بدا لك من زور ومن كذب ... حلمي اصم واذني غير صماء

وقيل يوما للاحنف ما احلمك قال لست بحليم ولكني اتحالم والله اني لاسمع الكلمة فاحم لها ثلاثا ما يمنعني من جوابها الا خوف من ان اسمع شرا منها وقال الشاعر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا ... اذا كان عند السخط لا يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا ... اذا كان عند العسر لا يتجشم

وروي ان رجلا سب جعفر بن محمد فقال له اما ما قلت مما هو فينا فنستغفر الله تعالى منه واما ما قلت مما ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب اد رسخوا لغضبان في غضب الله تعالى وقال لقمان من صفتي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه ضعيف مستذل ولا يكون مخلطا حتى يقول الاحمق انه متعسف ومن اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ... اصبت حليما او اصابك جاهل

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب

عدو

٩٤

عدو العقل صديق ونذله يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مفسدة في العقل وربما اصلد وربما ازنه وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلك العقل وكان ابن عون اذا غضب على احد من اهله قال له بارك الله فيك وقال ابن صعصع وقع ازدشير الى رجل كان يقوم على راسه كتبا وقال له اذا رايتني اشتد غضبي فادفعه الي وكان فيه اسكن فلست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبع امران يكتب في كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه علي فكذا كان اذا غضب عرضه عليه فاذا قراه سكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطي الرجل الحلم فاذا ذكر ذكر واذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا اساء استغفر واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من كان الغضب حرم السلامة ومن عصا الغيظ عظم اثمه وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال اول الغضب جنون واخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلبت على الرجل اربع خصال فقد غلب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لاغيظن من امره بغيبة الله في وله قيل من امرك قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكر اشياء رحمتك منها فقال هل سمعته اذ اذكره بشيء فقال لا قال فاياه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون

Copyright © King Saud University

على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد
تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري انا لجالس عنده وفي فنائه اذ جاءته
جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل مكتوف فقيل هذا ابنك قتله ابن اخيك
فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم التفت
يقول

اقول للنفس تأساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم قال لابن المقتول قم فاطلق عمك وسق الى امك مائة من الابل فانها
غريبة ووار اخاك ومن ابيات فالله اعرب قول بعضهم

فتى بالحزم يرتدي بالحلم واحج ... الاحلام ذو بالوا الازر
باحلام عاد لا يخاف جليسهم ... اذا نطق العوراء غرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما هم من لا يحمل عند الجهل ولا قوة من لم
يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع لرب تعالى وقيل للاسكندر
ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال هم بعد ان
العقوبة اعذر في ثلبي وتنقصي وروي ان جرير بن عبد الله بينما
هو راكب فرسه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت
فلما ولى قال ابن له لم سكت عنه قال يا بني اما وسع جرير
وقال بعض الحكماء متى اشفي غيظي احين اقدر فيقال لو عفوت
ام حين اعجز فيقال لو صبرت وقيل لبعض اصحاب الاحنف اكان
الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضب ا

الشيء

داخ

الشيء فيتبين في وجهه ايام ثم ينطفئ وهو يحلم ويصبر ومن لم
يغضب من الاشياء التي من شأنها ان يغضب فقد فقد من افضل الشيم
عظم الحمية والانفة والدفاع والاخذ بالثأر والنصرة لان هذه الخصال
نتائج الغضب فمن فقد الغضب فقد فقد ابن الغضا بل على ما نذكره في
باب الشجاعة ان شاء الله وعند فقد الشجاعة يكون فقد المهابة
ومن فقد المهابة يكون مستضاما الاخلاق ورذل الطباع فلا يبقى بعدها
فضيلة هو فيها وكان يقال من لا يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف
عند الغضب وكان الشعبي يقول الجاهل خصم والحليم حاكم وقال
الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض
فهو جبار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب ولكنه انما كان
يغضب لله لا لنفسه بل عند انتهاك حرمات الله واعلم ان الله تبارك
وتعالى ما مدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقال تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقد انشد النابغة الجعدي
بحضرة النبي عليه السلام

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافر استتبع
سفيها ويقول نستدفع به شر السفهاء

الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن به الغضب

فاول ذلك انك لو نظرت الى تغير اشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك

Copyright © King Saud University

وانتفاخ اوداجه وتغير هيأته وسفه كلامه وتحشيه فيخرج
من فيه لا مسكن عن الغضب ولكان لما كنت تستحيي ان تتكلم بين
يدي الجلساء باليسير الجاري بعدك نجد ربما الكثير الفاحش ولو ان
ان من غضب استذكر اذ هدا وسكن غضبه انقلاب صورته وتغير وجهه
وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد ضربه وسفساف كلامه
وبحوى خطابه والتقاء لسانه وخفة عقله وطيشه وثوبه
من مجلسه كانه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كانه قرد وعدم
فهمه لما يسمع كانه بهيمة وقلة التفاته لمن ينصحه ويعظه كانه
احمق ومن شوم الغضب وعظيم بليته انه قد يقتل النفوس
ويسلب الارواح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه
وبين اخيه سليمان كلام فعجل عليه سليمان فقال يا من [illegible] ففتح
فاه ليجيبه واذا ابجنبه عمر بن عبد العزيز رحمه الله فامسك على فيه و
ورد كلامه وقال يا عبد الملك اخوك وامامك فقال يا ابا حفص
قتلتني قال وما صنعت بك رددت في جوفي احر من الجمر ثم مال في
جنبه فمات من وقته [illegible] ومنها ان ينتقل
على الحالة التي كان عليها في حالة الهيج كما كانت العرب تقول اذا
غضب القايم فليجلس وان كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان الها
موت يا خذ بنفسه وروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم
القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك
الطوايف اذا غضب القي بين يديه مفاتيح ابواب ترب الملوك فيزول
غضبه وفي التوراة يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين

اغضب

خوله

اغضب فلا امحقك فيمن امحق وكان عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه اذا ذكر الله سبحانه خاف منه
فيزول غضبه ومنها ان يتذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته
عند ابناء جنسه ووصفهم له بعدم شفقته فيكون ذلك سببا لزوال
غضبه ومنها ان يتذكر انعطاف القلوب اليه وانطلاق الالسنة
بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين والسفه شين
وذل وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما زاد الله رجلا بعفوه الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال بعض
الحكماء من تذكر قدرة الله سبحانه لم يستعمل قدرته في ظلم عباده
وكتب بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا
غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما انت بشر ارحم
من في الارض يرحمك من في السماء وكان معاوية رحمه الله كثيرا ما ينشد
∴ انا اذا مالت دواعي الهوى ∴ وانصت السامع للقايل ∴
∴ نخاف ان نسفه احلامنا ∴ فنخمل الدهر مع الخامل ∴
وقال بعض البلغاء اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذلة العذر
∴ واذا ما اعترتك في الغضب العزة ∴ فاذكر مذلة الاعتذار ∴
∴ زررنا على غر الفواحش فمضنا ∴ ولم نستجز الا الذي هو احوج ∴
وقال عبد الملك بن مسلم يجاوب الهرون يا امير المومنين اسعد بانك
انك يزيد به غدا اذل منهي ببرج في اليوم وبالذي هو افد رعلى عقابك
منك على عفا به لما عفوت عني فعفا عنه لماذا كره رحمه الله عليه وقال
رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في اسرى ابن الاشعث ان الله تعالى قد اعطاك
ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو وقال المامون لعمه ابراهيم

ولحيته

واعظم [illegible] ∴

واخر بيس شعر
واخر

ابن المهدي وكان مع اخيه عليه انه شاورت في امره فاشاروا علي
بقتله الا انه وجدت قدرك يفوق ذنبه فكرهت القتل للازم حرمته
فقال يا امير المومنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت
ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان
عفوت فلا نظير لك وانشد يقول

البر منك وطا العذر عندك لي ∴ فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم ∴
وقام علمك بي فاحتج عندك لي ∴ مقام شاهد عدل غير متهم ∴

وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لوم و
ومنها ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام و
وشرور القصاص في بدنه يبرح من لا يرحمه فانه لا محالة من عدمي
الغضب .

الباب الثالث في السخاء والجود

وهذه الخصلة الجليلة قدرها العظيم موقعها الشريف موردها
ومصدرها وهي احدى قواعد المملكة واساسها وتاجها
وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل الرقاب وتخضع لها الجبابرة
وتستشرف بها الاحرار ويستمال بها الاعداء ويستكثر بها الانصار
الاولياء وتحفظ بها الذمام وتملك بها الغرباء والبعداء وتسود
بها في غير عشايرهم الغرباء وهذه الخصلة هي اعظم الواجبات
اشبه منها بالجمال والتكميلات فكم رأينا قد ترك دينه والتزم
دين الاسلام ابتغاء عرض من الدنيا فقبلنا له وكم سمعنا من سلم
او ثبت في ارض الشرك فتيتا ما يصيبه من عرض الدنيا واخلق الخصلة
بتوالها الانسان في بيته التي بها راح ونفسه ان تكون جليلة

الفقر

اللهم صل على الحبيب

٩٧

الفقر وعظيمة الفحش والعوج خلق الله فقرهم الى عطب الفقر
عليه وضرب الوجوه اليه وهم الملوك والولاة واعظم الارشدكم
الدنيا معشر من وسع الله عليه في دنياه واسبغ عليه الاء ونعماءه
الله ليس في الجنة لا . وقد وصف بعض البلغاء رجلا بخيلا فقال
هو جملة من حيث جبينه وجهه لا وقال نوابع الحمل ... ومنحته
وما هي الا من كلمة لا تدخل الجنة شقوتها وضعة وانما السنن ان
الجنة على ما تشتهيه النفس وتلذ الاعين وهذه الخصلة اعني
الكرم والجود والسخاء ولا شيء متغاير بمعنى واحد يوصف الباري سبحانه
له بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل
لعدم التوقيف وحقيقة الجود ما يصعب عليه البذل و
وقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى
البعض وامسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب
جود ومن اثر غيره بالحاضر وبقي في مقاساة الضر فهو
صاحب ايثار وفضل ذو النوع الثالث السخاء ان تسخو نفسه
بما في يديه ونهايته ان تسخو نفسه بما في ايدي الناس للناس
ولا يبالي من اكل الدنيا وتذاكر قوم من الزهاد عند رابعة العدوية
فجعلوا يذمون الدنيا ويكثرون ذمها فقالت رابعة من احب شيئا
اكثر من ذكره واصل السخاء هو السماحة ولا تأتي ما تأته من طيب
نفس وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا
اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع العطاء ولهذا قال عمر وقد
ان البخيل لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء لان العطاء بعد

Copyright © King Saud University

والفعل لا زال مستحيلا وقال بعض الحكماء أيها الجامع لا تخدعن
فإن المأكول للبدن والموهوب للسعادة والمتروك للعدو وقال الله تعالى
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال أبو هريرة جاء
رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه يلتمس له شيئا فقلن والذي
بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند
رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله
فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فحمله إلى منزله وقال لأهله هذا
ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فأكرميه ولا تدخري عنه شيئا فقالت
ما عندنا إلا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ثم
أسرجي السراج وابرزي القوت فعلليهم فإذا أخذ الضيف يأكل
فقومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف
النبي عليه السلام ففعلت وجعلا يمضغان ألسنتهما والضيف يظن
أنهما يأكلان وباتا كلاهما يطويان فأصبحا فنظر النبي صلى الله عليه
وسلم إليهما فتبسم ثم قال لقد عجب الله سبحانه من فلان وفلانة هذه
الليلة ونزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وقال
أنس بن مالك أهدي إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم رأس شاة مشوي
وكان مجهودا فوجه به إلى جار له فوجه به الجار إلى جار آخر فتداولته
تسعة أبيات حتى عاد على الأول فنزل ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك
أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به

بين

بين القتلى فقلت أسقيك فأشار أن نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن
عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاصي فقلت أسقيك فسمع
آخر يقول آه فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات ثم
رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمه الله وروت عائشة رضي
الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله تعالى قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله تعالى بعيد من الجنة قريب
من النار والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ابن آدم إنما لك من مالك ما أكلت
فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما تركته فللوارث
واعلم أن السخاء على وجوه سخاء في الدنيا وسخاء في الدين فالسخاء
في الدنيا البذل والعطاء والإيثار وسخاء هذا النفس قال الله تعالى ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض
جمع المال والتعاهد للإخوان بسرور أن يدخل قلبه والسخاء في الدين
أن تسخو بنفسك أن تتلفها لله تعالى وتريق دمك في سبيل الله سبحانه
من غير كراهة ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كان رجل مستغن
عن الثواب كان الغالب على قلبه حسن كمال السخاء بتوطن أنا اختيار على
الله تعالى سبحانه حتى يفعل الله بك ما يحسن أن تختار لنفسك وقيل
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد إذا سئل الحليم
إذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره
وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم
بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى

Copyright © King Saud University

وقال ابن المعتز افضل الناس من عاش الناس في فضله قال المصنف وقيل
المحسن باع طلحة من عثمان رضي الله عنه ارضا بسبعمائة الف فلما
جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا وكانه ربما يطرقه لغرير بالله تعالى
ثم جعلها صررا وجعل رسوله يختلف حتى قسمها وما اصبح عنده
منها درهم وكان اسماء بن خارجة يقول ما احب ان ارد احدا عن حاجة
لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عرضي عنه
وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال الرزق على اخوانه فيضع
عند احدهم الف درهم ويقول امسكوها حتى اعود اليكم ثم يرسل
اليهم انتم منها في حل وقال العتبي اعطى الحكم بن عبد المطلب
جميع ما يملكه فلما نفد ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه يريد الغزو
فمات بمنبج فاخبر رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق
لا شيء له فاغنانا قيل وكيف اغناكم وهو مملق لا شيء عنده فقال ما
اغنانا بالمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا
واكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه
وبينه فقال يا هذا ان رحمك بي تقارب كذا وكذا وقد اعطيت فيه
ستمائة الف درهم يراح الي بالمال العشية فان شئت فانتظر فان
شئت فاقبضه ويروى ان رجلا بعث الى جفنة بجارية فوافته بين
اصحابه فقال قبيح ان اتخذها لنفسي وانتم حضور واكره ان اخص
منها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكا
نوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية او وصيفة وقيل لقيس
ابن سعد هل رايت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امراة

فحضر

فحضر زوجها فقالت انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال
شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى ونحرها وقال شأنكم فقلنا ما اكلنا
من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم ضيفاني الغاب فبقينا عنده
اياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا في بيته
مائة دينار وقلنا للمراة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما متع النهار اذا
برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتمونا ثمن قرانا ثم
انه لحقنا وقال لتأخذنها او لاطعننكم برمحي فاخذناها وانصرف
وقال ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصحب
اهل القبور وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم المعروف الا بثلاثة
تعجيله وتصغيره وستره فانه اذا عجله فقد هناه واذا صغره فقد عظمه
واذا ستره فقد تممه وقال الاصمعي كان احدهم يستوي ان لا يغيبه
بنصيب وقال البعض في كل شيء سرف الا المعروف وقيل للحسن بن
سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى
ونظمه محمد بن حازم رحمه الله وايانا فقال

لا الفقر عار ولا الغنى شرف ... ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شيء تقدمه ... وكل شيء اخرته تلف

واما طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة
الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه و
وكان يبتاع الرقاب ويعتقها وكل معتق يولد له ولد يسميه طلحة
فبلغ عددهم الف رجل كل واحد يسمى طلحة فسمي طلحة الطلحات
ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر

Copyright © King Saud University

فضل الله اعطاها وفوقها بستين مثل كفة الكلمات
وبلغه ان معمرا في الكتاب كان يا مجازا وفوق قعوا الدهر فارسل اليه مع
غلام مد ما يديه اليه وقال تسلمها اليه وان كان قد مات وله ولد فادفعها
الى ولده وان لم يكن له ولد فيفرقها على قومه فوافاه الرسول فقد مات ولم
يعقب ففرقها على قومه وقال زيد بن اسلم وكان من المتقشفين يا ابن ادم
امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما وتدخل النار
وقال حكيم بن حزام ما اصبحت قط صباحا لم ارى ببابي المحتاج طالبا
حاجة الا عددتها مصيبة ارجوا ثوابها وقال ابو علي الثقفي اهل
المعروف كنز لا ينفعه من يصونه فاجر وكان الزبير اجود الناس واشجعهم
ولما مات وجد عليه الف الف وما يفيا الف دينار ووجد مكتوب
على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك واد عنر
واعلم ان تغييرك على نفسك توفير خزانة غيرك فكم من جامع لبعل
حليلته وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال
فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك وروى مالك في الموطأ ان مسكينا
سال عائشة رضي الله عنها وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف
فقالت لمولاتها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت
اعطيه اياه ففعلت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت شاة وكفنها
يعني ملفوفة بالرغايف فقالت لي عائشة رضي الله عنها كلي هذا خير من
قرصك وقال عبد الله بن عمر ما كان احد منا على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيئا وقال الحسن كنا نعد
البخيل من يقرض اخاه الدرهم ومن عجايب ما ذكرته في ابتدا رماد كرم

ابو

ابو محمد الازدي لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى
احرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا
الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها
عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد
رجل فيها القتل فقال ما كنت ابالي لولا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان
الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي ام فادفع لي رقعتك وخذ رقعتي
رقعتي ففعلا فقتل ذلك وتخلص هذا وحكي عن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة لم تشبع
جميعهم فكسروا الارغفة واطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى ان رفعوا
فلما رفع الطعام فاذا هو بحاله لم ياكل منهم احد ايثارا لصاحبه على نفسه
وروى انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب القلوب فحضر طعام فيه تين
اخضر وقد غسلوا ايديهم وكانوا اهل تقشف بداء فان كلهم يحبه حتى اكل
اكلها وان كثر يطيب وقعد لصاحبه وتركها فلما رفع ادا الطبيب له
كله في الطبق لم ياكلوا منه شيئا وقال بعض الرواة دخلت على
بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت له يا ابا نصر
الناس يزيدون من الثياب في مثل هذا اليوم وانت قد نقصت فقال ذكرت
الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما اواسيهم به فاردت ان اواسيهم
بنفسي في مقاساة البرد وقال ابن الشاه ابو علي محمد اسماعيل غلام خليل فا
لصوفية الى الخليفة يامر فقد امر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه
تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب ابي ثور واما الشحام والرقام وابو
والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم

Copyright © King Saud University

الثوري أمامه فقال الشاب نحوه بما تقول قال نعم قال وما يحملك قال
أوثر أصحابي بحياة ساعة فقيم الشابعون تعولهم الى الخليفة فردهم
الى القاضي ليتعرف حالهم فانتهى القاضي على ابي الحسن الثوري معنا قبل فقهية ليتعرف
فاجابه على الكل ثم اخذ يقول ويعرض ان لله عبادا اذا قصدوا قصدوا بالله
وان نطقوا نطقوا بالله ويسرد الكلام حتى بكى القاضي فارسل الى
الخليفة وقال ان كان هولاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاطلق
كلامهم وقد مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فسأل
عن العيادة فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى
الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر من ينادي من كان عنده مال
فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه من العشي بكثرة العواد ويروى ان عبد
الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها
اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاث قرص ودخل كلب فدنا من الغلام فرمى
اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب
قال ما هي بارض كلاب وانما جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت ان
ارده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن
جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما
فيه من الالات واعتق الغلام ووهب ذلك له وقال الثوري رايت محمد بن سوقة
بالغداة صاحب مائة الف وبالعشي يسال الناس من اصحابه قرصة وقال
ابو عمرو الزجاجي دخل ابو عبد الله احمد وداني الى دار بعض اصحابه فوجده
غائبا وهذا البيت مقفل فكسر القفل وامر بجمع ما وجد فيه فابعده الى

السوق

السوق فاعوله واصلحوا وفدا من الثمن ونعدوا فجاء صاحب البيت ولم
يقل شيئا فدخلت امراته بعدهم الى الدار وعليها كساء فدخلت البيت
ورمت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا من جملة المتاع فبيعوه وو
قال زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت له اسكت مثل الشيخ
يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه وأما عبد الملك
ابن عمر فورث خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال
ما كنت لاسال لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بمالي ويروى
ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت
لابيه حاتم فملاها وبعثها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة وقال ابن
جعفر لا عزانك ان كان ولا افرح بشيء انا من بيت الكرم واكتساب
الشكر وذلك ان عز التعظيم بالفعل الجميل يقع في قلوب الرجال ومن
تخصص بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بعزته وماله وربح الشكر وا
والثواب وروي ان عبد الله بن ابي بكرة وكان احد الاجواد عطش يوما
في طريقه فاستسقى ماء من منزل امراة فاخرجت كوزا وقامت خلف
الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امراة من
العرب مات خادمي منذ ايام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام
احمل اليها عشرة الاف درهم فقالت سبحان الله تسخر بي فقال يا غلام تسخر بي
احمل اليها عشرين الف درهم فقالت اسال الله العافية فقال يا عشرين الف
غلام احمل اليها ثلاثين الف درهم فما امست حتى كثر خطابها وقال
بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال
ما حاجتك قال اربعمائة درهم فعدها ودخل الدار واخرجها اليه

Copyright © King Saud University

ثم دخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت حين شق عليك اتيانه
جايته فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي
وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكيا وقال
الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا ويروى عن امراة من العرب
قالت لما عيثان بن هلال وهو جماعة من اصحابه ما السخا عندكم في الد
نيا قالوا البذل والايثار قالت فما السخا في الدين قالوا ان تعبد الله سخية
به انفسنا غير مكرهة قالت ما تريدون على ذلك اجرا قالوا نعم لان الله
وعد على الحسنة عشر امثالها قالت فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرا فباي شي تسخيتم وانما السخا ان تعبدوا الله متنعمين متلذ
ذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا اما تستحيون ان يطلع
الله على قلوبكم فيعلم منها ان تريدوا بشي شيا وقالت بعض
العابدات لبعض المتعبدين اتظنون ان السخا في الدينار والدرهم فقط انما
السخا في بذل المهج في الله سبحانه وقال ابو بكر الوراق ليس السخا
ان يعطي الواجد المعدوم انما السخا ان يجود المعدوم الواجد وقال
الشيخ ابو عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي من الاجواد
لم يناول احدا شيا بيده وانما كان يطرحه بالارض فيتناوله الاخذ من
الارض وكان يقول ان الدنيا اقل خطرا من ان ترى من اجلها يدي فوق يد اخرى
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا افضل من اليد السفلى
وكان يتوضا يوما في صحن داره فدخل عليه انسان وساله فلم يحضره شي
فقال اصبر حتى افرغ فصبر فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فلما خرج
وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان واخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه

وانه

١٠٢

وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل وفي معناه قيل
ملات يدي من الدنيا مرارا فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد
وكان ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما
اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة الاف درهم حتى
اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركونني محبوسا ففعل ذلك فلم
يمسوا حتى دفعوا اليه عشرة الاف درهم وقال زياد بن جعفر مررت
طلحة بن عبيد الله فرق مائة الف درهم في مجلس وانه ليخيط ازاره
بيده وقيل دخل ابن المنكدر على عائشة رضي الله عنها فقال لها يا
ام المومنين اصابتني فاقة فقالت ما عندي شي فلو كانت عندي
عشرة الاف لبعثتها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة
الاف من عند خالد بن اسيد فقالت ما اوشك ما ابتليت فارسلت
بها في اثره فدخل السوق فاشترى جارية بالف درهم فولدت
له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر بنو
المنكدر وقال المحبر بن صعين كان جرير بن زيد في دار المهلب فجاءه
انسان يطلبه فقال للغلام اذهب الى الجواري وقل لهن من ارادت منكن
ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل
خذها وقال الاصمعي كانت حروب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة
فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا بالمسجد الجامع
قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن زرارة فاستاذنت عليه فاذن
لي فاذا هو في شملة يخلط عنزا له حلوبا فخبرته بمجتمع القوم فامهل

وانه ليخيط

يمسك

العنزه

Copyright © King Saud University

أأنتصح مني إن سمعت وإن ترى بجسمي شحوب الجوع والحق جاهر

أقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد

وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت من الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وروي أنه كان عند بهلول بن راشد طعام فغلا السعر فأمر به فبيع ثم أمر أن يشترى له نصف ربع قفيز من طعام فقيل تبيع وتشتري فقال نفرح إذا فرح الناس ونحزن إذا حزنوا. وقالت أم حاتم الطائي:

لعمري لقدما عضني الجوع عضة فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائم اليوم أعفني فإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فهل ما ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

آخر

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال

ويروى أن رجلا سأل الحسن بن علي فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي. ويروى أن الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسلا وأمر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطي على قدر نعمتنا. ويروى أن رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما أراد الرجل أن يرحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال عبد الله إنهم لا يعينون من يرحل عنا وفي معناه قال المتنبي:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

الباب الحادي والثلاثون في

الشح

الشح وما يتعلق بهما

الشح والبخل في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووساوسها وروى جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وفي الفرق بينهما معروفون فقالوا الشح أشد من البخل فإن البخل الكثير ما يخاف فيه النفقة وإمساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عز من قائل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه وقال في الشح أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فالشح ينشأ عن الحسد وكذا امتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن يطمع إلى ما ليس له وقد قال ابن المبارك سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل وقال رجل لابن مسعود إني أخاف أن أكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال ليس الشح الذي ذكر الله تعالى ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل ففرق بينهما كما ترى وقال ابن عباس من اتبع هواه فلم يقبل الإيمان وقال طاووس الشح أن يبخل المرء بما في أيدي الناس والبخل أن يبخل المرء بما في يده وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة وقال ابن حزم منع بذل

خذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح ان يمنع شيئا امر الله به فقد
وقاه الله شح نفسه وقال ابو الشاح الاسدي رايت رجلا في الطواف
يقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسالته عن ذلك فقال اذا وقيت
شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه واعلم ان البخل يكون من سوء الظن بالله عز وجل الا يخلف
ولا يثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله تعالى به ويحمل على البخل
الى جميع الاوامر من العبودية بين الخالق وبين العبد وبين المخلوقين من
معاونتهم والنصح لهم وقال كسرى لحكمائه اي شيء اضر بابن
ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد
شبع والشحيح لا يشبع ابدا وقيل قدم الشا وعليه من صنعاء
الى مكة معه عشرة الاف دينار فقيل له اشتر بها ضيعة فخرج
فجلس خارج مكة وصب الدنانير فقال من جاء بحبة كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء ولما
حضرت وفاته قال احضروا فلانا يغسلني وكان الرجل غائبا فلما قدم
اخبر بالوصية فتحرى فوجد تسعين الف درهم دينا فقضاها
وقال هذا الغسل اياه وروي ان رجلا اراد ان يؤذي عبد الله بن عباس
فاتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عنده فاتوه
فملئوا الدار فقال ما هذا فاخبر فامر ان يشترى الفواكه بالو
فن وامر بالخبز والطبخ واصلح امره فلما فرغ قال لوكيله اموجود
هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغدوا هؤلاء عندنا كل يوم الى الشهر
ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من اصول الصبر

الباب الثاني والثلاثون

∴ الباب الثاني والثلاثون ∴
∴ في الصبر وجميل عواقبه ∴

الصبر زمام جميع الخصال وزعيم الغنم والنجح وملاك كل فضيلة
وبه ينال الكرم والمكرمة وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قد
فعظم وكذا في الحديث ذكر الله تعالى ورسوله فيها اجزاء معلومة لعمل
اقامها الا الصبر فانه يجازى بغير حساب وقال تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما اخذوا براس
براس الامر جعلهم الله تعالى رؤوسا وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون للنبي عليه السلام وقال انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية وقال جل وعلا ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ثم ندبه بعد الى الصبر مع
وجوه الاذى فقال واصبروا ان الله مع الصابرين والصبر حبس على الا
وامر والمكاره والنواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا فقيل
لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واخبر الله تعالى انه انما
اتاهم الجنة بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معاصي الله
تعالى قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية احبس نفسك
بمراعاة حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر على الملمات
والرفق عند النوازل وفيما يروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه
السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال سفيان بلغنا ان
لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر النجح قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا

Copyright © King Saud University

اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني لعلكم
الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا
عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا
على انتظار الصلوات بعد الصلوات لما روى ابو هريرة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو به الخطايا ويرفع به الدرجات
قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا
الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال
الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه
بالكوكب فصبر وبالقمر فصبر وبالشمس فصبر وبذبح ابنه فصبر فقال تعالى
فيه واستعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر
قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين وان لم
المصلين وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ما يكن عندي من
خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه
الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطاء خيرا ولا اوسع من
الصبر وقال ابن مسعود قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمة
فقال رجل من الانصار والله انها لقسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فشق عليه وتغير وجهه وغضب
حتى وددت اني لم اكن اخبرته ثم قال اوذي موسى عليه السلام
باكثر من هذا فصبر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على امرأة
تبكي على قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني انك لم
تصب بمثل مصيبتي فلما مضى قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible]

فجاءت اليه معتذرة وانها لم تعرفه فقالت ما صبر فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى وفيه امرها النبي صلى
الله عليه وسلم بالصبر وكذلك هذا تعليما لمن جاءته المصيبة تقول او
قبلها او غلبته وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان
فقال الصبر والسماحة وفي منثور الحكم قالت الفجيعة انا لاحق
بارض العرب قال الجوع انا معك قال ابا بعل انا لاحق بارض الحجاز
فقال الصبر انا معك وقال الهلاك انا لاحق بارض العراق قال القتل
انا معك واعلم ان الجزع حرق ومخرجها من فقد ادعقل واخرين من
ذلك التعزية بالامر بعد القدرة وقال رجل لاخ علي الناران كان
ماوها قليل فلا يصيب من الناروان كانت مملوءة لم تغل حتى يكثر نارها
ونكون معه تهدا وفي كتاب ما ونداد رجل وليس تعجم كتبت مثله قال
محرم على الشامع حريق الغابل لابد كذلك هذه الحرص الحياة على
مضض المصيبة وعامل بعض بن احبها ابنه وحمالة احبته واعلم ان
الصبر على اقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فا
لصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به وصبر على ما نهى
عنه الله تعالى فاما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد كصبره على مقاسات
ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه اخر
على اربعة اقسام فاول اقسامه واولاه الصبر على امتثال ما امر الله
تعالى به وعلى الانتهاء عما نهى الله عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من مسرة او نقضة او فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده
من رغبة يرجوها او يخشى حدوث رهبة يخافها والرابع الصبر على

Copyright © King Saud University

ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف وجميع اقسامه محمود وبكل لسان
وفي كل ملة وعند كل امة منتقل وكان قرة وقال اكثم بن صيفي من صبر ظفر
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وافتقد عند الـ
صبيه لا ينبوا وقال ازد شير الصبر الجرطل وقال عليه السلام الـ
الصبر ضياء وبه يتوقع الفرج وقال عليه السلام الصبر يسرى
الكروب وعون على الخطوب وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل
العدة الصبر على الشدة وقال عبد الحميد الكاتب لم اسمع اعجب
من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبر والشكر مطيتين لا ابالي
ايهما ركبت وقال بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك
الحظوظ وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فالله
بالبلاء اصبر احسنا ما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر المحمود صا
حبه ان يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمر
ولاكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ
مرتبطا وفي منثور الحكم من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا
وقال من جمعهم شر الرضى على نفسه الة ولكن الصبر ولاند للحسد
ذكر بيحتمل ولا مكتسبة لذا جلال تكثر في العزاء ولا مجتنبة للمعقب
كالعجب ولا متلعه للمروة كا منعان الهزل في مواضع الجد
فاما القسم الاول وهو الصبر على امتثال اوامر الله تعالى والانتهاء
عن محارمه فيه يصح اداء العبادات واستعمال السنة ويد على قوله
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال علي رضي الله عنه
الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد وقال الحسن النصر من الدنيا

الى الله

الى الله تعالى صبران حسن على النفوس وجميل الخلق لوجه الله تعالى
والصبر عن النعم ابى تسعى صعب شديد والصبر مع الله تعالى اشد
وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس وكان حبيب بن حبيب
اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب يبكي ثم يقول
ثم يقول واعجباه اعطى واثنى وقال الخواص الصبر الثبات على
احكام الكتاب والسنة وقال عبد الواحد بن زيد من نوى الصبر على طاعة
الله صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معاصي الله تعالى اعانه
الله تعالى عليها وعصمه منها وقال عمر بن عبد العزيز لقد صبح بحمد ا
او صبي وقال القاسم عليكم بالصبر في مواضع الصبر وقال الحسن البصري
صبران صبر عن المعصية وصبر عما نهى الله عنه وهو افضل وانما يختلف
الصبر بالخوف والرجاء من خاف شيئا صبر على البراء منه وصبر عند كراهة ما
يجنى من ضره ومن رجا شيئا صبر على طلبه ليظفر به واما القسم الثاني
على ما فات ادراكه من مسرة او نقصت او فات من مصيبة فانه يتحمل به
الـ ... مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح واحرز الثواب وان
لم يصبر حمل الوزر والهم وقال علي للاشعث بن قيس ان تجزع فقد
استحقت ذلك منه الرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان
صبرت جرى القلم عليك وانت ماجور وان جزعت جرى القلم عليك وا
وانت موزور نظمه ابو تمام فقال
وقال علي في التعزي للاشعث … وخاف عليه بعض تلك المآثم
انصبر للبلوى عزاء وحسبة … فتوجر ام تسلو سلو البهائم
خلقنا رجالا للتجلد والتعزي … وتلك الغواني للبكاء والمآتم

Copyright © King Saud University

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن صبرت مضى أمر الله تعالى وكنت مأجورا وإن جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وقال بعضهم والله لو كلفنا الجزع ما قدرنا به فالحمد لله الذي أجرنا على ما لو نهانا عنه لصرنا إليه وعن هذا قال الحكماء الجزع أتعب من الصبر وفي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والأجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع أقبح صورة وأخور طبيعة ولكن الصبر لا يكون إلا بالغلبة بحسن الخلقة وكرم الطبيعة وقال بعض الحكماء لو وكل الناس إلى الجزع لجعلوا إلى الصبر وقال شبيب بن شبة للمهدي إن أحق الأشياء ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا إلى دفعه وأنشد:

وإذا لقيت مصيبة فاصبر لها ... عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر
وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن ... فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وقال بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على ما فاته أو اكتأب بعرج عنه مستكره وقال الحكيم إن كنت جازعا على ما تلفت من يدك فاجزع على ما لم يصل إليك ومن تفكر أن كل ما بنت إلى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول انقضائه قال الشاعر

إن الكرام لا يحزنون أمام صبرهم ... كسالة ضيق طول الطعام على الصبر
ولا شك أن الصبر يحمد غبه ... ولكن أنفاس عليه من العمر

وقال بعض العلماء الصبر على أربع مراتب على الشوق والإشفاق والزهادة والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن راقب الموت أقصر عن الخطيئات وأما القسم الثالث فهو الصبر بما يتطرق ور

العلماء

داخ

من رغبة

اللهم صل على سيدنا محمد

١٠٨

من رغبة يرجوها أو خشية يحذرها أو ندم من رهبة يخافها فالنظر والتلهف بعد فوته عاطبة بما يخاف وينال النجح ما يرجوه وقال النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر من الله عبادة وقال محمد بن بشير

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها قطارب فإذا الخراب يجول بها ورأيت مكتوبا على قصر خراب

يا من ألح عليه الهم والفكر ... وغيرت حاله الأيام والغير
أما سمعت بما قد قيل في مثل ... عند الإياس فأين الله والقدر
ثم الحوادث إذا أحدثتها طرقت ... وإن صبرت فإن الأقوام قد صبروا
فكل ضيق سيأتي بعده سعة ... وكل فوت وشيك بعده الظفر

وتحته مكتوب بخط آخر وكان كل من جرا عقب الهم صبرا ولكنا نجد الصبر في العاجل يعني الهم ويذهب من الغم وما كان أصلح ذي العقل موقعه وهو فعل التشاغل قلت لو رأيته وكتبت تحته إن في الصبر استعمال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله عز وجل وإحراز الحسنات وفي الجزع استعمال الهم وتدارك البلاء والشدة والاستشعار الخيبة وسوء الظن بالله عز وجل وهما إن لم وانتظار العفو وما أحسن بذي العقل اجتناب هذا والتشاغل وقال بعض الحكماء من صبر نال المنى ومن شكر حصد النعماء وقال الشاعر

الصبر مفتاح كل خير ... وكل شر به يهون
فاصبروا إن طالت الليالي ... فربما يسعد الحزون

Copyright © King Saud University

وَزَيَّنَهَا لِلمُصطَبِرِ مَا قِيلَ هَيهَاتَ لَا يَكُونُ

وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله تعالى على احد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها صبرا الا كان ما عوضه افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروي ان جارية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت تنتحب في حوز (؟) نجم بكيلا فخرجت تصيح انها خبا لك كان يحرم منها رجل يقول لها والله اني لا احبك حبا الا كثر من قد لا تشكين الى علي فقال لها علي رضي الله عنه اذا قال لك مرة اخرى مقولي له وانا والله احبك فعاد لها فقال له وانا والله احبك فقال تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فرجعت الجارية واخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الفتى فوجد امره على الصحة فوهبها له مع نفقة يستعين بها وقال علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والمتوكل لا يخيب ظنه والعاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والعجلة ندامة واما القسم الرابع وهو الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف فبالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتستدفع مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال عز من قائل واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال علي رضي الله عنه الصبر مناضل الحدثان والجزع من اعوان الزمان وقال الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور ولما هجم ابو يعقوب الحبس خمسة عشر سنة طاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكوا طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جوابه رقعة وهو يقول

صبرا ابا ايوب

صَبراً أَبَا أَيُّوبَ صَبرَ مُبَرِّحٍ ... فَإِذَا عَجِزتَ عَنِ الخُطُوبِ فَمَن لَهَا
إِنَّ الَّذِي عُقِدَ الَّذِي عُقِدَت بِهِ ... عُقَدُ المَكَارِهِ فِيكَ يَملِكُ حَلَّهَا
صَبراً فَإِنَّ الصَّبرَ يُعقِبُ رَاحَةً ... وَلَعَلَّهَا أَن تَنجَلِي وَلَعَلَّهَا

فاجابه ابو ايوب

صَبَّرتَنِي وَوَعَظتَنِي وَأَنَا لَهَا ... وَسَتَنجَلِي بَل لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا
وَيَحُلُّهَا مَن كَانَ صَاحِبَ عَقدِهَا ... كَرَماً بِهِ إِذ كَانَ يَملِكُ حَلَّهَا

فما لبث بعد ذلك الا ايام حتى خرج مكرما وتمثل بن المعتز اصحاب الهرية

مَا أَحسَنَ الصَّبرَ وَاحتَسِبهُ فَإِنَّنِي ... أَرَى الصَّبرَ يُعقِبُ يُسرَهُ فِيهِ فَلُولُ
عَدَا بِي أَن أَشكُوا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي ... عَلِيلٌ وَمَن أَشكُوا إِلَيهِ عَلِيلُ
وَإِنَّ امرَأً يَشكُوا إِلَى غَيرِ نَافِعٍ ... وَيَشكُوا إِلَيهِ بَعدَهُ لَجَهُولُ

وانشد بعضهم

دَعِ الدَّهرَ يَجرِي بِمِضمَارِهِ ... وَيَقضِي عَجَائِبَهُ أَو خِصَالَهُ
وَنَم نَومَةً عَن وُرُودِ الأُمُورِ ... وَخَلِّ الزَّمَانَ يَنفُذُ أَجَلَهُ
فَإِنَّكَ تَرجِعُ عَن غِبطَةٍ ... وَتَعجَبُ مِن قُبحِ إِشكَالِهِ
وَيَمنَعُنِي الشَّكوَى إِلَى اللَّهِ أَنَّنِي ... عَلِيمٌ بِمَا الفَاعِلُهُ قَبلَ الفَولِ
إِذَا ابتُلِيتَ فَثِق بِاللَّهِ وَارضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكشِفُ البَلوَى هُوَ اللَّهُ
اليَأسُ يَقطَعُ أَحيَاناً بِصَاحِبِهِ ... لَا تَيأَسَنَّ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللَّهُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاستَسلِم لِقُدرَتِهِ ... مَا لِامرِئٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ

وتصبر من هذه الكلمة طب وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر من صبر الله على المكاره فتارة يعجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكوا ولا يجزع والصبار الذي لو وقع عليه جميع البلايا والمحن لم يتغير من جهة الحقيقة ولا يتغير من جهة الوهم والشهوة والخلقة كما قال القائل

Marginalia:

فاجابه ابو ايوب

ساكتب ويمنعني الشكوى الى الناس انني عليل ومن اشكو اليه عليل

داخ

داخ

الله العظمة

Copyright © King Saud University

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح الصبور يا صبر صبرا
وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل
صبرت على ما لو ارضيت الهارسة . الى ان ينادي الصبر لا صبر للصبر
والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام تخلق باخلاقي فان من اخلاقي اني انا الصبور ويقال الصبر لله
غنا والصبر في الله تعنى والصبر بالله بلا والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء
وانشدوا
اذا لعب الرجال بكل شيء . رايت الحب يلعب بالرجال
وكيف الصبر عن من حل مني . بمنزلة اليمين من الشمال
وقال بعضهم فرق بين الصبر والتصبر حالة هي النعيم وذلك اذا رفع الله عنه
من علائق الاخرة تدل على منازل الصبر عنده بتنعم القلب بصبره والنعيم
وقال ابو محمد الجريري الصبر ان لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون
الخاطر فيهما والتصبر هو السكون في البلاء مع وجود اثقال المحنة وانشدوا
صبرت ولم اطلع هواي على صبري . واخفيت ما بي عنك من شدة الضر
مخافة ان يشكو الضمير صبابتي . الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري
وقيل لبعضهم بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان صبره رضى مولاه
اما سمعت قول الحكيم
رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطي . من الامر ما فيه رضى من له الامر
فاصبر كي ترضى واتلف حسرة . وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري
قلت وتكلم بعضهم باعظم من تكلم الجسد هذا ايوب عليه السلام
لما اصيب بجسده قال مسني الضر ويعقوب لما اصيب بحبيبه قال يا اسفى على
يوسف قال احمد بن الحواري قال سليمان الداراني تدري ما ازال العقلاء الا

اللائمة

اللائمة عن مواساة ابيهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك
فصبروا ويروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انزلت بعبدي بلائي
فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك
وقيل في قوله تعالى واصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث قال انس
ما صبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر
وقال الشاعر
ولا يبعث الاحزان مثل التذكر ومما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع
تذكر المصائب المنقضية وفقدان المصائب الا اهتدت كثرة الشكوى وشدة
الاسف وقال الشاعر
لا تكثر الشكوى الى الصديق . وارجع الى الخالق لا المخلوق
لا يخرج الغريق بالغريق . وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر
اعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الا وقال ما يرجوه من فرج
وينبغي لمن نزلت به مصيبة او كان في شدة ان يشغل بعضها على نفسه
ولا يغفل عن تذكرها بتيقنه من وجوب القضاء وتقضي الآجال وان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا
علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له من صح
فيها سقم ومن سقم فيها ندم ومن شبع فيها جاع ومن افتقر فيها حزن
ومن استغنى فيها افتتن حلالها حساب وحرامها عقاب وشبهتها
عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها لمخلوق بقاء فاذا تصور
حقيقتها هانت عليه الحوادث وسهلت المطالب هينة وقال الشاعر
تفرج والذي في نفسه . مطالبه فما ان تنسى لا
فان نزلت بهذا ثم زالت عنه . كما كان في نفسه مثقلا

أنفعلوا

وإذا مرّ بعضي أني أخو بصيرة أخوه أسول
وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فإن دهمته صروف الزمان ... ببعض مصائبه أعولا
ولو قدّم الحزم في نفسه ... لعلّمه الصبر عند البلا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يجزع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يجد متوجعا ومنهم من يشغل نفسه بما ذكرناه من أحوال الدنيا وتقضي أعمارها ثم التأسي في المحن بذوي النوى والحوادث وفيما فقده من الأحباء واستعمال ... والبلاء وهجوم الفرقة والتعزي بالحوادث ... فسلبته الصبر وضاعف عليه الأسى وقال ابن الرومي

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف صار غير مكان
وانشدوا
تعودت مس الضر حتى ألفته ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
ووسّع صدري للأذى كثرة الأذى ... وإن كنت أحيانا يضيق به صدري
وصيّرني يأسي من الناس راجيا ... لسرعة لطف الله من حيث لا أدري
وبعضهم
تعزّ فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا ... لنازلة أو كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمّل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بعض الله منا نفوسنا ... فصحت لنا أعراضنا والناس هزّل

الباب الثالث والثلاثون

في كتمان السر

في كتمان السر ومحافظته

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ولما اقتص يوسف عليه السلام رؤياه بحضرة امرأة يعقوب أخبرت إخوته بها فكان له ما جرى به ما حل وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود واعلم أن كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن اللوازم في حقوق الملوك دون الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والأتباع وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سرك أسيرك فإذا تكلمت به كنت أسيره واعلم أن أمناء الأسرار افشى تعذرا وأقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتم الأسرار لأن إحراز الأموال منيعة بالأبواب والأقفال وإحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق والأسرار أثقل من حمل الأموال وإن الرجل ليستقل بالحمل الثقيل فيحمله يمشي به ويقله ولا يستطيع كتم السر وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الأثقال فإذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنه ألقى عن نفسه حملا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسنة مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن عجيب الأمر أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها والسر كلما كثرت خزائنه كان أضيع له وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطوته وقال أنوشروان من حصن سره فله في تحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك ...

Copyright © King Saud University

به وقع ارفته وكان لعثمان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران وهو مولى له
فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فانطلق حمران وقال
لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن البشرى لك ماذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن
فاخبر عثمان بذلك فقال عثمان اعاهد الله لا يساكنني حمران ابدا ونفاه الى البصرة
فلم يزل بها حتى قتل عثمان واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما
انه لا خير في انية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في انسان لا يمسك سره ويروى
ان رجلا اودع سره عند صديق فقال له افهمت قال بل جهلت قال احفظت
قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال اجحد المخبر واحلف
للمستخبر وقال الشاعر ولو قدرت على كتمان ما اشتملت مني للمستخبر
الضلوع من الاسرار والخبر لكنت اول من ينسى سرائره اذ كنت من نشرها يوما على
خطر ومن احسن شيء سمعته في كتمان السر ما انشد فيه بعض فقهاء البصرة
بالبصرة فقال ولها مراتب الضمير كونتها فنسي الضمير بانها في طيه
ومستودعي سرا كتمت مكانه عن الحس خوفا ان ينم به الحس وخبيته ما اخفى
عليه من هوى النفس شهرة فما ودعته بحيث لا تبلغ النفس يعني انه
اتغفل وقال العتبي اسر معاوية الى عثمان بن عنبسة حديثا قال عثمان
فقلت لابي ان امير المؤمنين اسر الي حديثا افلا احدثك به قال لا انه من كتم حديثه
كان الخيار اليه ومن اظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد
ان كنت مالكا فقلت يا ابت ايدخل هذا بين الرجل وبين ابيه قال لا يا بني ولكن
اكره ان تذلل لسانك باخبار السر فلقيت معاوية رضي الله عنه فقال قال
اعتقك اخوك من رق الخطا وقيل لبعض الحكماء ما اصعب الاشياء على
الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الخطيم

اجود

اجود بمكنون التلاد وانني ... بسر اذا ما استودعته لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه ... ببث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني ... كتوم لاسرار الرجال امين
يكون له عندي اذا ما ضمنته ... مكان بسوداء الفؤاد كمين

فليت الناس يقولون لو اراد بلا اثنين العود [illegible] والتزوج وكانوا يقولون بعدا [illegible]
الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه فيبدو
شيئا ا يصير عدوا يوما وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كان امانة
فقد حرمت فيه الخيانة كالامانات في الاموال وقال ابو بكر بن حازم انما
يتجالس المتجالسان بالامانة فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره
وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا نقص ايمانه
وقال جعفر بن عثمان

وما الذي اودعتني سره ... بمسترع ان تستقي مني
ثم اجره فقط على ماكرة ... كانه لم يجر في اذني

وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه علي فلمته
اذ كان صدري به اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره
حتى يحدث به ثم يقول اكتمه علي ومن امثال العرب اذا اقتنيت سر اخيك
واوصيك الا تبوح به فهلا اوصيت به نفسك وفي منثور الحكم من
افشى سره كثر عليه المتآمرون وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه المتامرون
حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وانشدوا

اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره ... فصدر الذي يستودع فيه اضيق وصدر اخي

ولا تنطق بسرك كل سر ... اذا ما جاوز الاثنين فاشي
تروع بصدرك ضيقا به ... وتبغي لسرك من يكتم
بكتمانك السر يا عاقلا ... وفيما تحاوره احزم
اذا ذاع سرك من مخبر ... فانت اذا تلمه الوم
اذا ما ضاق صدرك من حديث ... فافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي ... وسري عنده فانا الملوم

وقال الحكماء ما اكتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك فانه يكون الابن من بعد عدوا لقربة تقتضيه من صديق يوما هو واستشار في ناصح مسالم وقيل من صفات السر ان يكون في اعقل وصدر من نصح ومودة فان هذه الامور تمنع من الاضاعة وتوجب حفظه اذا ما تقوى تعلقه فيه فهو عندنا اخرى ولا تودع سرك عند من يستنيم عنه فان طالب الوديعة خائن وقال صالح بن عبد القدوس

لا تودع سرا الى طالبه ... منك فالطالب للسر مضيع

وبالجملة اذا زال السر عن عقد به انشاء فلا اذاعة مستور له عليه واراد عنه قلب ناصح محب واحتمال مرارة الكتمان على ما قلبه اسهل عليه من التذلل بتضييع سر غيره واعلم ان افشاء سر غيرك اقبح من افشاء سر نفسك لانه تنوء بالجرح وصنيعا ما الله الخيانة ان كان مؤتمنا والنميمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر فكان يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال

الشاعر

الشريعة وتدبير مصالح الشيء وبغير الطائعين والعتبة هو من كل متمسك بعروة الدين وبسيرته فليتبع بالاشراف والرؤساء المتبع عيني من كل منهم فهو كالنازلة بينهم تعلو من سواهم فمن كمال الرياسة والسياسة ان ينبغي لكل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزته وعلى كل ذي منزلة منزلته فينبغي ان يكون الرؤساء اعوانا ومعاونين له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق خصلة ان يدوم بها سلطانه والعامة والاتباع دون من فوقهم . وساد انهم احسنه بلا رءوس واشباح بلا ارواح وقيل قامت العامة على السلطان فهيبة بسوا السلاح فكان شيخ منهم حذاء جالس على كرسيه يعالج صنعته فقال ما بال الناس فقالوا قامت العامة على السلطان فقال ولهم رأس قالوا لا قال سوف الكبش بالصبي فذهبت مثلا وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم.

الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الواجبة على الرعية للسلطان

قال حكيم العرب من حق الرعية للملك ثلاث وجوه امنا كريم فخر به عن قدره فاو ثبته به لكعنا واسلا لسهم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك لعنة بكم او ما رجل منع هلكه من الانطباع ومن الامتثال احسانه الى الحر بعثه على مكافأته واحسانه الى اللئيم المخسيس بعثه على معاودة المسئلة وقيل لذا سكندر ان فلانا ينقص ويضع من الثناء عليك فقال انا اعلم به ليس بشرير وينبغي ان يعلم ان اتاه من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها رثة فامر له بصلة سنية فبلغه انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال اما تدرون ان الامر اليه بيدي فقال بيهم خير الوشاة وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية

Copyright © King Saud University

ما لا يمكن عليهم بلاء وفتنة ولا كن يتخذهم اهلا واعوانا يكو
نون له جندا واعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

الباب التاسع والثلاثون في
مثل السلطان العادل والجائر

اعلم ارشدك الله ان مثل السلطان العادل والجائر مثل الياقوتة
النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثال الشذور
فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يلمحه المقلبون وينقده النا
قدون الواسطة وانما يثني المثنون على الواسطة ثم يعرجون على
الشذور فلا يذكر الا الواسطة كما قال شعر لقيت بالجمار بين مكة وا
لمنحنى بنت سكينة بنت الحسين فبهرت في عز وجهها ووجه ابنتها واذا
وجه كانه قطعة قمر وقد تعلقت بالياقوت والجوهر وانواع الدرر
والحلي فالتفتت الي وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه
وكما ان جمال السلك انما يبدو بالواسطة الا فضل من الشذور وان كان على
خلاف من ذلك كان سببا للنقص كذلك ينبغي للسلطان ان يكون الا في
في الاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والراي والاصابة والشرف وا
لخصال الحميدة وفيه الكمال من كل فضيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في
التدبير وكما ان كمال العقد بواسطته كذلك الرعية في جمال السلطان
وكذلك جمال الرعية في كمال السلطان وفضله وبراعته وعدله ومثل
السلطان الجائر مثال الشوكة في القدم فصاحبها يجد الم وقلق و
وتبع اعي بها سائر الجسم ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بها
ويعمول من الالات والحيل فمن عجز عن اخراجها الا انها في غير موضعها الطبيعي
ويود ان يقلع بالاسر فاين هذا من الياقوت من سوق القناة وروى ابو ذر

الزناد

للزناد ان خاتم دانيال عليه السلام كان عليه منقوش صورة اسدين
وبينهما صورة دانيال وهما يلحسانه فالتمسهما لئلا ينسى نعمة
الله عليه

الباب الموفي اربعين فيما يجب
على الرعية اذا جار السلطان

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ودار الوعاء الطيب من اسفله
كما ان راس الجرة الطيب من اسفلها واصفى فبين ان الملوك اليوم
ليسوا كمن مضى من الملوك واعلم ان الرعية اذا نظرت في اثار من مضى منهم
فاول من يبغي سلا اميرك اذا نظرت في اثار من مضى من الخلفاء فاذا جار في اثار
السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر وروى البخاري عن عبادة بن الصامت
قال بايعنا النبي صلى الله عليه وسلم فكان فيما اخذ علينا ان بايعناه
على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة
علينا وان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان و
ومنه قال ابن مسعود من كره من اميره شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من
السلطان شبرا مات ميتة جاهلية وفي رواية اخرى من فارق الجماعة
شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم
انكم سترون بعدي اثرة وامورا تنكرونها قالوا فما تامرنا يا رسول الله
قال ادوا اليهم حقهم واسئلوا الله حقكم وروى ابو داود في السنن سننه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سياتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم
ما لا يجب عليكم فاذا سالوكم ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم وليتوبوا لهم
وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب ان يدفع ما يطلبونه من
الظلم ولا تنازعوهم فيه وتكفوا السنتكم عن سبهم فاعمل اللهم لا تجعل سلاحك

Copyright © King Saud University

على من ظلمه الدعاء عليهم ولكن الثقة بالله تعالى بلا محنة فهو محنة
إبراهيم عليه السلام لما جعل في كفة المنجنيق ليقذفوا به في النار رجعهم
قال اللهم إنك تعلم ما في بلد وعداوة قومي لي فانصرني عليهم واكفني
كيدهم وقال مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى إني
أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن كان على طاعتي جعلتهم
عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملو
ك ولكن ادعوا لهم بالرأفة أن يعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعوا
على من ظلمك ويدعوا عليك من ظلمته فإن شئت أجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت
أخرتكم إلى يوم القيامة فيسعكم العفو وقال سليمان بن داود
عليهما السلام لا تجعل ملجأك إلا عند الكفاءات ولكن الثقة با
لله تعالى وروى أبو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعائشة رضي الله عنها
عنها فجعلت تدعوا على من أخذها فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها عن الدعاء للظالم كما
ترى فإذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا ترفقه فقد دعا على نفسه وسا
ء الرعية لأنه من قلة توفيقه ولو كان موفقا ما ظلمه فإن استجيب دعاؤه
فيه زاد ظلمه لمن عنده ومن ألفاظ العامة المروية عن أهل الديانة قولهم لو كانت
لنا دعوة مستجابة ما جعلناها إلا في السلطان وروي عن الفضيل أنه قال
لو كانت في يميني المال لاخترت من حلاله وصنعت للضيف أطيب الطعام ثم
دعوت الصالحين وأهل الفطور وأطعمتهم من أطيبه وأرجو إذا فرغوا قلت
لهم تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسلاطيننا علينا ويجعل الله
أمرنا ولقد قدم معاوية المدينة فخرج ابن عثمان رضي الله عنه فقالت

عائشة

عائشة بنت عثمان يا أبتاه فقال معاوية يا بنت أخي إن الناس أعطونا
طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا
طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فإن نكثنا
بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين
خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين ويروى أن رجلا من العقلاء عتب
غضبه بعض الولاة ضيعة فاشتكى إلى أبيه فاستعدى عليه المنصور
فقال له أصلحك الله أذكر لك حاجتي أم أضرب لك مثلا فقال بل اضرب قبلها
مثلا فقال أصلحك الله إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه فإنما يفزع
إلى أمه إذ لا يعرف غيرها وظنا منه أنه لا ناصر له غيرها فإذا ترعرع
واشتد فأوذي كان فراره إلى أبيه وشكواه له لعلمه بأن أباه أقوى من
أمه فإذا بلغ وصار رجلا وهزته أمور شكى إلى الوالي لعلمه بأنه أقوى
من أبيه فإن زاد عقله واشتدت شدائده شكى إلى السلطان لعلمه
بأنه أقوى من سواه فإن لم ينصفه السلطان شكى أمره إلى الله تعالى لعلمه
بأنه أقوى من السلطان وهذه نزلت بي نازلة وليس أحد أقوى منك
فإن أنصفتني وإلا رفعت أمري إلى الله في الموسم فإني متوجه إلى بيته وحرمه
فقال له بل ننصفك وأمر أن يكتب إلى واليه وبرد إليه ضيعته

الباب الحادي والثلاثون في
كما تكونوا يولى عليكم

ثم إني أسمع الناس يقولون أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم
إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون وكان يقال ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك

وقال عمر لعماله مروا ان ينصحوا يا معشر الرعية تردد و زمنا
بسيرة ابي بكر وعمر ولا تسيروا فينا ولا في انفسكم بسيرتهما فتنقل الله ان
يعينكم على كل وقال الفضيل فانك منزل ابن السراء بين الطهارة بين السماء
والارض وكيف نعرف رضا من سخطها وحي الله تعالى الى بعض انبيائه
بهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت
عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عيسى انه سأل علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما والتوى
عليهما الضيق من شر ما تسعت عليهما وليت انت وعثمان الخلافة فتذمم
فلم يطيعوا فقال ان عليكما الضيق من شر مثلي ولا وعلى ابي بكر وعمر كانوا
مثلي ومثل عثمان وانتم اليوم مثلكم ومثلهما وكتب اخ لمحمد بن يوسف
يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما انتم
فيه وليس ينبغي لمن يعمل المعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه
الا من شؤم الذنوب والسلام

الباب الثالث والاربعون في بيان الخصال التي بها تصلح الرعية

اعلم ايها الملك ان الداعي من خصال السلطان الى صلاح الرعية وافوالها
في تمسكهم بالذي بالهم وحفظهم لعزة انهم اصلاح السلطان نفسه
وتنزيهه عن سفساف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه
عن استصحاب اهل البطالة الذين يجوزون اللهو واللعب واما علان بالفسوق و
وقد كانت محبة الامير لولد الرجل الخليع والبشر الماجن الرفيع لـ
نواميس الشرع وصمة عظيمة عليه او هز بها سلطانه ووضع عنده

العلم

العلم والقاضي فعن واليه والحق السنن المتلو بالتشمير والقناة الفحيم على نفسه
فخلعه ابو لذ الخوف العاص بعض الولاية ووجد كاظم بن الحسين محارثه
يبغيه او حاربه حتى قتله وانفذ راسه الى العاصم وكان يحمل كتبا تقرى
على منابر خراسان ويقف الرجل فيقرا اهل العراق فيقولون اهل مسوق ويعيب
الامير فقد يقول الشعبي ابا نواس رجلا فنا عن ماجنا كافرا واستخلصه
معه لشرب الخمر فهو الذي كتب العقلا ان وقيل لمحارم وهو القايل

أدا ما سقني خمرا وقل هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تحرز عليه نفوس الخلق وتنكرت اليه وجوه الورى فقتلا بلغ الامين
حبسه ثم لكلفة بعد ان اخذ عليه عهدا ان لا يشرب خمرا ولا يقول الشعر فمتى
اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متمادي على تخي الخلافة كان كمن اراد نفاد
الجسد مع فقد الراس او اراد الجسم واستقامته مع عدم حياته وكمن اراد
تقويم الظل مع اعوجاج الشخص وكيف يحيي النون مع فساد الغلة ولقد اصاب
الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك يكون الناس معك وقد قيل قد
نفا من اصلح نفسه ارغم انف عاديه ومن اعمل جده بلغ كنه اماليه وقيل
بعض الحكمة ينبغي للملك ان يعمل في عدوه فقال ان يصلح نفسه ولا بد له
الفتح البستي

اذا الملك الجبار صار مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
الم ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدت وهي برج اللهو واللعب

اللهو واللعب

وصحبة الامرا للشعراء والشركة لاربح الا مرة على النشر حملت نفسا واذا امرت
عن الخبيث حملت صيانا اصلاح رعيته وانت ما تسعدوا وارشاده هو وانت

وانت غار وهو اقتصر وانت ظالم وقد مثل المثل ومن العجائب اغتش كما
كان وتقول العرب بالحبيب كيف تتقلب وكيف يغدر لا عمش على الجهل
والعقم على ان يغني وانه يدل على ان يعز بعدها من تحكم غيرها من العيوب قبل ذلك
تحكم نعلمه كبعض الحبيب من اراد غيره مما به مثلنا وقال بعض الحكماء
انتقد بين لمن يبلغ الى رجل في اصلاح رجل واحد يحسن الجميل القول ولن
احسن الفعل لمن يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل يحسن الفعل دون القول
وفيه يقول ابو الاسود [illegible]

يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنى ومن الضنى فقد كنت انت سقيم
ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا صفة وانت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ان وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند فوت صلاحه اشتغال رعيته بالخلاصة منهم منزلة وفي الاخلاق الراجحة والمروات القائمة ولا سيما الطاعة في معنى ذات النعمة مراتبهم وهو الذي جعله ادبانهم ومرفقهم وتفاسيرهم عن الاذهان لدى المحظورات وملابسة المحرمات وقد قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال موبذ الفارسي خصلتان في السلطان اقرب الى صلاح الرعية من غيرهما ثقة الراي وشدة الرافة والرحمة وما احق السلطان ان يسدد بالرعية كل مسلك يضعف عليه ويسدد ومعه جميع بكون رسم الرؤساء

دايمي

واكبر الفضلاء والامراء. وان اهملهم في ركوب شهواتهم وتوسعة لذاتهم وهيبته ادبانهم وسقطت مروءاتهم ويقولوا كما جاء المثل في الجهل عند الخمر موته تقول العرب في القوم لا دين لهم ولا سراة معهم سواسية كاسنان الحمار ويقولون هم سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواء كاسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

ولا تكونوا امير على الفضلاء والتراد خير من ان تكون امير على الزمارة والغوغاء والرقعاء وقد قال عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من بعد وفي قتل عبد الله بن عمر فانه بي ان بقي خارج سلطاني فقال بعض جلسائه لا استحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال له عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر فعلى من اكون اميرا وقال سليمان بن داود [illegible] الحجاز ليقتل من هناك من بني امية فقال له عبد الله بن الحسين انه اسرعت في قتل الجبابرة في من ناهض سلطانك اعجب بعيب الله عنك وعفا وقال ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية واذهب شرهم تكن زينتهم لا خيلا ومعد عساكرك ولا تكونن رحمة لا شرار منهم فيكونوا عليك لا بعد وكتب السنوسي رضي على ملك النصرانيين قال له ولتكن لقومك وهيبتهم لك فانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فعل من لم تبلغ مراتبها ادخلت صدورها وغلبت قلوبها فاستخفت بملكها وهان عليها امرها ودارت وملكت امورها شرارها وانت اعلم بهم من ان الملك المملكة وقواعدها ان يبلب في فسد بيت نياته ويبقى على كل ذي عزة عزته وينزل كل ذي منزلة منزلته وتحسينه بامر تونس [illegible] الطاعة التي هي نتائج الضغائن ولاحقاد

الباب الثالث والاربعون فيما

Copyright © King Saud University

يملك السلطان من الرعية

كتب أرسطاطاليس إلى الإسكندر املك الرعية بالإحسان تظفر منهم
بالمحبة فإن طلبك منها بالإحسان هو أدوم بقاء منه بالاعتساف واعلم
أنك إنما تملك الأبدان فتخطاها إلى القلوب بالمعروف. واعلم أنه إذا أعدل
السلطان ملك قلوب الرعية وإذا جار لم يملك منهم إلا الرياء والتصنع
وفي سير الفرس قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعوها من شيء
فليعلموا أنه فيها واعلموا أن الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل
فاجهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل ومن هذا الباب ما روي عن معاوية أن رجلا
أغلظ له فحلم عنه فقيل له أتحلم عن مثل هذا فقال إني لا أحول بين الناس
وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا ونحوه أن بعضهم قوله لا
جنفهم لئلا يقولوا يعني إذا عزلت لم يتكلموا بشيء ونحو هذه النسخة أحسن من
تسبيح إذ شئت ولو مع أنه أن جماعة من كان قد وسد تنبا ينهم موقع
نحو معاوية أنا نملك الأجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضى و
نفحص عن الأعمال لا عن السرائر قلت وإنما يتبع هذه السيرة
لمن عجز عن الأول لأن ملك الأجساد قد يكون بالقهر ولا بد هذا من قوله و
وقد وقع البلد أنه كتب بلا من هو عدة قليلة ونقد حل في يوم من أعيان الدولة
عداوة فما وقع من عن أحد أنه أمر أعداؤه وما أحسن ما قال عبد الملك
ابن مروان يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرائح على فراخه ينفي
عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة
والحذاء. وقالت العجم أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته

بقلوبها

بقلوبها ولا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة
كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير وقال عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه إذا لا أجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف
أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا فإن نفرت القلوب
من هذا سكنت إلى هذا وقال معاوية لزياد من أسوس الناس أنا أو أنت
فقال يا أمير المؤمنين ما جعل الله رجلا حمل الناس بسيفه كمن سمع
الناس بعدله وأطاعوه بالبين فقال سليمان مولى زياد لحرز بابه عند
معاوية فما قدر صاحبه بسيفه لا أدري أكثر مما بلسانه و
والحمد لله على ما كنا إن كما هو أهله

الباب الرابع والأربعون
في التحذير من صحبة السلطان

اتفقت عقلاء العرب والعجم وحكماؤهم وأطباؤهم على النهي
عن صحبة السلطان وفي كتاب دمنة وكليلة ثلاثة لا يسلم منهن
إلا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم على
التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا صحبة
السلطان فإنه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار التغرير وفي حكم
الهند أيضا صحبة السلطان على ما فيها على ما فيها من العز والثروة
عظيمة الخطر وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع
الخبيثة العادية والشعاب المهلكة ولا ارتقاء إليه شديد والمقام
فيه أشد وليس يتكافأ خير السلطان بشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال
وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي بها طلب المزيد ولا خير

في الشيء والذي في شبابه منه ما لا يحتاجه وفي كثرة الحاجة والتلف وقد قيل
لبعضهم لم لا تصحب السلطان على ما فيه من الفائدة فقال لأنه إن لم يعطني عنتني
أذلني في غير شيء ويوقعني في الضرر في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون وأخرج
أبو العباس الحجازي وكان ممن دخل أرض الصين وانتهى إلى صين الصين أن جبل
الياقوت بالهند فيه ثعابين عظيمة لم ير في معمور الأرض أعظم منها وأن
أفواهها منها مثل التنور يحيطها فلا يصل أحد إلى ذلك الجبل ولا يقربه فإذا
كثرت الأمطار أخذت السيول منه الحصى وسائر ما فيه من الجواهر إلى فيض
مستنقع الجبال على مسيرة أيام فيبحث الناس في ذلك الحصى فيخرج فيه الواحد
بعد الواحد من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش إياكم
وصحبة السلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويرضى رضى الصبي ويبطش
بطشة الأسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان
وقال الأحنف بن قيس ثلاث لا أقربهن لا يبعثني بعض الخلق حبيبي لا أبدا
أحضر به ولا أدخل في سؤال لم يدخل فيه ولا آتي سلطانا إلا أن يرسل إلي.
وقال ابن المقفع لابنه إن وجدت من أمر السلطان وصحبته غنى فاغن عنه بعمله
بنفسك واعتزله جهدك فإنه من يأخذه السلطان بحقه تحول بينه وبين لذات
الدنيا ولا بد من أن لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة
وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا ميمون
لا تصحبن السلطان وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة
وإن قرأت لها القرآن ولا تصلن من قطع رحمه فإنه لك قاطع ولا تتكلم اليوم بكلام
تعتذر منه غدا وفي منثور الحكمة كثرة الأشغال مذهلة عن وجود اللذات
بكنهها وكم رأينا وبلغنا من صحب السلطان بنصحه فيبعده وبه كما قال

الأول

الأول

عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد
وقالوا من صحب السلطان بنصحه مثل من ذهب ليغترف بالبحر بلا فائدة عنه
عليه ليغمه فخرا بحالته عليه فأهلكه وفي كتب كليلة ودمنة لا
يصغر من ابتلي بصحبة الملوك فإنهم لا يعرفون أهلا ولا قرابة ولا قريبا ولا حميما
ولا يكرمونه إلا أن يطمعوا فيما عنده فيقربونه عند ذلك فإذا قضوا
حاجتهم منه تركوه ولا ود ولا إخاء إلا البلاء مجبوء والذنب لا يغفر ولا يتقى
وقال ابن جعفر لا تصلح صحبة السلطان إلا بالطاعة والانقياد ولا
مواخاة الإخوان إلا بالمودة والمواساة وقال بعض الحكماء العرب إلى
المال والسلطان بمعنيين أن يكل الأمر إلى رجل له عقل كامل وقالت الحكماء
صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركوبه أخوف وقالوا
من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ واطراح الأنفة كالكرم التي
لا يعلق بالكرم الشجر بل يأذن لها هاهنا وكانت العرب تقول الإمام يكون من
قربه أهله فيتكلم بمحاربه ويتملق بعضهم عن بعض منهم مثل الصبيان
في المكتب كلما ذهب واحد جاء آخر والعرب تقول السلطان ذو عدوان
وذو بدوان وذو تدبير سريع الانصراف كثير البدوات في الهجوم على الأمور
وأصله من البداء وهو الذي يقع له

الباب الخامس والأربعون
في صحبة السلطان

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يا بني أرى أمير المؤمنين
يستخلك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

وإني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن
لأحد عنده قال الشعبي فقلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال إي والله
خير من عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو
بالتحرز والعامة بالبشر ولا يحكم لأحد حين يحسن رأي الملك أن يحسن ثوابه وقال
بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش ما أطلعك عليه فإن من
أدل على السلطان استثقله ومن أشفق عليه عاداه ومن أظهر أنه يستغني عنه
عاداه وقال بعض الحكماء إذا زادك السلطان إيناسا فزده إجلالا لا إبانة
إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا وإن زادك فزده يعني الشيء مع عمره
وإن ثبتت بالدخول على السلطان مع الناس فاخرج به إشارة وعليك بالدعاء
وإن نزلت عنده منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملوك ولا تكثر في الدعاء له
عند كل كلمة فإن ذلك يشبه بالوحشة والغربة إلا أن يكلمه على رؤوس الناس
فلا تألوا ما عظمته ووقرته وقال ابن المقفع لتكن حاجتك إلى السلطان
السلطان ثلاث خصال رضى ربك ورضى سلطانك ورضى من يلي عليه ولا عليك
أن تلهو عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفيك ويطيب به عيشك
وقال معمر بن عمرو من خدم السلطان لا يغتر بالسلطان إذا أدناه ولا يتغير
له إذا أقصاه وروي أن بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصاحبك على ثلاث
خلال قال وما هي قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول
قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك قال لا أفشي لك سرا ولا
أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقيل
لعبد الله بن جعفر ما الحزم قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الإمكان
وقال ابن المقفع أولى الناس بالهلكة [illegible] على السلطان بالدالة

خلال

وقال يحيى

١٢٠

وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتأكدة
وقال بزرجمهر إذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك
فإن إحسانه إليك دون إحسان الخالق وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه اصحب الملوك
بالهيبة لهم والوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لتقوم الهيبة فلا تترك
الهيبة وإن كانت تعدم بهم فيوحشهم ذلك ولا تعطهم المدة مجهودك
كله في أول صحبتك فلا تجد موضعا للمزيد ولكن دع للمزيد موضعا
[illegible] السلطان كأنك تتعلم منه وأنت عليه كأنك تستفيد إذا حدثك السلطان
من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فإياك أن تدخل بينه وبين بطانته فإنه
لا تدري متى تتغير عليك فيكونون عونا عليك وإياك أن تتعاطى من زي الملك
في ثيابه وداخل مع الملك في شأنه فعل ومن ذلك قول الفرزدق [illegible]
وبعده قيل

أما بنوك فلم تقبل شفاعتهم ... وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح إياك والدالة فإنها تفسد الحرمة قال سليمان
ابن داود عليهما السلام لا تعتز بالسلطان ولا تفخر عنده وقال بعض الحكماء
شدة الانقباض من السلطان تورث التهمة وسهولة الانبساط تفتح باب الملامة
واعلم أن من طلب العز بلا ذل كانت ثمرة تعبه الذل والهون ومنزلته عند السلطان
بقدر ما يكتسبها به من الجد والعناية وحذار أن يحملك التهاون عن مداراة
وقال [illegible] أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء إلى النار
أسرعها احتراقا ومن لازم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الأنفة
وصل إلى حاجته وقال الأحنف من [illegible] لا تنقبضوا عن السلطان فإن [illegible]

فإنه من اشرع

عليه فإن أشرف أن السلطان زواله ومن تضرع اليه تفضل له وقال ابن عبا
عباس رضي الله عنه ثلاثة من علامات عاقبة عزته ذل السلطان زوال الدولة
والغربة :. واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احد رجلين اما فاجر
مصانع ينال حاجته بفضل له وبجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين
لا يحسده احد فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفا
فقل ما يستقيم له صحبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة
والحسد :. واما الصديق فينافسه في منزلته واما العدو فيبغض
عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان معرضا للهلاك
وقال بعض الحكماء من قارب السلطان في غير اوانه فاز شاركه في ذل اما
خزانة موحشة من السلطان اكرام الاشرار فان دنت للضرورة اليهم كما
يضطر المحتاج للحجام فيبشره فقال ويخرج دمه وبه الاسنان لا احد من لا يعبه
له وكان ابن عمر اذا قام استصحب معه رجلا فيه ما فيه يتقي دفع به شر
السفهاء واهل الدعارة والنذالة :. وقال المعتضد ان صحبة السلطان تسكن
ان فيها الرضى عن من استوجب السخط والسخط عن من استوجب الرضى
ومنه قول الحكيم فما يكون راكب البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان
وقال ابن المقفع لابد لانقد من شر السلطان شيئا ولا اغنا يحمد غلظا
فاريح العزة بسلطة غير باس ولا نحلته وقال هنا بيد احد حكماء العرب لا
اربعة اشياء ينبغي ان تعسر للفقهين كما تعسر للسلطان ولا يتكلم فيها على كل
احد :. تاويل القرآن واحكام النجوم وصنعة الكيمياء والتخوف والراي على
السلطان :. واعلم ان السلطان اذا فتح منه الاخر نسي الاول فارحامهم به
مقطوعة واعمالهم مصرومة الا من رضوا عنه وفتنهم وساعتهم واذا رايت

والنذالة

من كلا

من الملاطفة لا ينبغي للانكار عن رده فانها رياضة صعبة لكن له
احسن مساعدته على احسن وابدا فان استحكمت منه فابحث من الصواب
فان ذلك الصواب هو الذي يضرع الخطاب النطيفة اكثر من تبصره والعذل
من حكمته فان الصواب يدعو بعضه بعضا فاذا انتكل اقتلع الخطا ولا
تطلب ما قبل الوان بالمسابقة ولا تستبطئه وان ابطا ولكن اطلب ما
قبله فانه لا تشغل وربما تستنكر فانه اذا استحققته اتاك من غير طلب واذا
والله الم تستبطئه كان اجمل لك وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تترك
هرون الرشيد فغفل الارض بقبلة من ثم واياك ان تسحك فيكون السحك منه
وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المراة الرعنا فلذلك
البغيضة في زوج لا حظ المتغلب

الباب السادس والعشرون في سيرة السلطان مع الجند

اعلم ان الجند عدة الملوك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة
والذابون على الحرمة والذابون عن العورة وهم حفظ الثغور وهؤلاء الابرار
والعدة للحوادث وهم اذا المسلمين والسهم الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى
به والسلاح الذي يوضع في نحوره فيهم يدفع عن نحورهم ونوض السبل وتسد الثغور
وهم عز الارض وحماة الثغور والذابون عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند
الصبر عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليتبعوا عاقبة الكلاب
وان تكن عليهم فلينصروا به الهرب ويجمعوا الانسان وليذكروا اخبار عدوهم
وينبغي للملك ان يتفقد جنوده كما يتفقد صاحب البستان بستانه ويقلع العشب
الذي لا ينفعه ومن دعه ما لا ينفع مع دالا يضر بالنبات المنافع فهو با

Copyright © King Saud University

لقلع احد ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد خلاتهم وا
والمكافات لهم على قدر غنائهم وبلائهم وحفظ الملك وعدوها وغيبا عن ثغر
دار الجند ونحوها وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع
عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء ونظا اقضى ما امر الى ابي جعفر المنصور
انفذ جيشنا وقال لقواده صبروا بمثل هذا البيت ثم قال صدق الاعرابي اجع
كلبك يتبعك فقال له ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين اخشى ان يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك وروي ان بعض امراء العرب كان ظالما لرعيته
شديدا بالاذى لهم في اموالهم فعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فعصوا ووثبوا
عليه فقتلوه فمر به بعض الحكماء فقال انما اكل الكلب صاحبه اذ لم يشبعه
شبعه وفي نقيض هذا المعنى قالوا سمن كلبك ياكلك وذلك ان رجلا كان له كلب
يسقيه اللبن ويطعمه اللحم يرجوا ان يصيد به خيرا ويصيد به فجاء له
ذات يوم وهو جائع فوثب عليه فقتله واكله فقيل سمن كلبك ياكلك وا
واشتهر له هم سمنوا الكلب لياكل بعضهم ولو اخذوا بالحزم ما سمنوا الكلب
ويروى ان كسرى صنع طعاما فيما صنعه له فلما فرغوا رفعت الالات
ورفعت عينه على رجل من اصحابه قد اخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه و
وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال
مالكم قالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده ورآه الي
من لا يفضحه فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلة جميلة و
وحالة مستحسنة فقال له كسرى هذا من ذاك فقال له نعم ولم يقل له شيئا وقيل
عمر بن معاذ وكان من القواد الاكابر من قدم على جيوش الصوائف وكان يغزوا

في كل سنة

في كل سنة ويقود الجيوش الى بلاد الروم فقال انما نلت الظفر والقوة في
وكثرة الكعك

الباب السابع والاربعون في سيرة
السلطان في استجباء الخراج من كان عدوا وانه زال سلطانه

اعلم ايها الملك ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن
ونتاجه العدل وماء ثمره الملك والمال اقوى العدد وهو ذخيرة الملك وحياة
الارض ومن حقه ان يوخذ من حق ويوضع في حق ويمنع من سرف ولا يوخذ من
الرعية الا ما فضل من معايشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود
عليها نفعها فيا ايها الملك احرص الحرص على عمارة الارض والسلام لاهل
المملكة موجبات الاموال بالرفق وبمجانبة العنف فان العنيف تنال ثمرته
بغير اذى ولا سماع صوته فلا تناله العيوطة بلسعها ويقول صوتها ولما
عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي سرح فحمل من المال اكثر
مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال
عمرو لانكم اعجفتم اولادها وقال زياد احسنوا الى الزارعين فانكم لن
تزالوا سمانا ما سمنوا وفي منثور الحكم من حلب في العلبة حلب الدم وفي
الامثال الا استقصى الجمل حق امه رضته وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود
الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم والجور وا سرع
الامور في خراب البلاد وتعطيل الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع
فهو وان قوي من ناحية ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف
اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق
طاقتها كالذي يطين سطح بيته بتراب القواعد بيته ومن اخذ من جدر العود

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات
Copyright © King Saud University

يوشك أن يضعف فتنقطع الجباية وإذا ضعف الزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين فيتركونها فتخرب الأرض ويهرب الزراع فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الأجناد وإذا ضعف الجند طمع الأعداء في السلطان. ورُوي أن المأمون أرّق ذات ليلة فاستدعى سميرًا له يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أفعل إلا أن تجعلي في صداقها مائة ضيعة خرابًا فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها ولكن إن دام والينا سنة واحدة فعلت لك ذلك. أيها الملك كن بما يبقى في أيدي الرعية أفرح منك بما تأخذ منها فلا يفنى مع الصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وصيانة القليل تؤدي به للجليل وهذا ما لا يخفى ولا عيلة تصلح قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمر الولاة. وسمعت شيوخ الأندلس يقولون ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد فكانوا يستغلونها ويستعملونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته فكانت الأرض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرون والسلاح فوق ما يحتاج إليه إلى أن كان الأمير في آخر أيام ابن أبي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة يقبض الأموال على [illegible] وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واحتجنوا أموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان وضعفت الأجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منهم ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملثمون فردوا الإقطاع كما كان في الزمان القديم ولا أدري ما يكون بعد ذلك والسلام

الباب الثامن والأربعون

الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان في بيت المال

وهذا باب سلك فيه ملوك الطوائف والعجم والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف شريعة الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين وكانت الملوك تدخر الأموال وتحتجنها عن الرعية وتعدها ليوم كريهة على ما بيناه في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الأموال ولا تدخرها وتصنع الرجال وتوسع عليها فكانت الرعايا هم الأجناد والحماة وهذه شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن جوعه أكثر من شبعه وأنه مات ودرعه مرهونة في آصع من شعير عند يهودي. وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله عليه اليمن كانت تجبى له الأموال فيفرقها في يومها وقد وضع في [illegible] وتقدم الإنفاق عليها ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال. وفي رواية أبي داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعًا وبيده خريطة فيها ذهب فقسمها ثم قال ما ظن آل محمد لو لقيه الموت وهذا عنده. ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفاء الراشدين من بعده وإنما كانت الخلفاء تقسم الأموال التي تجبى من حينها بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلة فيجعل في بيت ويكون [illegible] عنها في ذلك اليوم فيجعل في بيت فمن حضر من المسلمين من غائب أو محتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى منه درهم كما روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت فيه المال فقال يا بيضاء [illegible]

بيننا

Copyright © King Saud University

وأبيض وأحمر وغير ذلك. ثم أمر بقسم ما فيه بين المسلمين وأمر ببناء
الكنيسة وحرقها ثم دخل وصلى فيه ثم لم يكن من الملوك أشد ولا أجمع للأموال على مثل ذلك
النبيه من ملوك الإسلام وملوك الروم ومعظم ما أهلك أهل الدنيا بلاد الأندلس وسلط
عليهم الروم أن الروم التي كانت تجاورهم لم تكن لهم بيوت الأموال فكانوا إنما
خذوا الجزية من سلاطين الأندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم
على رجاله بالكاس ويأخذ مثل ما يأخذون ولا يأخذ منه شيئا وإنما كانوا
يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطين الأندلس يجمعون الأموال ويضيعون الرجال
فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فبهذه الخلة قهرونا
وظهروا علينا وكان من مذهب هذا المذهب ولا يعرفون المال تضرب بهم
الأمثال وتقول عجم الملك بيت المال وصونه جنوده فإذا ضعف أحدهما
قوي الآخر فإذا ضعف بيت المال يتخذ له الجمالة فوق الناس وأشد بأس
الجند فقوي الملك وإذا قوي بيت المال وامتلأ بالأموال قال الناس وضعف
الجمالة بضعف الملك ووثب عليه الأعداء وقد شاهدنا ذلك في بعض بلاد
الأندلس مشاهدة وإذا كان الملك يحب الرجال لا الأموال فإنما يدافع
بالأموال عن ملكه الرجال فلا تشد الأرض رجال أحسن من بيت مال وقد
قال بعض الملوك لابنه يا بني لا تجمع المال لتقوى به على الأعداء فإن في جمعها
تقوية الأعداء يعني إذا جمعت الأموال ضيعت الرجال فيطمع فيك العدو
ووثب عليك العدو وإنما مثل الملك في مملكته مثل الرجل له بستان فيه
عين معينة فإن هو قام على البستان وأحسن تدبيرها وتعهد مراصدها وغرس
أشجارها وحصن حيطانها ثم أرسل عليها الماء فأخصب عودها وفتقت
أشجارها وأينعت ثمارها وزكت بركاتها فكان جميع ذلك من الضيعة

لا يخافون

لا يخافون فقرا وإن استغنى وازدهر وغلب في غلتها وجناها وأنفق فيها ما
لا يخافون فقرا يكفيها ولا ساق إليها من الماء ما يرويها رغبة في الغلة و
وضنت بالماء ضعفت عناصرها ورقت أشجارها وفقدت ثمارها وذهبت غلتها
ومحق الله ما جنى من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك
في جمع المال فيتقوى به على عدوه مثل الكاسر بريشه ويقص أصولها ويأكل
ما نعم فلذلك لحبها أو يجد خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم
يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط إلى الأرض فأكلته الهوام والحشرات
ورأيت في الأخبار بعض الملوك أن وزيرا له أشار إليه بجمع الأموال واقتناء
الكنوز وقال إن الرجال وإن تعززوا عندك اليوم فمتى احتجتهم عرضت عد
عليهم الأموال فيتهافتوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال
نعم قال هل يحضر الذباب الساعة قال لا قال بها ورباحضار جفنة فيها عسل
فحضرت فتمت فيه عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان بعض أ
أصحابه فيما قال عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس كل وقت أردتهم
يحضرون فقال هل لنا من الذباب فقال نعم إذا أمسينا سألهم وأبا الظلم الليل
قال الملك هاته الجفنة فحضرت فلم تخط منه ذبابة واحدة وقد روينا عن بعض
بعض السلاطين في أرض مصر وكان قد ملكها وكان السمة فإن يقولون إنه كان
يجمع المال ولا يحتفل بالرجال فقال له أصحابه إن أمير الجيوش بالشام تو غرة
وكان قد قدم عليك فاستعين الرجال وأنفق عليهم الأموال فأومأ إلى صناديق مو
صوغة عنده وقال الرجال في الصناديق فغزا أمير الجيوش ذلك الملك في مصر
وقتله ولم تسلم الصناديق بموت الملك وكان رأيه رأي أهل السداد لأن رجالا يجمعهم
لوقته ويفيهم عند حاجته أنفع من أن يكونوا في خزائنهم مجتمعين والنسبة ملقيين

Copyright © King Saud University

ليس عندهم غنى ولا عندهم دفاع ولا وقاية ولا معارضة للحروب ومن ذلك
أن سنة الهجرة بعد هذا الباب أنه لما افتتحت العراق جيء بالمال إلى عمر رضي الله
عنه فقال صاحب بيت المال أدخله بيت المال فقال عمر لا ورب الكعبة لا يأوي
تحت سقف بيت حتى نقسمه فغطي في المسجد بالأنطاع وحرسه رجال من
المهاجرين والأنصار فلما أصبح نظر إلى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد
يتلألأ فبكى فقال له العباس وعبد الرحمن يا أمير المؤمنين ما هذا اليوم يوم بكاء
ولكنه يوم شكر وسرور فقال إني والله ما ذهبت حيث ذهبتما ولكنه
ما كثر هذا في قوم إلا وقع بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال
اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون ثم قال أين سراقة بن جعشم فأتي به أشعر الذراعين أعيزج فيعطيهما
ما عطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر فقال الله
أكبر ثم قال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة أعرابيا
من بني مدلج ثم قلبهما وقال إن الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل أنا أخبرك
أنت أمين الله تعالى والناس يؤدون إليك ما أديت إلى الله فإذا رتعت رتعوا
قال صدقت وإنما ألبسهما سراقة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرا
قة ونظر إلى ذراعيه كأني بك قد لبست سواري كسرى ولم يجعل له إلا
السوارين ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاءه مال من العمال
فصبه في المسجد ثم أمر مناديا ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم دين أو وعد فليحضر فقال أبو أيوب الأنصاري فقلت يا خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو قد جاءنا مال البحرين
أعطيتك هكذا وهكذا وأشار بكفيه فحفن أبو بكر رضي الله عنه فانصرفت

ثم عاودته

١٢٥

ثم عاودته فقلت إما أن تعطيني وإما أن تبخل عني فقال أما أبخل عليك إذ
اذهب فخذ فذهبت فحثوت حثية فقال عدها فعددتها فوجدت فيها خمس
مائة دينار فقال خذ مثليها فعددت مثليها فانصرفت بألف وخمسمائة د
ينار وأبو أيوب من أغنياء الأنصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
على أن تفرقة المال بالغني والفقير ويدل أيضا على أنه لا يجب أن يساوى فيه جميع
المسلمين بل ذلك موكول إلى اجتهاد الإمام ويدل عليه أن النبي صلى الله اجتهاد
عليه وسلم قال له العباس أعطني من هذا المال فقال اذهب فخذ فبسط
ثوبه وحثا فيه فلما جاء يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله من يحمله علي فقال
لا تستنفره ثم حمله على عاتقه فأتبعه النبي صلى الله عليه وسلم بصره حتى غاب
عنه فصل قال الحسن بن علي الأسدي أخبرني أبي في كتاب فحكى باللغة
الصعيرية مثلا نقلا بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون لعنه الله من
الأموال بمصر نحو الخراج مما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على
العدل والإنصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مشقة وبعد وضع
ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للمغابن وتقوية لعمالهم من العين أربعة
وعشرون ألف ألف وأربع مائة ألف دينار ومن ذلك ما ينصرف في عمارة البلدان
وحفر الخلجان والإنفاق على الجسور وسد الشراع وإصلاح القيسان وتقوية
ما يحتاج إلى التقوية من غير رجوع عليه بها ولا فائدة العوامل والتوسعة في
البذار ويجري ذلك من ثمن الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر نفقات
تصليح الأرض ثمانمائة ألف دينار ومما ينصرف في أرزاق الأولياء والموسو
مين بالصلاح ومن جملتهم من الشاكرين والعميين وأتباعهم وعدة جميعهم
مع الهاكنة مرسومين لذلك ومن نحو تسعة عشر من الخزان وما يجري مجراهم مائة

ألف

ألف واحدى عشر ألفا وثمانية آلاف دينار وبها يتصرف للأرامل والأ
يتام يفرضونه من بيت المال وإن كانوا غير محتاجين حتى لا يخلو أمثالهم
من بر فرعون نصف أربعة ماية ألف دينار وبها يتصرف للكهنة نوابهم وندا
من بيوت صلواتهم ماية ألف دينار وبها يتصرف في الصدقات فقراء صبيان وينا
دي عندهم ذلك ما من رجل كشف وجهه نهارا فلا إذا حضر يحضر ذلك من يحضره فدا
من ذلك أحد ولا أمثاله جلوس فإذا لوا الفساد لم يجزه أحد بعد قبضه ما
يقبضه أحد حتى إذا فرق المال واجتمع من هذه الطايفة عدة أهل أمنائه
فرعون عليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز
والسلامة وانصرفوا بنية حال تلك الطايفة فأمر بتغيير شعثها ما يحبهم والله
والبدو ثم تمد السماطات فيأكلون بين يديه ويشربون ويعم من كل واحد نبيه
حلفته فإن كان فقد من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وإن كان غير مسرة
نظر فيه وتحية غير مستقيم ضمه إلى من ينشره ... ويلحقه بالأدب والتعليم
فيه التي تصلح له ماية ألف دينار وبها يتصرف في نفقات فرعون المراتبة في
السنة ماية ألف دينار وتكون النفقات على ما تقوم تسعة الآلاف ألف وثمانية
ماية ألف ويحصل بعد ذلك مغلا يلبسه يوسف عليه السلام ويجعل لفرعون
في بيت المال نواب الزمان أربعة عشر آلاف ألف دينار وستة ماية ألف دينار
وقال ابن رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى أن الماء يجري تحت منازلها
وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا وذلك قوله فرعون
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وكان ملك مصر عظيما لم يكن على وجه
الأرض يومئذ أعظم منه وكان الجنان بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شيء
عن شيء وكانت أرض مصر كلها من سنة عشر ... الماء ... والجسور وا...

وخليجا نهها

١٢٦

عقد لها

وخليجا نهاها كلها والزروع كذلك من أسوان إلى رشيد والزروع بين الجبلين
الجبلين من أولها إلى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف
منبر وقال عبد الله بن عمرو استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس
فأخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجري الخليج تحت قراهم
ويعطوه مالا فكان يذهب من قرية إلى قرية من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى القبلة
ويسوقه كيف شاء فليس بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له بذلك أموال
عظيمة فحملها إلى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون إنه ينبغي للسيد
أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم
رد على أهل القرى ما أخذت منهم فرد عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف
الله ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب أن يكون من يقول لا إله
إلا الله ويؤمن بيوم الحساب والثواب والعقاب. وقال ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى اجعلني على خزائن الأرض أي أرض مصر إني حفيظ عليم
قال هي خزائن مصر كانت أربعين فرسخا في مثلها قال ولم يطع يوسف عليه السلام
فرعون وخليفته ويتوب عنه إلا بعد أن دعاه إلى الإسلام فأسلم فحينئذ قال له
اجعلني على خزائن الأرض فلما استوسق أمر يوسف عليه السلام وكمل
أمره وصارت الأشياء إليه وأراد ربه أن يعوضه على صبره لما ابتلي بمحارمه
وخلت سنون الغلاء والجوع مات العزيز وذهبت الذخائر وافتقرت زليخا وعميت
من بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك على ما كان
منك إليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية يوم خروجه وكان
يركب في زهاء ماية ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت

Copyright © King Saud University

ونادت فسبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم
فقال لها يوسف من انت فقالت انا التي كنت اخدم على صدر ورفد مني واجلني
فقلت فيه ولكن من سوء حظي وكان منا ما كان وقت وبال الامر فيهم من هو في
ومنهم من يرحمني فيعرف ما كنت فيه كنت اهل مصر كلهم حين اليوم من خدمتهم
بل فخذ ومنهم وهذا جزاء المفسد من فبكا يوسف عليه السلام وقال لها او هل
بقي في قلبك من حبك اياي شيء فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة منك احب
لحب التي من الارض دنيا هنا وما فيها فمضى يوسف عليه السلام وارسل اليها وكانت
ايما تزوجنا داوود ان بعد لا غنيا لي فقالت الملك اعرف بالله ان يشتهر لكن هو
لم يرد في ايام شبيبتي وجمالي فكيف يقبلني وانا عجوز عمياء فقيرة فامر بها فتجهزت
فتزوجها وادخلت عليه فصلى يوسف عليه السلام ركعتين وجعل يصلي ودعا
الله باسمه الاعظم فرد الله عليها شبابها وجمالها وبصرها كهيئتها
يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له ابراهيم بن يوسف ومنشا ابن
يوسف وكان في الاسلام عيشتها حتى فرق الموت بينهما فعجب للقوي
ان لا ينسى الضعيف وللغني ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب
يصير راغبا ومسئول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما وهذا يوسف عليه السلام
نظر الى نفسه في بئر اخوته يوم الجب ثم صعد بين يديه يوم الصاع وهذا ربيحا
ملكة مصر وسيرة اهلها عادت تكيف الناس في التصرفات قال الله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وكان يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع وياكل خبز الشعير ولا يشبع فيقال له اتجوع وفي يديك خزائن الارض فيقول
اخاف ان اشبع وانسى الجائع وقد رايت ان الجوع يمنعه في منفعته في مثله هنا ثنا
بعض العقلاء ويرغب فيه الملوك والوزراء وذلك في كتب بالعراق وكان الوزير

نظام

نظام الملك الغالب على لقبه ابو علي الحسن بن علي رحمه الله وكان قد وزر للملك الب
ارسلان ابي الفتح بن الب ارسلان كان قد وزر لابيه من قبله فقام بحق دولتها احسن
قيام وشد اركانها وثبت بنيانها واسس قواعدها ووالى الاولياء واستعمل
الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبغيض والحبيب والقريب والبعيد حتى
حتى القى الملك بجرانه ودخل الخلق في سلطانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله
تعالى انه اقبل بكليته على مراعاة حملة الدين ونشر العلم للفضل وانشا المدارس
لاربابها للعلماء وانشا الربطات للعباد والزهاد واهل الصلاح والفقراء
ثم اجرى لهم الجرايات والكسوات والنفقات مشاهرة واجرى للعلماء والرزق لمن
كان من اهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سائر اقطار مملكته
فلم يكن من اول الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى الى ارض والعراق
فيين وخراسان وما فيها الى سمرقند من وراء نهر جيحون ما بين هذا المدينة يوم حا
حامل علم وطالب او متعبد او زاهد في زاوية الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه
عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله في هذه الابواب ستمائة الف دينار في كل سنة
فوشي به الوشاة الى ابي الفتح الملك واعدوا صدره عليه وقالوا ان هذا المال الذي يخرج
من بيوت الاموال تقيم به جيشا تركز رايته في سور قسطنطينية فاستدعاه — تركز
ابو الفتح فلما دخل عليه قال له يا ابت بلغني انك تخرج من بيوت الاموال في كل سنة
ستمائة الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا شيئا فبكى نظام الملك وقال يا بني انا
شيخ اعجمي لو نودي علي لم تبلغ خمسة دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك
عسى لم تبلغ ثلاثين دينارا وانت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد
الى الله تعالى معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتربوا
كان نصيبهم عندك بسيوف طولها ذراعان وقوس لا ينتهي مرماه ثلاثمائة ذراع — ذرعان

وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزامير والطنابير وانه
اقتنى لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك بالنهار قامت جيوش الليل
على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم بالدعاء
لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تلبثون وبهم تنصرون
تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السبع الطباق بالدعاء والتضرع فبكى
ابو الفتح بكاء شديدا ثم قال بخ بخ هنا فاقرب ابنه سلك ان اكثر من هذا الجيش
ومن مناقب هذا الرجل وما ظهر ان رجلا قصده فقال له ابو سعيد الصوفي فقال فصل
له يا خواجا ان ابغي لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون في المعمور الارض مثلها
يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة فقال افعل فكتب الى وكلائه ببغداد ان يمكنوه
من الاموال ما شاء فبنيت على شاطئ دجلة وغصت المدرسة النظامية وبنى هالات
احسن بناء وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها اسواقا تكون محبسة على
المدرسة وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقف عليها وكملت لنظام الملك
بذلك رياسة وسوددا وذكر جميل يصنف الارض خبره وعم المشارق والمغارب
اثره وكان ذلك في سنة خمسين واربع مائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى
نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين الف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من اهل الكتاب
والحساب ان جميع ما انفق عليها نحو عشرة الاف دينار وان سائر الاموال احمى
احتجنها لنفسه وخانه فيها فدعاه نظام الملك الى اصبهان للحساب فقال احضر
ابو سعيد لما ارسل الى الخليفة ابن العباس يقول هل لك ان الحق الارض بذكرك
وانشئ لك اجرا لا يحول الا بامام قال وما هو قال ان تمحو اسم نظام الملك من على
المدرسة وتكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفة انفذ
من يقبض المال فعلا ستون الف عند مضي الى اصبهان فقال نظام الملك انظر بعث

البنا

البنا فخوا من ستين الف نفقة واحب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد لا
تطل الحساب ان ضيقت وانا احوج ما اسمها النظامية بعينها وكتبت عليها اسم
غيرك وارسل من يقبض المال فلما احتس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد
فوضنا جميع ذلك كله ولا نحب استماعه ثم ان ابا سعيد بنى للصوفية مدرسة
الاموال والرباطات واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور واوقف جميع
ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباطات ابي سعيد الصوفي
وانفقوا واشترى الضياع عنها والخانات واوقف جميع ذلك فيقلبون ببغداد
في مثل هذا المناقب فلينظر من المنتفعون ومثل هذا الفعل العاملون
فان فيه عز الاخرة وشرفها وعز الدنيا وحسن الصيت وخلود جميل الذكر
فان الدنيا فانية يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا قال الشاعر
ولا شيء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث
فاغتنم فرصة العمر واقتنا عزة الدنيا وبعوها فقدموا لانفسكم كما قدم اوائلكم
بالصالحات كما ذكروا وذخروا لعقبهم القيامة كما ادخروا واعلم ان العطا
كل سعة وان الموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر اي الثلاثة شئت
والسلام وكان ابن ابي داود الوزير واسع النفس مشهورا بالبذل في
يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سوالا ولا يتهم بالنوال فقال له
الواثق امير المومنين يوما قد بلغني يمسك يديك بالعطاء وهذا يتلف
بيوت المال فاطرق ساعة ثم قال يا امير المومنين خزاين اجورها واطلقها
لكن ومفاتيح حسناتها موصولة لديك وانما تعتني في اتصال الثناء اليك
فقال له الواثق انت جديد بالعطاء واكثر الشكر والثناء لمن يغبط والسلام.

الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان

Copyright © King Saud University

في ما تعلق من بيت المال وسيرة العمال

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل
خبز الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض وبيدك خزائن الارض فقال
اخاف ان اشبع وانسى الجائع الفقير وروى الشعبي بسنده قال لما استخلف
ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب اين
قال الى السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني
عن عيالي قال نفرض بالمعروف تنفق ما تنفق في سنتين وفي بعض الروايات ثمانية
الاف درهم واوصى ان ترد من ماله في بيت المال وروى هذه القصة الحسن
البصري قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله تعالى
فوجدوه قد انفق في سنتين ونصف ثمانية الاف درهم فقال اقضوها عني
فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولا
بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل بكم عدوكم فان شئتم اجتمعتم
وائتمرتم وان شئتم اجتهدت لكم فوالله الذي لا اله الا هو ما الوكم ونفسي
الخير فبكوا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا فقال قد اخترت لكم عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وروى ما في هذه القصة عن غير هذا الوجه قال
بلغني ان ابا بكر الصديق لم ينفق من هذا المال شيئا وغدا يوما من بني عمرو
ابن عوف وكانت له هناك امرأة من الانصار في جمال له يريد بيعها فلقيه
بعض المسلمين فقالوا له ما تصنع هذا يشغلك عن الناس وعن النظر في
امورهم قال فكيف اصنع قال تتفرغ في امورهم وتنفق من بيت المال
فباع تلك الابل وغيرها من ماله ايام امارته واحتسبه في بيت المال وكان ينفق من بيت
المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليها عمر بن عبد

العزيز

العزيز فلم يستنفق منه شيئا فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمته قال
اجل ولا كنت اخذ من هذا المال وان يكن في يده حق فقد استوفيته وزدت
ولولا ذلك لفعلت قال ابن غانم فقلت لمالك ايبلغ فوقهم من عمر انه رد ثمانين
الفا قال لكنه بلغني انه يقول نزل خلاعة آل الله عمر لم يجد لولده ما يسلف الى موتي
ابل حين اخذ منه نصفه فكيف باخذ من مال الله ثمانين الفا ولما توفي
ابو بكر رضي الله عنه استرجع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وجاءه
مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا ابا بكر كنت والله اول القوم اسلاما
واكثرهم ايمانا واكملهم واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى دا
واحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا
وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم عليه واوثقهم عنده فجزاك الله عن
الاسلام خيرا صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس
وسماك الله صديقا فقال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون واسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته
في الشدة حين تفرقوا اكرم الصحابة ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول
لصاحبه ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخليفته في امته با
حسن الخلافة وقويت حين ضعف اصحابه وبرزت حين استكانوا ونهضت با
لامر حين فشلوا ومضيت بنور الله اذ وقفوا اكنت اطولهم صمتا وابلغهم
قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك
عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض فجزاك الله عن الاسلام وعن اهله
وقال عمر رضي الله عنه رحم الله ابا بكر لقد اتعب من خلفه تعبا شديدا

وروى الشعبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال إني أنزلت نفسي من
مال الله تعالى بمنزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت
أكلت بالمعروف وفي رواية أخرى أخبركم بما أستحل من مال الله وما يحل لي ثم
قال أستحل منه حلتين حلة الشتاء وحلة القيظ وما أحج عليه وأعتمر وقوتي
وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ثم أنا بعد رجل
من المسلمين يصيبني ما أصابهم وقال مالك بن أنس رضي الله عنه فأكل عمر
الشعير وكان فيه ذكر لا يأكله فاشتكى بطنه فضربه وقال هذا والله ما
نرى حتى يوسع الله على المسلمين وقال أبو عثمان النهدي رأيت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة
إحداهن من أدم أحمر وقال عطاء بن السائب استعمل عمر رضي الله عنه السائب بن الأ
قرع على المدائن فدخل بابا من أبواب كسرى فإذا صنم يشير إلى الأرض بأصبعه
قد عقد أربعين فقال إن تحت هذا شيئا فاحتفروا فاستخرجوا سفطا فيه جوهر فكتب
إلى عمر بن الخطاب إنا بعون الله دخلنا بابا من أبواب كسرى فرأيت كذا وكذا
فاحتفرت فأخرجت سفطا فيه جوهر فلم أجد أحدا أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن
من فيء المسلمين فأقسمه بينهم إنما أصبته تحت الأرض فلما قدم السفط
على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كأن نارا
أججت وهو يراد أن يلقى فيها فكتب إلى السائب أن أقدم علي فقدم عليه
وهو يطوف في إبل الصدقة فطفت معه إلى نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعا لي بماء فاغتسلت ثم ذهب إلى منزله فأتي بلحم غليظ وخبز
متمعثر ثم قال انظروا من على الباب فإذا الأسود بن الصوفية فأذن لهم
فجعل يأكل معهم وإذا لحم غليظ لا أستطيع أسيغه وقد كنت تعودت درمك

أصبهان

سبحانه

أُججت

أصبهان أو أضعفه في دخل بطني بلا مؤونة ولا مشقة ثم دعا با
لسفط فقال أتعرف هذا قلت نعم قال كتبت التي تزعم أنه أحق به منا
أين أصبته فأخبرته فقال اذهب فاجعله في بيت المال المسلمين حتى أقسمه
بينهم وقال قتادة قدم عمر بن الخطاب الشام فصنع له طعام لم ير
قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا لا يشبعون من خبز الشعير
فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان
حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وقال
عبد الله بن عمر العمري إن عمر بن الخطاب حين قدم الشام قال لأبي عبيدة
اذهب بنا إلى منزلك قال وما تريد إلا أن تعصر عينيك علي قال فدخل منزله فلم
ير شيئا فقال عمر أين متاعك قال لا أرى إلا لبدا وشنا وصحفة وأنت أمير
أعندك طعام فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال
أبو عبيدة قد قلت لك إنك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما
يبلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة وقال النخعي
بعث عمر بن الخطاب مصدقا فبينما يطوف عليه وما إلينا من حاجة فشدوه فجاءوا
بالصدقات فقام فيها منذ رأى بعيدا ثم يختلف بها أولها وآخرها وجاء ودخل
بيته حتى إذا أمكن أكله أكله ثم قال من أحب خلقه بطنه النار فبعده الله
وقال طاوس أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب فما أكل سمنا ولا سمينا
حتى أكل الناس وقال سعيد بن جبير إن عليا قدم الكوفة وهو خليفة
وعليه إزار قطري قد رفع إزاره بخرقة فبينما قطرية جاء أعرابي فنظر
إلى تلك الخرقة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام واركب واليس فإنك
ميت أو مقتول فقال إن هذا خير لي في صلاتي وأصلح لقلبي وأشبه بسنة الصالحين

فبلي واحد وان يفتقد تريع من اتى بعدي وقال العتبي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بينما هو يعس ذات ليلة اذ اتى على امرأة من الانصار تحمل قربة
فسألها فذكرت انها عيال وليس لها خادم وانها تخرج بالليل فتستقي
الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر رضي الله عنه القربة حتى بلغ منزلها
وقال اغدي غدوة على عمر يخدمك خادما قالت لا اصل اليه قال انك ستجديه ان
شاء الله فغدت عليه فاذا هي به فعرفت انه الذي حمل القربة فذهبت
تولي فارسل في اثرها وامر لها بخادم وبنفقة ونعاج عمر قال لمولاه كم
بلغت نفقتنا قال ثمانية عشر دينارا يا امير المؤمنين قال وعجا اجحفنا ببيت مال
المسلمين وقال الشعبي من حديث لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل
حمص فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عا
مر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فتعجب عمر فقال كيف يكون اميركم فقيرا
فقالوا انه لا يمسك شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها فجاءته
فجعل يسترجع فقالت امرأته ما لك اصابك يا امير المؤمنين شيء فقال اعظم من
ذلك دخلت علي الدنيا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين عاما فوالله ما يسرني
اني حبست عن الرعيل الاول وان لي ما طلعت عليه الشمس قال فما صنع
بها ما شئت قال هل عندك معونة قال نعم فاتته بخمار فصنع الدنانير
فيها صررا ثم جعلها في مخلاة فبكت فبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعترض
جيشا من جيوش المسلمين فامضاها كلها فقالت له امرأته رحمك الله لو حبست
منها شيئا تستعين بها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو
اطلعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ريح المسك واني

والله

والله ما اختارك عليهن فسكتت وروي ان عمر استعمل على حمص رجلا
يقال له عمير بن سعيد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم فلم يشعر به عمر
الا وقد قدم ماشيا حافيا عكازة بيده واداوته ومزودته وقصعته على ظهره فلما
نظر اليه عمر قال يا عمير اجبتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما
نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال فقد جئتك
بالدنيا اجرها بقرابها قال وما معك من الدنيا فقال عكازة اتوكأ عليها وا
دفع بها عدوا ان لقيته ومزود احمل فيه طعامي واداوتي احمل فيها الماء لشربي
وصلاتي وقصعتي هذه اتوضأ بها واغسل فيها رأسي واكل فيها طعامي
فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا الا تبع لما معي قال فقام عمر من مجلسه
الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وقال اللهم الحقني بصاحبي
غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمير فقال
اخذت الصدقة من اهل الصدقة والا بل من الابل والجزية من اهل الذمة عن يد وهم
صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابن السبيل فوالله يا امير المؤمنين لو
بقي شيء منها عندي لاتيتك به فقال له عمر عد الى عملك فقال عمير انشدك
الله ان تردني الى عملي ولم اسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله ولقد خشيت
ان يخصمني محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم
فمن حاججته حججته ولكن ائذن لي الى اهلي فاذن له فبعث عمر رجلا يقال له
حبيب بمائة دينار وقال له ائت عميرا فانزل عليه ثلاثا فلم يره فان كان
خافيا لم يعن في عيشه وحال الفقر فيه وان لم يكن كذلك فادفع عليه خافيا
فادفع له المائة دينار واتاه حبيب فنزل له ثلاثا فقال يا حبيب ان رأيت ان تتحول
الى جيراننا فلعلهم يكونون اوسع عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا شيء

Copyright © King Saud University

غير هذا اشترناه بدرهم فجمع اليه المائتي دينار وقال ابعث بها اليه يا امير المومنين مع
من يعرف خلق امراته فبصرها الخمسة والستة والسبعة فقسمها حبيب علي
عمر فقال يا امير المومنين جئتنا من عند ازهد الناس وما عنده الا قليل ولا كثير فبعث
اليه عمر فقال ما صنعت في المائتين يا عمير قال لا تسالني عنها يا امير المومنين
فلا تخبرني قال فقسمتها بين المهاجرين والانصار من اخواني قال فامر له بوسقين
من طعام وثوبين فقال يا امير المومنين اما الثوبان فاقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي
بهما عند اهلي صاع من بر فهو كافيهم حتى ارجع اليهم **وروي** ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صر اربع مائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح
ثم تمكث ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام وقال يقول لك امير المومنين
اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال يا جارية اذهبي
بهذه السبعة الى فلان وهذه الخمسة الى فلان فرجع الغلام الى عمر واخبره فرجع
قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتمكث في البيت
حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان امير المومنين يقول لك اجعل
هذه في بعض حاجاتك فقال رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت
فلان بكذا والى بيت فلان فقالت امراة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم
يبق في الخرقة الا ديناران فدحا بهما اليها فرجع الغلام فاخبر به عمر فقال
انهم اخوة بعضهم من بعض والله يوفق من يشاء لما عنده

الباب الموفي خمسين في تدوين الدواوين
وفرض الارزاق وسيرة العمال

اعلموا ارشدكم الله ان اول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطية على ما روي عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل اهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى جرى على

العامة

العامة شيئا واحدا ثلاث مائة درهم واربع مائة درهم وفرض للعيال مائة
درهم في كل سنة وكان ابو بكر يسوي بين الناس في العطايا ولا يفضل اهل السابقة
ويقول انما عملوا لله واجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر ياكله
البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم **وكان عمر** يقول لا اجعل من قاتل رسول
الله كمن قاتل معه ولم يفضل عمر ابا رافع ولا ابنه عطاء فاجرى على عمار ستة
مائة درهم مع عطائه لولايته الكوفة واهل مودته وكان يلي معه في كل شيء
لقرابته وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه
في كل يوم نصف شاة براسها وجلدها واكراعها ونصف جريب كل يوم على
عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة الاف
درهم وخمسة دراهم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة الاف درهم واجرى على عبد
الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة وعشرة اجربة وانما فضل عمارا
عليهم لانه كان على الصلاة قال مالك وكان عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم
فرض له ومر ليلا وصبي يبكي الرضاع وامه لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه
انه لا يفرض له عمر الا ان يفطم فقال بلى يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للمولود مائة
درهم في السنة **قال** ابن حبيب وفرض عمر للعيالات لكل عيل من ذكر وانثى
جريبين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطين من خل ومائة درهم في كل
سنة قال والجريب قفيز من القرطبي والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطبي
قال الحسن وكان عطاء سلمان خمسة الاف وكان على زهاء ثلاثين الفا من
الناس وكان يخطب الناس في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها فاذا اخرج
عطاءه امضاه وكان يعمل الخوص وياكل من سفيف يده **وقال** الحسن قدم
على عمر بن الخطاب وفد من اهل البصرة مع ابي موسى الاشعري قال فكنا

Copyright © King Saud University

ندخل اليه وقد كان يلقي لنا خبزا مرة يابسا وقعنا ها مادومة بسمن واحيانا بزيت
واحيانا باللبن ومرة واقعنا القديد اليابس قد دق ثم اغلي عليه ماء وربما وله
واقعنا اللحم الغريض وهو قليل فقال لنا يوما اني والله لقد ارى تقديركم وكراهيتكم
لطعامي واني لو شئت لكنت اطيبكم طعاما وارفهكم عيشا اما والله
ما اجهل عن قلائد وصنابا وصلايق وصلا قال ابو الصلا الشواء والصناب الخردل
والصلايق الخبز الرقاق ولكني سمعت الله عير اقواما بامر فعلوه
فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا ابو موسى
الاشعري فقال لو كلمتم امير المومنين يفرض لكم من بيت المال طعاما تا
كلونه فكلمناه فقال يا معشر الامراء هل ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي
فقلنا يا امير المومنين ان المدينة ارض العيش بها شديد ولا نرى طعاما
يغشى ولا يوكل طعامه وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغشى وان طعا
مه يوكل فنكس ساعة ثم رفع راسه وقال قد فرضت لكم من بيت المال
شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احد الجريبين
وكل انت واصحابك الا واسعوا الناس ثم ادع بشراب ثم اسق الذي عن يمينك
ثم اسق الذي عن شماله ثم قم لحاجتك فاذا كان العشاء فضع الشاة الثانية
على الجريب الاخر وكل انت واصحابك الا واسعوا الناس في بيوتهم واطعموا
عيالهم والله ما ارى رستاقا يوخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرع في خرابه
وكان عمر قد اطعم جريبا دقيقا والزيت الثلاثين رجلا فكفاهم فاجرى على
كل رجل كل شهر ممن كان في الديوان عوض ما كانت فرض يجري به على عيا
لهم واماء ربهم وقال سعيد بن المسيب وابو سلمة كان عمر بن الخطاب اذا
اشتد العيال يسلم على ابواب بيوتهم ويقول الكن حاجة وانكن تريدون ان تشترين شيئا

يغرسن

يغرسن معه نحو المهاجرين ومن ليس عنده ما يشتري اشتراه من عند له ولاخا
فيهم اتسعون من الثغور وبعضهم مع مثل رئيسهم ويقول ان ازواجكن في سبيل الله
وانتن في بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان عندكن من يقرا والا
فاقربن من الابواب حتى اقرا لكن ثم يقول ان رسولكن يخرج يوم كذا فتبن
حتى ابعث لكنكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة ويقول هذه
دوات وقرطاس فادنون من الابواب حتى اكتب لكن ويبعث بها الى ازواجهن
وقال الربيع بن زياد كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين
فكتب اليه عمر بن الخطاب يامره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا
جميعا فلما قدمت اتيت يرفا فقلت مسترشد وابن السبيل اي
الهيئات احب الى امير المومنين ان يرى فيه عماله فاوما الي بالخشونة فاتخذت
خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على راسي على غير استواء
فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه وصوب فلم تاخذ عينه غيري فدعاني
فقال من انت فقلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا قلت له
البحرين قال فكم ترتزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها قلت اتقوت
ببعضها واعود ببعضها على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين
قال فلا باس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فيه
وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون
قال الان حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهدهم بلين العيش
وقد تجوعت له فاتي بخبز شعير واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك و
جعلت اكل واجيد واذا انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت
انه ساخت بي الارض ولم اقلها فقلت يا امير المومنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك

ولو علمت انه يصلحني الا اللين من هذا لاجزته ثم قال كيف قلت قلت يا امير المؤمنين
لو امرت ان يقوت لك من الكعك ارغفة قبل الرواح اتاك ابان يبرم ويصنع لك اللحم كذ
كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن عنه فقال ها هنا غرت قلت
نعم قال يا ربيع انا لو شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك يعني خبز
الجوارى ولكني رايت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال عز من قائل
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم امر ابا موسى ان يقر الربيع وان يستبدل
باصحابه وقال قبيصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبد الله بن سعيد
وكان على اهل حمص فقال علام يحبك اهل الشام قال اني احبهم فيحبونني
قال ما لك الى اليوم قلت عبدي ورمحي وبغلي وحادي قال فماذا تلبس في
الشتاء قلت عصابة اشد بها رأسي وجبة وكساء قال فما تلبس في الصيف
قلت قميصا وجبة فاعطاه عمر الف دينار فقال خذها واستعن بها واد
واستوسع بها واعط منها قلت لا ارب لي فيها وستجد من هو احوج اليها مني
قال خذها فان النبي صلى الله عليه وسلم دفع الي مالا وهو دون الذي اعطيتك
فقلت له كما قلت لي فقال لي يا عمر ما اتاك من هذا المال عطاء من غير ان
تتعرض له او تستشرف له نفسك فاقبله فاخذه فانطلق به الى امرأته فقال اتري
رحمك الله هذا من فيء المسلمين اهو من مال غنيمة فقالت بل من مال غنيمة فيه
فقسمها حتى لم يبق منها صرة فيها ثلاثون او نحوها فقالت له امرأته اذا
البصر في حقها عطاك اياها وقال رجاء بن حيوة بينما نحن بعسكر له
اذ بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز فارشدناها اليه فرأت دارا
مبنية فقالت لجماعة هناك اين هذا الدار على باب امرأة عمر بن عبد العزيز فقال
ادخلي وصوتي بها فانها تاخذك فدخلت فلما ابصرت ما هنا لك الا كنيسة

أرض

أرض فيها من بيت العفو واذا امرأة تعمل في الطين فلما التفت الى امير المؤمنين
فقالت هو ذا لا يعمل في الطين فقلت يا امير المؤمنين ان زوجي ترك لي ثمان
بنات فبكى عمر وقال لها ما تريدين فقالت تعرض لهن قال فعرض لهن فقال ما
اسم الكبرى قلت فلانة فكتبها فقال الحمد لله فقال ما اسم الثانية قلت
فلانة فكتبها فقلت الحمد لله حتى كتب الثمانية فقلت جزاك الله خيرا يا
امير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو اوليت الحمد اهله لا تعلمين
هن مع السبعة فيحبوا حتى هذه الثمانية

الباب الحادي والخمسون
في أحكام أهل الذمة

روي عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى اهل
الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واهل ملتنا
انا لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب
ولا نجدد ما خرب منها وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وشرطنا لكم
على انفسنا ان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوي في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا
نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول
في الاسلام ان ارادوا وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا
فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله
معنا ولا نركب السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور

Copyright © King Saud University

وان نجز مقاديم رووسنا وان نلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا
وان لا نظهر صليبا لنا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب
نواقيسنا في كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء
من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا على موتانا ولا
نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نبيع
ونتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم فلما
اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد ولا نضرب احدا من المسلمين
شرطنا ذلك على انفسنا وعلى اهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في
شيء مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم ما يحل من
اهل المعاندة والشقاق وكتب اليه عمر ان امض ما سالوه والحق فيه
حرفين اشترطهما عليهم مع ما اشترطوه على انفسهم الا يشتروا شيئا من
سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروى نافع
عن اسلم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى اهل الشام في النصارى ان تقطع
ركبانهم وان يركبوا على الاكف في شق وان يلبسوا زي المسلمين ليعرفوا
وروى ان بني تغلب قدموا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المومنين انا قوم
من العرب افرض لنا فقال نصارى قالوا نصارى قال ادع لي حجاما ففعلوا فجزوا
نواصيهم وشق من اردية لهم خرقا يحتزمون بها وامرهم ان لا يركبوا السروج و
يركبوا الاكف في شق واحد وروى ان امير المومنين جعفر المتوكل الزم اليهود
والنصارى وتمييزهم في لباسهم واخذهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين و
وجعل على ابوابهم مثالا شياطين لانهم اهل الذلة وقرب منه اهل الحق وباعد
منه اهل الباطل واهل الاهواء فاحيا الله به الحق وامات به الباطل وهو يذكر

نزلها

١٣٥

بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشاء في دينهم ولا تحل
الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري من البصرة وكان
عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستاذن لكاتبه وكان
نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب فخذه قال وليت ذميا على المسلمين اما
سمعت الله يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المو
منين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم
الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان
العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم
اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم
شيئا وقال عمار بن اسيد كتب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد فا
نه بلغني ان في عملك رجلا يسمى حسان بن يزيد على غير دين الاسلام والله تعالى قال
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مومنين فاذا اتاك كتابي
فادع حسان بن يزيد الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن
به ولا تاخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرا عليه الكتاب فا
سلم فعلمه الطهارة والصلاة ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
خرج
الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اردت ان
اتبعك واصيب معك فقال تومن بالله واليوم الاخر ورسوله قال لا قال فارجع
فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب رسول الله صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم وكانت له قوة وجلد فقال الحبشة لا تبعد وأصيب معاذ
فقال أتؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فقال لا فقال ارجع فلست أستعين
بمشرك ثم لحقه على البيداء فقال له مثل ذلك فقال أتؤمن بالله ورسوله فقال
نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في أن لا يستعان بمشرك هذا **لفظه قال** ابن بلغ
دقيق النبي صلى الله عليه وسلم وبراءة مذ بقية استعمالهم على رقاب المسلمين
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن لا تولوا على أعمالنا إلا أهل القرآن
فكتبوا إليه إنا وجدنا فيهم خيانة فكتب إليهم إن لم يكن في أهل القرآن
خير فأجدر أن لا يكون في غيرهم خير

فصل ومتى نقض الذمي العهد
لحقا لعدو شيء من الشرك المأخوذة عليهم لم يرده إلى مأمنه والإمام فيه
بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال صاحب الشامل بعد ويلزمهم أن يتميزوا
عن المسلمين بالغيار ويشدون الزنانير في أوساطهم ويكون في رقابهم
خواتيم من رصاص أو نحاس أو جرس من يدخل معهم الحمام وليس لهم أن يلبسوا
العمائم ولا الطيلسان وأما المرأة فتشد الزنار تحت الإزار وقيل فوق الإزار
وهو أولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون أحد خفيها
أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالأكف عرضا
ولا يركبون السروج ولا يصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويلجؤون إلى أضيق
الطريق ويمنعون أن يعلوا على المسلمين في البنيان ويجوز المساواة وقيل لا يجوز
بل يمنعون وإن ملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من إظهار المنكر
والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والإنجيل ويمنعون من المقام بالحجاز
ومكة والمدينة واليمامة ويجعل الإمام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم
ورجالهم ويستوفي ما يؤخذون به من جميع الشرائط وإن امتنعوا من أداء الجز

ية والتزام

١٣٦

ية والتزام والحكام الملة انتقض عهدهم وإن زنا واحد منهم بمسلمة
أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما
عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق فينتقض عهده وإن ذكر الله ورسوله
بما لا يجوز فقال وينتقض عهده وإن فعل ما منع منه مما لا ضرر فيه كالقمار و
وإظهار الخمر وما أشبههما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد إلى
مأمنه في أحد القولين وقيل يقتل في الحين في القول الآخر

فصل وفي تقدير
الجزية خلاف بين العلماء فقيل إنما هي مقدرة الأقل والأكثر على ما كتب به عمر إلى
عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من
دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من
الصحابة ولم ينكره أحد وكان الفقير اثني عشر درهما بينا وهذا مذهب
أبي حنيفة وابن حنبل وأحد قولي الشافعي وجعلوه كالحكم إماما فلا ينقض
وقيل إنما هو مردود إلى الإمام في الزيادة والنقصان وهو الأقيس وقيل
إنها مقدرة الأقل فلا حد في الأكثر فيجوز للإمام أن يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز
أن ينقص منه وقال بعضهم يجوز أن يساوي بينهم فيؤخذ من كل واحد دينارا
وقال مالك يؤخذ من أهل الورق أربعون درهما ومن الفقير دينارا وعشرة در
اهم ويخرج على مذهب مالك وجوب نقص يكون فيها قولان بناء على أن العشر
المأخوذ منهم هل هو مقدر بالشرع أو لا تجوز فيه الزيادة والنقص وعن داود
روايتان ولا جزية على النساء والعبيد والصبيان والمجانين

كتب
عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فإن أهل
الكوفة أصابهم بلاء وشدة وجور من العمال وسنن خبيثة سنها عليهم
عمال السوء فأحسن عليهم رضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب

ولا تأخذ من الخراب إلا ما يحتملون ولا من العامر إلا وضيعة الخراج إلا وزن
سبعة ليس لها آس ولا أجور للضرابين ولا إذابات الفضة ولا هدية النيروز
والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على
من أسلم من أهل الأرض والواجب أن يأخذ ما أمر به عمر بن الخطاب أن تهدم كل
كنيسة وهو من كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب رطبة أو شجر
ستة دراهم ومن كل جريب حنطة أربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

فصل فأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل
الإسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر أن لا يظهر صليبا خارجا من كنيسة إلا
كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهو مذهب
المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار
الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن
البصري قال من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة
ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب منها قال الإصطخري إن كانوا هم الحد
بك منعوا ويمنعون أن يعلون على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل
لا تجوز

الباب الثاني والخمسون في بيان الصفة المعتبرة في الولايات

اعلم أرشدك الله أن منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فواجب
ما اجتهد جهده في انتقاء صالح العمال وإذا افتقد الوالي عمال الصدق كان كفقد
المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج إلى صنفة الرجال كما يحتاج الحرب إلى
أصناف العدة فمنها الدرق للاحتراز والسيف للمجاولة والرمح للطاعن والسهم
للجماعة

اللهم صل على ... محمد

للجماعة والدرع للتحصين ولكل واحد منهما موضع ليس للآخر والرجال
للملك كالآلات للصناع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للوزارة والمشورة ومنهم لإدارة الحرب ولأمراء الحرب
ولجمع الأموال وحفظها وللجباية ومنهم للكتابة ومنهم لجمال الملك ومنهم
للجاهات والذكر ومنهم للدعاء والرفق ولا يقوم الملك ملك ما لم تجتمع فيه كل هذه
الطبقات **قال** أبو بكرة لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران فقال لن يفلح قوم أسندوا أمرهم
إلى امرأة **وقال** ابن عباس لما كانت فتنة الحرة من استعمل القوم قالوا عبد
الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الأنصار فقال أميران
ملكوا والله القوم ولم يشترك الكتب الآية الإمامة العظماء وزمان الولايات
ولقد استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من العظماء فقال
هشام بن عبد الملك بلغني أنك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة فقال زيد
وقد كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرة وخير عليه السلام من ولد إسماعيل
ثم انتهى في أمره فقال له زيد أنا أحق لك فقال هشام ومن يصفه فقال زيد إنه ليس
أحد فوق أن يوصى بتقوى الله تعالى ولا أحد دون أن يأمر بتقوى الله منه **وقال**
بعض الخلفاء دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني قالوا وكيف تريده
قال إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأميرهم وإذا كان أميرهم كان كرجل
منهم قالوا ما نعلم إلا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها **ويروى** أن
عمر بن عبد العزيز استشار قوما في قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه عليك
بأهل العذر قال ومن هم قالوا الذين إن عدلوا فهو ما رجوت وإن قصروا قالوا
الناس قد اجتهد عمر **ولما قدم اليزيد** بن بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان

Copyright © King Saud University

دا له عن بشر فقال يا أمير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال
أمير المؤمنين لذلك إذا عسر إنما جوهره الذي كان يأمن عنده البريء ويخاف لديه الشقي
ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير العنف اللين في غير
ضعف عمر بن الخطاب • وقال الحكيم اعتبر الرجال بأفعالهم لا بعظم أجسا
دهم فإن النسر مع عظمه لا يأكل إلا الميتة وكبر الفلاء مع ضعفه لا يأكل ميتة له
النشط ويأكل الحي منها وفي حكم الهند السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصا
ه وأكرهه مخافة ضرره كالملدوغ يقطع أصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه وربما
أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لعناء يجده عنده كتكاره المري
ض الدواء البشيع لنفعه إلا أن الإصلاح هو فيها فائدة تستقيم هذه السيرة عليها
ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أفضت الخلافة إليه كان معاوية
واليا على الشام من قبل عمر وعثمان فاستشار رجلا فقال له بعض أصحابه أقره في
على إمرته وأرسل إليه بعهده فإذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له رحمه الله
أتأمرني أن أطلب النصر بالجور ثم عزله وكان بسبب عصيانه وهكذا أشاروا
عليه فقالوا يا أمير المؤمنين لو عطفت هؤلاء الأشراف ومن تخوف منهم وإنما النا
س أصحاب دنيا حتى تحتويهم الترس ثم عدت إلى التسوية فقال أتأمروني أن
أطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان ما لي لسويت بينهم وأفضل بعض
بعضهم على بعض وكيف والمال لهم وأعطى المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو
يرفع في ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة ولم يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وصرف لغيره ودهم فإن بقي معه منهم من يظهر
له الود والشكر فإنه ملق وخديعة لينال منه فإن زلت به النعل يوما فاحتاج
إلى معونتهم ومكافأتهم ما أسلف من بره فشر خدين وألأم خليل أيها الوالي وجب

الحج

المدح فإن من أحب المدح كمن مدح نفسه وإذا عظم في نفسه جعله الناس
مثلا فحق لمن أحجم منه فتكون حسبك في خطأ العدو أتى لنفسه لا لغيره وقال النبي لفظاه
صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين وسمع المقداد رجلا
يمدح عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخذ كفا من تراب فألقاه في وجهه وسمع
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر أخيك لو سمعها
ما أفلح بعدها وفي الحديث تأويلان أحدهما أحملها على ظاهره كما
فعل المقداد مع المداح لعثمان والثاني أن يرفع شيئا من التراب فيشده بين
يديه كأنه يقول تراب من خلق من هذا التراب ويعود إليه لا يستحق هذا الثناء و
الثالث لا تقضي حاجة المداح والعرب تقول لمن رجع خائبا عن حاجته رجع
بكفيه مملوءين ترابا والرابع نقيض هذا قال شيخنا أبو العباس ابن حجانه
قال معناه اقض حاجته وأعطه ما سأل فإن الذي تعطيه سيصير ترابا فكأنك
أعطيته ترابا والخامس أن يكون المعنى الله على لا إن العرب تقول إذا عنف
على أحد في فيه الحجر وفي فيه التراب أي فيقولوا للمداح هذا كذلك ووصف أعرابي
رجلا أميرا فقال كان إذا ولي لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيوبه فهو
غائب عنهم شاهد معهم والمحسن راج والمسيء خائف وقال عبد الله
ابن الزبير يوما لابن هند يعني معاوية إن كانت فيه المخارج ما توجه
في أحد فعله أبدا والله إن كنا لنعرفه وما الليث الجريء على فريسته فأجرأ
منه فتعازلنا وأدركنا تحفه عنه وما ابن ليلة من الأرض فإذ هو منه ووالله
لوددنا أنا متعنا به ما دام في هذا حجر وأشار إلى أبي قبيس لا يخوز له عقل ولا تنتقض
له قوة وقال الضبي كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامل له كتابا
في مثل أخذ العادة إنما يعرف أنه لا يقيم أمر الله في الناس إلا أصيب العقدة بعيد الغوة

Copyright © King Saud University

لا يصلح الناس منه على عورة ولا يخشى الحق على الجرأة ولا يخاف في الله لومة لا
ئم وقال المدائني جاء رجل إلى عمر بن الخطاب وسأله أن يكتب له كتابا في أمر فقال
اذهب إلى المنزل فإنا نتابع قالة وقرطاس فذهب فلم يجد شيئا فقال الكاتب عندهم
شيء فذهب فلم يجد عندهم إلا الذي من ذوي فكتب له في تلك الأداة وتفاوض
القائمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد أن امتحن عقله وعلمه بالمسائل فو
جدوه فوق ما يريد فلقيه وجوه الناس من أهل البصرة فرأوا شابا صبيا ما نبتت
لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم إلى بعض يغمزون الكف ويغمزون الحواجب فقال له
بعضهم كم سن القاضي أصلحه الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد إذ ولاه
النبي صلى الله عليه وسلم مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لـ
عتاب بن أسيد أحد وعشرون عاما إذ ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح
أن يلي أمر الناس إلا حصيف العقدة بعيد الغرة قليل الغرة بعيد التهمة شديد
في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال
أيضا ينبغي أن يكون في الولي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل
عصفور بغير حق ويكون فيه من الرفق والحنو والرأفة ما يجزع من قتل عصـ
عصفور بغير حق ويروى أن الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال إني لا أ
حسن القضاء ولا أنا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خصال لك شرف والشرف
يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه
وأنت رجل تشاور في أمرك ومن تشاور كثر صوابه وأما الفقه فيضم إليك من
تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعنا وقال إياس بن معاوية استحضرني
عمر بن هبيرة فحضرت فما كلمني فسكت فلما أطلت قال إيه قال سل عما بدا
لك فقال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل

تعرف

تعرف من أيام العرب شيئا قلت نعم قال فهل تعرف من أيام العجم شيئا قلت أنا
بها أعلم قال إني أريد أن أستعين بك فقلت إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل
قال وما هن فقلت أنا رجل دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيي فقال أما الد
مامة فإني لا أريد أن أحاسن بك وأما العي فإني أراك تعرب عن نفسك وأما سوء
الخلق فيقومه السوط ثم ولاني وأعطاني ألف درهم فكان أول مال تمولته
وقال سليمان بن داود عليهما السلام ما ملاقاة لبوة سلبت أشبالها
بأصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال

اعلم أرشدك الله أنه يجب أن تولي الأعمال أهل الحزم والكفاية وا
لنصح وأهل الأمانة وتكون التولية شفقا لا للهوى وملاحظة الكفايات وأ
سببها أن لا تولي الأعمال لطالبها ولا راغبا فيها وروى البخاري في صحيحه
عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان فلما
سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم إنا لا نستعمل على عملنا من أراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق
ما عرفت الذي في نفسه وقد روينا عن ابن جمهر أنه قيل لإمام ما بال ملوك آل
ساسان صار أمرهم إلى ما صار إليه قال لأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار
الرجال ولله در عمرو بن العاص حيث قال موت ألف من العلية أقل ضررا
خير من ارتفاع واحد من السفلة وغضب المعلى بن أيوب على بعض
أصحابه غضبا شديدا ثم قال لا أماتك الله أو يبغضك دولة السفلة وقال
رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لرجل قد أراد أن ركبك الإمارة إمارة

Copyright © King Saud University

الصبيان وقال المستوغر الأكبر وكان من عقلاء الجاهلية ثلاث ما بهنه

وما سفلت يوما من الدهر أمة ... إلى الذل إلا أن تسود سفيهها

إذا ساد فينا بعد ذل لئيمها ... تصدع ناء الذل وفرآد فيها

وما قادها النحرير إلا مجرب ... عليم بإقبال الأمور كريهها

وما كان في لب بعاش تغفله ... ولكن تدبير الأمور حكيمها

اعلموا إنما يدخل على الدول من فساد من تقليد الأعمال لغير أهل الأعمال عليها لأنه لا يتحصنها إلا لصحة ثوب ناسخ ونهب في مسلاخ عابد حريص على جمع حطام الدنيا بإذهاب دينه ومروءته يبتغي عرض الحياة الدنيا وقد سبق القول في العرض على الأمانة دليل على الخيانة يتخذ من عباد الله خولا وأموالهم ولا تنصفن حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت بياناتهم وقلت كتاباتهم ما تنقض الأمور ودفعت الفساد إلى العمال وقد ذكرنا في أول الكتاب في الإقرار كراهة الولاية فقال المأمون ما فتق علي فتق إلا وجدت سببه جور العمال ولما قدم رسول ملك غربية على عضد الدولة بن بويه الذي ولي وقضاء الوساطة أراد الانصراف فقال له عضد الدولة ما الذي تقول لأخيك قال قوله جئتك من عند سلطان يطلع وعدله فإن قيل ما معنى يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم قلنا يوسف عليه السلام كان نبيا من أنبياء الله تعالى واثقا من نفسه بالكفاية والأمانة بريئا من أن يخفى من الحق من أبرك ولا يغيب عن خطابه وقضائه ويرى الأمور والأعمال والولايات كلها معه في يد من ليس لها أهلا ويجوز مثل هذا اليوم هذا لمن حصل من مدى خيار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذكر له بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم له أمر ثلاثة وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي وإذا كان الفضاء من لم

يصلح

يصلح له وجب أن يخطب من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الأمصار على خلاف هذا الرأي ويحتمل أن يكون هذا الرأي يوسف عليه السلام قد أوحى إليه ما يصير أمر لمأتيه من الحفظ والعدل أو بعث بحكمة الإسلام فلذلك أتيه على ومنها روي في عجيب هذا الباب أن لقمان الحكيم كان عبدا نوبيا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان خياطا لداود عليه السلام فأتاه جبريل بالنبوة لتسر عند الله التي يصطفي للنبوة من يشاء فقال لقمان يا جبريل إن خيرني ربي فسمعا وطاعة وإن عزم علي افترض الطاعة فسمعا وطاعة فرضي الله قوله وأعطاه الحكمة وصرف الرسالة إلى داود عليه السلام وكان داود عليه السلام طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتيت أنا النبوة البلية وروي أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حولا يبصر صنعة الدروع ولا يعلم لما يصلح له ولا يسأله عن ذلك فلما تم الحول لبسها داود الدرع وقال نعم الدرع جعلته ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملا اشترط عليه أربعا لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول إنه لا استعملك على أبشارهم ولا أعراضهم وإنما استعملك لتصلي بهم وتقضي بينهم بالعدل وروى عبادة ابن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصرا وجعل له بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما هو بعثه فقال ائت سعدا وأحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى بابه أخرج زنده واستورى نارا ثم أحرق الباب فأتى سعد الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج إليه فقال له قد بلغ أمير المؤمنين

Copyright © King Saud University

إنما قلت انقطع الشرب حتى تشتغل بالله ما قال ذلك فقال له عمر دعه
نفعل الذي أمرنا به ونتوجه عنا ما نقول ثم ركب راحلته فما كان يحضر الرملة إلا
الذي أصابه من الخمص والجوع والله به أعلم فمر بغنم فأرسل غلامه فجاء منه
وقال اذهب فما تبيعنيه من شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلي فلما أراد ذبحها
أشار إليه أن يكف فلما قضى صلاته قال انظر فإن كانت مملوكة منها فاردد
الشاة وخذ الدراهم وإن كانت حرة فاردد الشاة التي قد ذهب فإذا هي مملوكة
فأخذ الدراهم ورد الشاة ثم أخذ خطامها فاقتاد وذهب وجعل لا يمر بقبيلة إلا
قطعها حتى أوى إلى أقوام فأتوا بخبز ولبن وقالوا لو كان عند الفتى غير
هذا لأتيناك به فقال بسم الله كل هلال أذهب الشعب خير من قبل كل السوء
حتى قدم المدينة فنزل بأهله واشترى من الطعام ثم راح وقال فلما أبصره عمر قال
لولا حسن الظن بك ما رئيناك خاصف وذكر أنه أتى النبي فقال قد بعثته وهو
يعنته رجعيه بالله ما قال فقال عمر فكر من دلني فقال قد رأيت مكانه
إن يا مريب فقال عمر أرض العراق أرض رقيقة وأن أهل المدينة يموتون
جوعا من الجوع فخشيت أن آمرهم بشيء فيكون لك البارد ولي الحار وروى زيد
ابن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له على الحمى فقال
يا هني اضمم جناحك للمسلمين واتق دعوة المظلوم فإن دعوة
المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة وإياك ونعم ابن عوف ونعم
ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع وإن رب الصريمة
إن تهلك ماشيته يأتيني ببنيه فيقول يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبا لك
فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق وايم الله إنهم ليرون أني قد ظلمتهم
إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام

والذي

والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت
عليهم من بلادهم شبرا ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما ببناء يبنى
بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا أنه لعامل له على البحرين فقال أبت
الدراهم إلا أن تخرج أعناقها وقاسمه وكان يقول إن على كل خائن أمينين الماء
والطين وكان أنوشروان يكتب إلى العمال سس خيار الناس بالمحبة
وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالإخافة وقال
سليمان بن داود عليهما السلام كما يصلح الهمز للفرس والرسن للحمار
كذلك يصلح الغضب لكلام الجاهل وفي الأمثال القديمة من لم يصلح باللين
أصلحه التليين ومن لم يعقه عدوه وقال هلال بن إساف استعمل النبي صلى الله
عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي عليه السلام كيف
رأيت الإمارة أبا معبد فقال خرجت يا رسول الله وما أرى أن لي فضلا على أحد
من القوم فلما رجعت إليهم كأنهم عبيد لي فقال كذلك الإمارة أبا معبد إلا من وقاه
الله شرها فقال والذي بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا وقيل لعمر بن الخطاب
ما يمنعك أن تستعمل على عمل أحدا من أصحاب محمد عليه السلام فقال أكره أن
أدنسهم بالعمل وقال إبراهيم كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن أحوالهم
وأسعارهم وعمن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف
وهل يعود المريض فإن قالوا نعم حمد الله تعالى وإن قالوا لا كتب إليه أقبل ومثل
السلطان إذا ولى العمال السفلة مثل من يستعين على غنمه بالذئاب ومثل من ربط
الكلب العقور ببابه وإن العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد
الملك بن مروان الذي استعمله على الرعية وفيه قيل

ومن ربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب

Copyright © King Saud University

وكان العلاء بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون يكتب عهد العامل فيقرأه
على من يحضره من أهل عمله ويقول أنتم عيون عليه فاستوفوه منه ومن
تظلم إليّ منه فعلي إنصافه وبعثتهم فيبيدوا واحدا ويأمر العامل أن يقرأ عهده
على أهل عمله في كل جمعة فيقول لهم هل استوفيتم والله الموفق للصواب

الباب الرابع والخمسون في
هدايا العمال والرشا على الشفاعات

روى أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لأخيه
شفاعة وأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا
والسر فيه أنه إذا أقدم على قضاء حاجته عند السلطان الظالم أو السيد
الغاشم صارت واجبا عليه وروى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه
وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم
وهذا أهدي لي قال فغضب النبي عليه السلام وقال ما بال الرجل نستعمله
على عمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي لنا أفلا قعد في بيت
أبيه وأمه فينظر هل يهدى له قال نعم وكان عمر بن الخطاب يشاطر
العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر أبا هريرة فقال له من أين لك هذا
المال فقال أبو هريرة من دواب تناتجت وتجارة تداركت فقال أدّ الشطر
وإنما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم
وروى مالك بن عوف أنه اشترى هو وعبد الله أخوه إبلا فبعثا بها إلى الحمى
فرعت فقال عمر رعيتها في الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن أبي وقاص
حين قدم من الكوفة لأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة ولا ربح رعاها
لا فلا يستحقونه لأن لهم زيادة إمارة قوة على الربح إن العامل ما لا ينال غيره من

فجعله

فجعله كالمضارب للمسلمين وقد دفع أبو موسى الأشعري مال بيت
المال لعبيد الله وعبد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا به بضاعة فربحت
بالمدينة فأراد عمر أن يأخذ جميع الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهم بنصف
الربح فأخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال وكتب عمر بن
عبد العزيز إلى عماله أما بعد فإنما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى
يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى في الحال بالأمر من هوى والدين للعدل يبقى
وكان عمر بن الخطاب يأمر إذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهارا ولا يدخلوا
ليلا كي لا يحتجبوا شيئا من الأموال وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في عملي
الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان
وروى أن عليا استعمل أبا مسعود الأنصاري على السواد فرجع إلى داره وقد استغلّ
فقال ما هذا فقالوا كان كذلك يصنعون بالرجل إذا استعمل فقال كل هؤلاء يريدون
أن يأكلوا أمانتي وروى أنه أطرق فرجع إلى علي وقال لا حاجة لي في العمل
وفي كونه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال
يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وفي الأمثال الهدية تعمي وتصم وقال
بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وأنشد بعضهم

إذا أتت الهدية دار قوم ... تطايرت الأمانة من كواها

وأنشد أيضا

إن الهدية حلوة كالسحر ... تجتلب القلوبا
تدني البعيد من الهوى ... حتى تصيره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة ... بعد جفوته حبيبا

ومما قلته في الرشوة

وأكرم من يأتي الباب شخص ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينبغي أنه أمشى لنفسها أو لغيرها ... وينكح بابه بالرجلين
وأكرم شافع يأتي بشيء عليها ... أبو القنفوش فوق الصحفتين

وقلت أيضا

إذا كنت في حاجة مرسلا ... وأنت بإنجازها مغرم
فأرسل بأكمه خلابة ... به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى ... رسول يقال له الدرهم

الباب الخامس والخمسون
في معرفة حسن الخلق

اعلموا أرشدكم الله أن هذا الباب مما غلط فيه الخلق وقلبوا فيه الأ
أمور لكونه يعمد إلى أخلاق العامة والغوغاء والرعاع وما يجري بينهم إذا
تلاقوا وتعاشروا من الإدراك في مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب
والتصنع والملق والمرايات والمعاريض في أمور الدين والدنيا لغير ضرورة
لإظهارها والإغراق في شدة المزاح والمهاترة وما أشبهه عندهم من حسن
الخلق وهو عند الله بغيض ما حض الله عليه ورسوله من حسن الخلق فأول
ما ينبغي أن تعلم أنه لم يكن على وجه الأرض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم
وكل من تخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعضها أو قاربها
كان أحسن الناس خلقا وكل خلق يعدّ من أخلاقه عليه السلام فليس من
حسن الخلق وهذا أفضل الخطاب لمن عقل وإنما أوتي الناس من هذا الباب
لما استحسنوا الأخلاق العامية واستخشنوا الأخلاق النبوية فحملهم ذلك
خلاف المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أثنى الله عليه من أخلاق الأنبياء والـ

والمرسلين

(margin: بعضهم ... العامية)

والمرسلين والأولياء والأصفياء والعلماء والصالحين ما نرجو أن ينفعنا الله وإيانا
قال الله سبحانه لنبيه وصفيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك
لعلى خلق عظيم **فخص الله** سبحانه نبيه عليه السلام من مكارم الطبا
ئع ومحاسن الأخلاق من الحياء والكرم والصلاح وحسن العهد ما لم يؤته
غيره ثم لم يثن الله عليه بشيء من فضائله مثل ما أثنى عليه بحسن خلقه فقال
وإنك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ إن الله سبحانه دعا الخلق
إلى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من حسن الخلق قال سعيد بن هشام
قلت لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين صفي لي خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت لي أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك
بهذا منقبة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق وإذا
وإذا كانت خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة
ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها وكذلك
لما أنزل الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي
عليه السلام ما هذا يا جبريل قال إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر إلى أخلاق
العامة من هذا النمط وإن أحدهم لم يقطع من وصله ويحرم من أعطاه
ويظلم من ظلمه ويغضب على البهيمة وإنما اقتصر على هذه الكلمة لأنها
أصل الفضائل وينبوع المناقب لأن في الأخذ بالعفو صلة القاطع والصفح عن
الظالم والإعطاء وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان
وغض البصر عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع و
فرضها ونفلها وفي الإعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وتنزيه النفس

(margin: عليه السلام)

عن مجازات السيئة ومجازات المخرج فهذه الاصول الثلاثة تضمن محا
سن الشرع نصا وتنبيها وتصحيحا واعتبارا وروي انه قيل يا رسول الله اي المومنين افضل
ايمانا قال احسنهم خلقا وروى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لاتمم محاسن الاخلاق واقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى امة انما
بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا عليه السلام بعث ليتمم محاسن الا
خلاق واذا المحسن الخلق امتثال الشرائع بالله وروى البخاري عن ابن عمر ان الرسول
عليه السلام لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من خياركم احسنكم اخلاقا وكا
ن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فجذبه
اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية الرداء في عنقه وقال له يا محمد مر لي
بشيء من مال الله الذي اتاك فلست تامر لي من مالك ولا مال ابيك فالتفت اليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء وروى معاذ ان النبي عليه
السلام قال احسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل واعلموا ان الخلق الحسن افضل
مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه الا
ترى ان الله سبحانه وتعالى خص نبيه عليه السلام بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن
عليه بشيء من خصاله بمثل ما اثنى عليه بخلقه وقال بعض المفسرين في قوله
تعالى وانك لعلى خلق عظيم لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله وقيل لم
يوثر فيه جفاء الخلق بعد معرفته بالحق قال المحاسبي حسن الخلق كظم ا
لغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع او فاجر والا يكون فاجرا اذا اله
انبسطت اليه استحياء واقلع والعفو عن الزالين الا في الادب واقامة حد وكف
الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا تغيير منكر او اخذ مظلمة لمظلوم وقيل مظلمة
حسن الخلق ان لا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك وقيل ان لا تهتم ممن علمت حسن

الخلق

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات

الخلق وقال من قيس بن عاصم المنقري بينما هو جالس ذات يوم في داره اذ جا
ءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها ووقع على ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وكان ابن عمر
اذا راى واحدا من اصحابه يصلي وهو يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه
فكانوا يحسنون الصلاة مراءاة له وكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدع
نا في الله انخدعنا له وقال الفضيل لو ان امرا احسن الاحسان كله وكانت
له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين وكان النجاشي يقول فقدنا ثلاثة
اشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع
الوفاء وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول الاستصغار لنفسه والاستعظام ما البلي
وقال سهل حسن الخلق ان تتسع فيما لك وليس يحذو هذه الصفة احد غير الله
سبحانه وقيل حسن الخلق تحمل اثقال الخلق وقال الحسن بن علي عنوان الشيء
حسن الخلق وقال مثله الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن
وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا
وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق احتمال المكروه بحسن
المداراة وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت
اسمي الذي اضله اهل البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لن
تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وروي
ان عثمان اجتاز بسكة وسط الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طست
رماد فتغير اصحابه وبسطوا السنتهم فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من
استحق ان يصب عليه النار وصالح على الرماد لم يجز ان يغضب وقيل النار
لابراهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين احدهما

Copyright © King Saud University

كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على عنقي والثانية كنت جالسا يوما فجاء ا
انسان فصفعني وكان اويس القرني اذا رءاه الصبيان يرمونه بالحجارة وه
وهو يقول لهم ان كان لا بد ان ترموني بالحجارة فالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعو
ني الصلاة وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعا
مرارا فلم يجبه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك
جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا
كما ترى قوة الهيبة يفرغها الله على المصطفين من عباده واهل البصائر من
اوليائه الا ترى الى قوله سبحانه فبما رحمة من الله لنت لهم جرده عن حظوظ
البشرية والنفس من نعمة الربوبية حين قواه على تحملهم وصبره على تبليغ
الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسيه من اخلاقهم مع كونه مستغرقا
بالشهادة الحق سبحانه عليه يختص برحمته من يشاء وقال النبي عليه
السلام المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وانما سمي ادم لانه
انه من الجواهر ولذا نوازن قال صلى الله عليه وسلم لرجلين فيما غضيرا م
اللذ بينكما ومنه سمي الادام الماكول لانه يولف الطعام ويحسنه ومنه
قول النبي عليه السلام لرجل اراد ان يتزوج امراة انظر اليها فانه احرى
ان يؤدم بينكما اي يولف بينهما وروي ان معروف الكرخي نزل دجلة
يتوضا ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امراة فاخذتهما فتبعها معروف
وقال يا اختي انا معروف لا باس عليك الك ابن يقرا قالت لا قال فزوج قا
قالت لا قال فهات المصحف وخذي الثوب وروي ان ابا ذر كان على حوض
يسقي ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انا لصاحبي الذي يغرني قطعها وقال ابو ذر

انا الكثير بوجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحارث يعجبني من القراء كل
سهل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في
المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة يا بني لتكن كلمتك طيبة
ووجهك طلقا تكن احب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يصحب صاحب السوء
لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم وروي ان ابراهيم خرج الى بعض البراري
فاستقبله جندي فقال اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب راسه واوجعه فلما
جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن ادهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك
لما ضربتني سالت الله لك الجنة فقال ولم قال علمت اني اوجر عليه فلم
ارد ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر وحكي عن ابي عثمان الحيري انه دعاه
انسان الى ضيافته فلما وافى داره قال يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف
رحمه الله فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال يا استاذ
قد ندمت واخذ يعتذر ثم استدعاه فمضى معه فلما وافى داره قال له كقوله
في الاولى وجعل يعتذر ثم استدعاه فمضى فعل به كذلك في الثالثة والرابعة و
وابو عثمان يجيبه ويرجع ثم قال له يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف
على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق
تجد مثله في الكلاب والكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر وروي ان بعض
الفقراء نزل على جعفر بن حنظلة فكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل انت
لو لم تكن يهوديا فقال جعفر عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج اليه من الخدمة
فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية وروي ان ابا جعفر الحمودي المعتبر لقيه
بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلفي
فابى فضرب راسه بالسوط فقال له بعض الحاضرين هذا ابو جعفر الفودي

Copyright © King Saud University

العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه ويعتذر اليه فقال انت في حل قال ابن
ابراهيم بن الحسين سمعت ابراهيم الخواص ليالي عدة اذا فرغ من حزبه في جوف
الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه وقيل مكتوب في الانجيل عبدي
اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال بعض المفسرين في قوله تعالى
وقولوا للناس حسنا كل من لقيته فقل له حسنا من القول وقال لقمان لابنه ثلاثة
لا يعرفون الا في ثلاث الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والاخ عند الحاجة
وروي ان عبد الله الخياط كان مجوسي يخيط له الثياب ويدفع اليه دراهم زيو
فا فكان عبد الله ياخذها فجاء المجوسي يوما بدراهم زيوفة فلم يجده فاعطا ردية صح
ها لتلميذه فدفع له [illegible] فلما رجع عبد الله قال لتلميذه هذه دراهم
المجوسي فذكر قصته فقال عبد الله بئس ما عملت انه يعاملني بهذه المعا
ملة منذ مدة وانا اصبر عليه والقيها في البير لئلا يغر بها غيري وروي ان معاوية
نظر الى يزيد يضرب ابنا له فقال اتضرب من لا تمتنع منك لقد حالت القدرة بيني وبين
اولي الثار وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين احدهما
واهو قد لا يتسع لمراد الخلق وافعاله والثاني لا يتسع لمراد المولى وقال الجا
نبي اصل سوء الخلق الاعجاب وهل صبر الخلق الرجل الا من عجبه وتكبره لا يرا فوقه
احدا ولا يعرف قدر نفسه فمنه اخلاقه اعرفه وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر
اي خلقك فحسن وكان لبعض النساك شاة فرءاها على ثلاثة قوائم فقال من فعل
هذا بها فقال غلامه انا فعلته قال ولم قال لاغمك فقال بل لاغمن من امرك بها
اذهب فانت حر وروى البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
راى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له اسرقت قال كلا والله الذي لا اله الا هو
فقال عيسى امنت بالله وكذبت عيني وقال علي بن ابي طالب قبلة الاخلاق

بمعاشرة

بمعاشرة السفهاء وقيل الخلق الشيء يضيق قلب صاحبه لانه لا يتسع فيه مراد له
كالمكان الضيق لا يتسع فيه غير صاحبه ويقال من سوء خلقه ان يقع بصره على
سوء خلق غيره وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء وقيل
الخلق وروى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قيل ادع الله على المشركين فقال
انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ولما وصى يعقوب اولاده قال لهم احفظوا
عني خصلتين ما انتصف من كلام فيه فوق ولا تفعلوا ولا رأيت حسنة الا افشيتها ولا
سيئة الا سترتها كذلك فافعلوا وقال ابن عمر اذا سمعتموني اقول لمملوكي اخزاك
الله فاشهدوا انه حر وقال الشيخ الخلق هو الذي لا يبالي بنفسه عند الغضب اصل
ويقال سوء الخلق مطالبة غيره ان يوافقه دون ان يطالب نفسه بموافقة
غيره وعلامة حسن الخلق احتمال معاملة سيء الخلق لتلتذ بسوء الخلق ولو
وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامته من بينه وبين نفسه عتاب
لا يكون بينه وبين خلقه عتاب وروي ان عبد الله بن عمر كان في جواره يتيم
سيء الخلق فمات فحزن عليه ابن عمر فقيل له انك تجد غيره فقال فمن لي
بمثل سوء خلقه وكان يحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك
هذا الغلام فقال لا تعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة الظاهرة استواء الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل
لان يصحبني رجل فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق
وان قيل السير فقد روي ان عيسى ويحيى بن زكريا التقيا فقال يحيى لعيسى
تلقاني ضاحكا كانك امن فقال له عيسى وانت تلقاني عابسا كانك ايس
فاوحى الله اليهما ان احبكما الي ابشركما لصاحبه قلنا ذلك لا نستحب ان
يكون المؤمن يبسط كلامه وجهه ويبسطه وجه اخيه منهيا عنه

Copyright © King Saud University

وانما المكروه ما ذكرناه في اول الباب من الغلو والتصنع ووصل الخطاب
في هذا الباب ما روى هند بن ابي هالة في صفة مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كان اصحابه كانما على رؤوسهم الطير ومعلوم ان من كان على راسه
الطائر لا يبرح ولا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينيه حذرا ان يطير الطائر وقال
ابن المقفع كان لي صديق من اعظم الناس في عيني وكان راس ما عظمه في
عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يتشهى ما لا يجد
ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف
له رايا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم ابدا الا على ثقة
لمنفعة كان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا
فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مراء ولا يدلي
ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على
ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا الى من
يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبا الا من يرجو عنده النصيحة لهما
جميعا كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكي ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن
الولي ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فعليك
بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق فاخذ القليل خير من ترك الجميع وروى ان حكيما
سمع رجلا يذم الزمان واهله ويذكر فساد الناس وانه لم يبق واحد يصحب
فقال له ما هذا انت تطلب صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه ولا تنصف و
وتاخذ رحله ولا يرى لك شيئا وتجعل عليه فضلك ولم تنصفه في الطلب ولم تجعل
جنة وكان اراد ان تطلب صاحبا يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم ويأكل رحلك
ولا تنال منه شيئا وجدت اصحابا واخوانا ان من يصحبك فصل في الفرق

بين

بين المداهنة والمداراة نرى ان الناس وضل اكثرهم عن هذا الباب واختلط
على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون فالمداهنة منهي عنها و
والمداراة مامور بها قال الله سبحانه في المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون
وقال النبي عليه السلام في المداراة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى
الناس وامرت بمداراة الناس كما امرت بالفرائض وانما تلتبس المداراة
بالمداهنة فالمداهنة ارضاء الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداراة
تحمل الغير على وجه يسلم لك دينك ونزلت هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقالوا له
ونشهر ... فقالوا ... قالوا اجلس عندنا ... فلعلنا نتبعك لو
ونؤمن بك يوقف النبي عليه السلام في ذلك وطمع ان يفعلوا ان يومنوا فانزل الله
ودوا لو تدهن فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول
لظالم ابقاك الله ومن دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله سبحانه وهذا
باب ينبغي ان يحترز منه فيحفظ وقد روي ان بعض الفقهاء خرج من بلده لانه
اتعهده ... وكان الفقيه ابن الحفظ ... له جار نصراني يقضي حوائجه
وينفعه فكان الفقيه يكره ان يقول له ابقاك الله وتولاك فقال له عبيد بسرني
والله ما يسرك فجعل النصراني يوما ... على ... الكلمة فيبتهج النصراني
بها وتسرك فعوتب الفقيه في ذلك فقال انما ادعو ... اخر فقد عرف الله
ذلك من نيتي اما قولي ابقاك الله وتولاك ان يبقيه الله ليلزم الجزية
وتولاه بالعذاب واما قولي اقر الله عينك فاريد ... ان تقر حركتها فيشتغل بعرض
لها ولا تنتشر ... واما قولي يسرني ما يسرك فان العافية تسر كل نفس ... واما

وأنا أقول جعل الله يومي قبل يومه أدار يده أن يجعل الله اليوم الذي أدخل
فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذي يدخل فيه النار بكفره هؤلاء

الباب السادس عشر فيما جاء في
الظلم وسوء عاقبته

قال الله سبحانه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وقال
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الكافرون وردت الآيات الثلاث في بني إسرائيل وكل من لم يحكم
بما أنزل الله ولا بما جاء من عند الله كان إما كافرا أو ظالما أو فاسقا بالحكم و
قوما على خلاف الحقيقة وقال الله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قال ولا أغنتهم شيئا لا يكون فيه من لا يؤخذ يومئذ ويكتفي تشوفا في تعزية الله
للمظلومين وقال كعب الأحبار في التوراة من يظلم يخرب بيته ويقال
أبو هريرة وجدت في كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم أدعى
شيء إلى سلب النعم وحلول النقم وروى مسلم في الصحيح عن النبي عليه السلام
فيما يروي عن ربه سبحانه أنه قال إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما
فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم
كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي إنكم تخطئون بال
ليل والنهار وأنا أغفر الذنوب فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإن
وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا واحد
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل
إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص إذا أدخل البحر يا عبادي

إنما هي

إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير
ذلك فلا يلومن إلا نفسه يرويه أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو إدريس إذا حدث به جثى على ركبتيه
وروى أبو إدريس عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن
الظلم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب وروى
أبو هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لأخيه عنده مظلمة
من عرضه أو ماله فليتحلله قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل
صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم تكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه
فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
سبع أرضين يقول من ظلم في الأرض شبرا طوقه من سبع أرضين قال أبو جعفر الطحاوي
معناه أنه ينقلب شجاعا أقرع فيطوقه كما قال عليه السلام في مانع الز
كاة يجيء يوم القيامة شجاعا أقرع يقول أنا كنزك وكان هذا داخلا
في قوله فسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال مطل الغني ظلم وروى أبو موسى الأشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وقرأ
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وروى أبو
هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما
قال يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يده
وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أهل النار لم أرهما
قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات

Copyright © King Saud University

ما بلاد علمه وهي مثل السنة انيخفى من هذا بحذ الجنة ولا يجد ريحها و
وقول الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق
عليها القول فدمرناها تدميرا وفي رواية قرا ويلات امرنا امرناهم بالطا
عة فيفسقوا اي خرجوا عن الطاعة والثانية على قراءة الحرابين كثرنا عددهم
واسبغنا النعم عليهم فعصوا وتمادوا ومنه قول النبي عليه السلام
خير المال سكة مابورة او مهرة مامورة اي كثيرة النتاج واعلموا رحمكم الله
ان الحشرات الارض وهوامها تلعن العصاة :. وقال مجاهد اذا اشتدت الارض
تقول البهائم هذا من اجل عصاة بني ادم لعن الله عصاة بني ادم وذلك في صح
قوله اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الحيتان يلعنون هذا بذنب ابن ادم يعني ان بخس حق
الخلق تمنع القطر فلا تنبت الارض فتهلك الدواب والحشرات وسمع ابو
هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى
لتموت في وكرها هزلا لظلم الظالم وقال ابن مسعود خطيئة ابن ادم قتلت
الجعل وروى مسلم في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق
امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار فقال له رجل يا
رسول الله فان ~~يا رسول الله~~ فان كان قضيبا من اراك وقال ابن عباس ما ظهر
الغلول في قوم الا القي في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنى في قوم الا كثر فيهم
الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير
الحق الا فشى فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو وقال
بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك ولا
يعجبنك امرؤ رحب الذراعين يسفك الدماء فان له قاتلا لا يموت وروي ان بعض

وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله

الملوك

الملوك رقم على بساطه هاذين البيتين

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم مصدره يفضي الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وانشدنا قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني ببغداد رحمه الله

اذا ما هممت بظلم العباد ... فكن ذاكرا هول يوم المعاد

فان الظلم يوم القصاص ... لمن قد تزود منها شر زاد

وروى سحنون بن سعيد قال كان يزيد بن حاتم يقول
والله ما هبت شيئا قط هيبتي رجلا ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له الا الله يقول
حسبك الله بيني وبينك وقال ابو سليمان الداراني لما دخل اخوة يوسف
عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع على بكسهم كان ابن
خالته فقال له يا اصطحبا ابوك قال يا ربيع قال فما هو قال يا بني لا تتبع هواك
فيخطو بك الى الناس فان الناس يدعون الى الجنة والهوى الى النار ولا تكتم سره
منكم وفي لا يغيظه فيتشفى من غيظه ولا تنسى ربك الظن ولا يستجيب له
ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين وبكى الفضيل يوما فقيل
له مما يبكيك قال ابكي على من ظلمني اذا وقف بين يدي الله تعالى ولم تكن
له حجة وقال محمود الوراق

انه وهبت لظالمي ظلمي ... وغفرت ذلك له على علمي

ورايته اسدى الي يدا ... لما ابان بجهله حلمي

رجعت اساءته عليه ... واحساني فعاد مضاعف الجرم

وغدوت ذا اجر ومحمدة ... وغدا بكسب الظلم والاثم

مازال يظلمني وارحمه ... حتى بكيت له من الظلم

بلاغ

Copyright © King Saud University

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على
من ظلم من لا يجد ناصرا غيري وقال ابن مسعود لما كشف الله تعالى العذاب عن
قوم يونس ترادّوا المظالم حتى أن كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده على
صاحبه وقال ثور بن يزيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال
غيره لو أن الجنة السماوات وهي دار البقاء على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب
وقال الحكيم العدل قوة والظلم ظلمة فالعدل نعمة البلاء الجوارح وبلا
يجور بهم الجوارح فاحذر من جناية لك الا النقمة فنزول النعم ولا صلاح له
الا بانتقال الى منقلب الذل وقال ما لا بد منه قرأت في بعض الكتب يا
معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني ذكرتهم برحمتي ذكره
وإذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي وقال أبو أمامة يجيء الظالم يوم
القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به
فما يبرح الذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا
حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الأسفل
من النار ومن صحيح مسلم أن هشام بن حكيم مر بالشام على أناس قد أقيموا
في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما هذا فقيل يعذبون في الخراج فقال
أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعذب الذين
يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل ممن كان يقرئ القرآن بالاسكندرية
قال كان ههنا شيخا جنديا على المكاسب ورجوتهم فرأيته في النوم
بعد وفاته فقلت له من أين جئت فقال لا تسل عما عذبت عليه فقلت لا تسل
فسألته فقال من الجحيم قلت له فإلى أين تذهب قال إلى مثل الذي أراني خرجت
منها قلت فكيف نجيت قال وما نجيت فكان يجيء في هاوية ودون حتى

طار مثل

طار مثل الفرخ وأخبرني رجل من أهل الفضل قال رأيت فلانا البياع في النوم بعد
وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة قلت بماذا قال كنت أبيع
في الدكان فيزدحم الناس علي فآخذ دراهمهم وأضعها في فمي وكلما فرغت
وزنتها وأعطيت كل إنسان حقه فاختلط في فمي درهم لرجلين فدفعت
لأحدهما درهم صاحبه وكانت أنقص من درهمه ثم خرجت وبقي علي
حبة فقلت له فادفع الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من أين أدفع الحبة
الحبة يكررها ثلاث مرات ويروى أن يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء
وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي إلى ظلها فيبست فبكى عليها
فأوحى الله إليه تبكي على شجرة جففتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون
أردت أن أهلكهم وقال لابن الشعاد أما سمعت أيام معاوية كيف تركت
الناس قال بين ظالم لا ينتهي ومظلوم لا ينتصف وقال بعض الحكماء أفقر
الناس أكثرهم كسبا من حرام لأنه استدان ما لا بد من رده وقال رجل كنت
جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه فقال
عمر إن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى
يستوفي حقه ويكون للظالم فضل عليه وقال عمرو بن دينار نادى رجل في بني
إسرائيل من رآني فلا يظلمن أحدا وإذا رجل قد ذهبت ذراعه من عضده
وهو يبكي ويقول من رآني فلا يظلمن أحدا فسئل عن حاله فقال كنت أمشي
على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام إذ مررت بصياد قد صاد سبعة
أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد أن ضربت رأسه فعض النون إبهامي
عضة شديدة فوقعت الأكلة في الإبهام فاتفقت الأطباء على قطعه
فقطع فوقعت في الكف ثم في الساعد ثم في العضد فمن رآني فلا يظلمن

Copyright © King Saud University

احدى انى خرجت اتنزه فى البلاد وانا اريد قطع العضاه وبعث التى تثمر فأريت
ظلها بنعمتى فقيل لى فى المنام لا شىء تقطع رزق النون الى اهله فجئت
الصياد فقلت يا عبد الله انا مملوك لك فاعتقنى فقال ما اعرفك فاخبرته
فبكى وتضرع وقال انت فى حل فلما قالها انتثرت الدود من عضوى وسكن
الوجع فقلت بماذا دعوت علي قال لما ضربت راسى واخذت السمكة
منى نظرت الى السماء وبكيت وقلت يا رب اشهد انك عدل تحب العدل
وهذا منك عدل وانت حق تحب الحق وخلقتنى وخلقته وجعلته فوق يدى
وجعلتنى ضعيفا بما سلطه بالذنب خلقتنى وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك
وقال معاوية اولى الناس بالعفو اقدرهم على الانتقام وانقص الناس
عقلا من ظلم من هو دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة اقسام
فظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به فاما الظلم
الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم
العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد
بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة فلا
تقدر ان يخرج من مظلمته وقال يوسف بن اسباط توفى رجل من الحواريين
فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح عليه السلام فوقف
على قبره ودعا فاحياه الله وفى رجليه نعلان من نار فساله عيسى عن
ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مررت بمظلوم فلم انصره فنعلت
هذين النعلين وانا ان الاصبعه اذا ابعلت بلحم مكروها فادع الله — باصبعه
تعالى واستغفر له كما فعل موسى لما اخذ اخاه هرون واخذ براسه
ولحيته ثم تبينت له براءته بان بنى اسرائيل غلبوا عليه وعلى عبادة العجل

فقال

قال رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين وروى ان
قوم لوط كانت فيهم عشر خصال اهلكهم الله بها كانوا يتغوطون
فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى المياه الجارية وعلى شطوط
انهارها وكانوا يخذفون الناس بالحصا فيعقرونهم فاذا اجتمعوا فى
المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح منهم والضحك على القفا وكانوا
يرفعون ثيابهم قبل الغائط ويأتون بالفاحشة الكبرى وهى اللوطية
قال الله تعالى اينكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون فى نا
ديكم المنكر والندى فى المجالس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق
وضرب الدفوف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق
ولبس الحرير وتزيد عليهم هذه الامة اتيان النساء بعضهم بعضا وانما
وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة فى منازلهم
وحوائطهم بارزة فقصدهم وفيه من الثمار فقالوا لو ابدينا شيئا نمنع ثمارنا
حتى لا يطمع فيها الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه منها فعلوا به وغرموه
اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها من احد من العالمين قال ابن عباس
وكان بدء الفاحشة فيهم انهم دخل اليهم ابليس فى هيئة
اجمل صورة الى الناس فنكحوه وتمادوا وعلى ذلك وقال ابو العتاهية

أما والله ان الظلم لوم ... وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تقضت ... ستخبرك المعالم والرسوم

وروى ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق فى
العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشروان عليه

Copyright © King Saud University

فلما ولي المدينة قال له ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا لخطبة فقال لقد
رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الفلاح بعد أبيك فأحببت أن أقطع
الكلام لئلا تكلم فقال أبو بشر والزيادة وقال عبد الرحمن بن السائب جمع
زياد بن سمية الناس بالكوفة في إمارته عليهم ليعرضهم على لعن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه والبراءة منه فملأ منهم المسجد والرحبة وا
والقصر وكان على الناس يوم عظيم قال وكنت في القوم فأغفيت إغفاءة
ومعي أناس من أصحابي من الأنصار فرأيت في منامي شيئا فرأيت طويل العنق له
أهدب فما يجيئني منكرا له وأفزعني فقلت ما أنت فقال أنا النقاد ذو الرقبة
بعثت إلى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعا فأخبرت أصحابي بما
رأيت فوالله ما كان إلا زمن حتى ألفاه وأنا أعي الحديث إذ خرج
علينا صاحب زياد فقال أيها الناس انصرفوا فإن الأمير مشغول فإذا هو
قد ضربه الله في تلك الساعة بالفالج وروي أن عبد الله بن مصعب الز
بيري سعى إلى الرشيد بيحيى بن عبد الله بن حسن العلوي فجمع الرشيد بين
بينهما فقال له يحيى والله يا أمير المؤمنين لهو قال في بالكلام وإنا منه تحملته
فقال عبد الله أنا أحلف فقال له قل برئت من الحول والقوة ووحول الله
وقوته إلى حولي وقوتي إن كان كذا فما ادعيته عليك والمجلس وامتنع من
اليمين وغضب الرشيد وقال له إن كنت صادقا فاحلف فحلف بهذه اليمين
فقال يحيى الله أكبر لعجيبة بها أحد كاذبا إلا عوجل فما خرج في يومه و
ضربه الله بالجذام وتشوه وجهه وبدنه قال سليمان بن جعفر لقد
دخلت عليه في اليوم الثالث من علته فما زال فما أتى بيوم فوالله ما عرفته
وجدته كالزنجي وقد تقطع جلده وروي أنه بعد ذلك دخل على

بلال

بلال بن بردة فقال بلال ادع الله لي يا أبا يحيى فقال له وما ينفعك دعائي
وبالباب ما يفيد ربع عون عليك ومثل قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم
ادع الله لي فقال ادع الله لك ها هنا ومظلوم بالباب يدعو الله عليك فأي
المدعوين أحق بالإجابة وكان سديف مولى بني هاشم يقول في دعائه اللهم
قد صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا ميراثا
بعد الاختيار للأمة واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة و
وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة
اللهم وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستجمع طريده فاتح
له من الحق يدا حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره ليظهر الحق في أحسن صورة
وأتم نوره وقال سوذب قال عمر بن عبد العزيز حين كثرت ظلمة
الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز
ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الأرض والله جورا فلما كلم الوليد فقال
عبد الرحمن بن محمد الخطابي وأبى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وعليها المسح
المسوح السود فلما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة نظر إلى أبيات النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما بال أبيات النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها الخشب والحائط
أهدموها فهدموها فقال خبيب بن عبد الله بن الزبير عمدا إلى آية من كتاب الله
كنا ننظر إليها فهدمتموها فبلغت كلمته الوليد فكتب إلى خليفته أقم خبيبا على
باب المسجد واضربه مائة سوط ثم أقمه على البئر الذي يلي المسجد بنزع البكرة
ويصب في الحوض فأخرجه عمر وضربه مائة سوط ثم أقامه على البئر بنزع بالبكرة
وكان يوما شديد البرد فمات وقال الشعبي دخلت على يزيد بن هبيرة
فوالله لقد رأيت كلمة أرضى بها الله ولا أسخط خالقي فما قدرت عليها

ونظر رجل إلى أبي يوسف القاضي وعليه خلعة الرشيد فقال حتى إلى متى
عند دينك فإذا أفتى في زي قارون وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى
إلى داود عليه السلام يا داود إذا لم تطع كلامك فلا تنصب الكلب يعني
ينهون في عيني. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يكون في آخر الزمان
قوم ينهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون يأتون الفقراء ويقربون الأغنياء
ويبغضون عن الفقراء ويبسطون عند الأغنياء الكبراء أولئك الجبارون
أعداء الرحمن وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم العدل على الظالم
أشد من يوم الجور على المظلوم وروي أن عيسى عليه السلام بينما هو في
سياحاته إذ بفارس قد نزل على شاطئ نهر فأكل شيئا ثم ركب وانصرف
ونسي كيسا كان معه فأقبل صبي فأخذ الكيس ومضى ثم أقبل شيخ فتوضأ
وصلى وندم فذكر الفارس الكيس فرجع فلم يجد إلا الشيخ فسأله عن الكيس
فأنكر أن يكون وجده فتنازعا فانتزع سيفه فقتله فقال عيسى يا كريم إن
الصبي أخذ الكيس وقتل الشيخ فأوحى الله تعالى إليه إن الفارس قتل
ابا الصبي على الكيس والشيخ قتل أبا الفارس ولبعضهم

يا ذا الذي ليس له زاجر … عن ظلم مثل وكافيه
إنهم قوم إذا وعدوا … تواعدوا ثم عدا بالنية

الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
أثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر الله تعالى في هذه الآيات أصنافا أهل الكبر والعناد
والتقلب وأهل الحسوف وأهل الظلم والنشاهير ولم يعب سبحانه أحدا

منع

منهم إلا النمام في هذه الآية وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة في
الأقوال والعتل في اللغة الجافي وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف قال
ابن عباس رضي الله عنهما العتل الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير
العتل الشديد المنافق الأكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان
فلا يزن شعيرة وقال علي بن الحسين العتل الفاحش السيء الخلق وقال
غيره هو الجافي القاسي اللئيم العسير وقال مقاتل العتل الضخم وقال
الكلبي هو الشديد في الخصومة في الباطل وأما قوله تعالى هماز مشاء
بنميم فمعناه مغتاب يأكل لحوم الناس طعان فيهم وقال الحسن
هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة والزنيم هو الذي لا
يعرف من أبوه وقال حسان بن ثابت

وأنت زنيم نيط في آل هاشم … كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان أكثر أهل النقلة هو الرجل دعاه أبوه وقال غيره وبنحو الجيش

زنيم ليس يعرف من أبوه … بغي الأم ذو حسب لئيم

وكان أكثر النقلة يقولون هو الرجل ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة
فبهذا هاتان الفرقتان لا يكون نماما وفي نفسه شيء ولقد سعى
رجل برجل إلى بلال بن أبي بردة وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف
عنه فكشف عنه فإذا هو لغير رشدة يعني ولد زنى وقال أبو موسى
الأشعري لا يسعى على الناس إلا من له بغي وقيل الزنيم الذي له زنمة في عنقه
يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ومن ذلك قول الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد

Copyright © King Saud University

ابن عقبة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان
بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبي صلى
الله عليه وسلم ففزع فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم استبين امرهم بو
جه واما قاله كذبا فنزلت هذه الاية ووصفها الله تعالى بما منها ومن ذلك
قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فانظر الله تعالى بين السامع
والقائل في القبح وسوى بينهما في الذم ويكون فيه تنبيها على ان سامع النميمة
نمام في الحكم واما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنا مع حذ
يفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان فقال حذيفة سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي رواية اخرى وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول
الله قال من شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون
للناس العيوب ؛ وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال م
لعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون
كل قتات وملعون كل نمام والسعاة بالنميمة بين الناس يلقي بينهم
العداوة والقتات النمام والعتاب المغتاب يعيب بغيبه ويهزيه وروى
ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما يعذبان
في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من بوله واما الاخر فيمشي بالنميمة
ثم اخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرس في كل قبر واحدة فقالوا
يا رسول الله لم فعلت ذلك قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبر
كة يده صلى الله عليه وسلم واما السعاية الى السلطان وهي قولة ومكنة فهي الـ
المهلكة لغلظها لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولوم النميمة التغرير بالنفوس بالنفوس

والاموال

١٠٤

والاموال فالفرج في المنازل والاموال وتسلب العزيز عزته وتحط المكين
مكانه والسبب من منزلته فكم دم اراقه سعي ساع وكم من حريم استبيح
بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا ومن محبين تباغضا ومن متواصلين تبا
عدا ومن الفين تفرقا جرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته
الايام وتراخت عنه الافات ان يصيخ لساع او يستمع لنمام وروى يصيخ
ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ديوث ولا قلاع
والديوث الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدث بينهم
والقلاع الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقلع الرجل المكين عند ا
السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال كعب الاحبار اصاب الا
لناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى يستسقي
في بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى
اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال موسى عليه السلام
من هو يا رب حتى اخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة
واكون نماما فتابوا باجمعهم وسال الله عليهم الغيث وسعى رجل سعف نجران
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرك بقاتل الثلاثة فقال
عمر ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يوتي الامام بالحديث الكاذب فيقبله الا
مام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه والامام فقال عمر ما اراك ابعدت
ووجدت في حكم الفرس ما راى بعض الناس الى الله المشتكى قال الاصمعي
هو الذي يسعى باخيه عند الامام فيهلك نفسه واخاه والامام وذكر
السعات عند المامون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم اصدق ما يكون
عند الله تعالى وقال حكيم العرب الصدق زين على كل احد الا السعات فانهم

Copyright © King Saud University

وان الشاعي أكذوم وانمّ ما يكون اذا اصدق وروي ان رجلا سعا بجار له
عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد اما انت فتخبر ان لك جار سوء
وان شئت ارسلنا معك فان كنت صادقا ابغضناه وان كنت كاذبا
عاقبناه وان شئت تاركناك فقال تاركني يا امير المومنين فقال تاركناك
وليه ذو الاسكندر حبز وشا اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت
قبلنا على صاحبك بشرط ان تقبله عليك وان شئت اقلناك قال اقلني قال
قد اقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر ومن العجب انه لا يجب بعدله ان
الرجل يشهد عنده بما به تخلفا انقبله حتى تسل عنه اهو من الثقة والعدا
لة والامانة ام لا ثم يتم اليه بحديث فيه انهلاك وفساد الاموال فيقبله
وقال عيسى بن زيد للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سعى الشر اخيه
من سفاك دمعت عيناه وقال انا في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الا
خرة من ان اغم وقال رجل للزهري عندي نصيحة يا امير المومنين فقال
لمن نصيحتك هذه لنا ام لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك يا امير المومنين
قال الزهري ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح مالا من قبل السعاية ولا
يخلوا من ان يكون حاسد نعمة فلا يشفي غيظه او عدوا فلا يعاقب لك
عدوه ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس ان لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه
رضى الله وللمسلمين صلاح وروي ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل
فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية شر من السعاية لان السعا
ية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز ان نرى
فعل الشر مقرفان وروي ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها
هذه نصيحة لم ترد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن اثرنا على الله

واذا

وروي ان رجلا قال للمامون يا امير المومنين الله الله في اصحاب الاخبار
فانهم قوم ان اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا وان اعطوا امنوا وهم
كذبون وان حرموا غضبوا وهم كذبون فقال المامون لله دره ما هي
كلمة ما اصدقها وابين فضلها وامر ان تثبت في ديوان اصحاب الاخبار
وقال مروان بن زنباع العبسي يا بني عبس احفظوا عني ثلاثا
من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج في بيوتات السوء واستكثروا
من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو فان استكثاره ممكن وقال
بعض الحكماء احذروا اعداء العقول ولصوص المودة وهم السعاة
والنمامون اذا سرق اللص المال سرقوا هم المودات وقال حكيم العرب
اياكم والسعاة فانهم اعداء عقلاء ولصوص عقولكم يسرقون قلوب الود
ويعتلوا وفي المثل الساعي من الكلام الوا انشر ضيع الصديق وقطع الشجر
بالفوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل والقلب جرحه لا يندمل
واعوا الناس بر عارفا رسعته من هذه الخلال فقلته من هذه الحكم وا
لستوده عنده من هذه السير من اتاه الله سلطانا ومكن له في الارض فدما
جرى الغدولة اذا الطاع انوا قتي اهل العالم وكان بعض الحكماء يقول من
اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فليكن فاضلا كما يلعم لبنه
وبينهم ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود عدول فانا قد ا
صبنا بقول اقوام وابغضنا بقول اقوام فاصبحنا على ما فعلنا نادمين
ومن عجيب حكمة الله تعالى في النميمة حتى يفسق النمام حتى لا يقبل له
قول فيستوي في الخلق من شر له تعالى تعالى من شومها واستفظاعها لشرها
وعموم ضررها في الوري وقال ابن عمر وفد الدماج وو جبح الشيطان

Copyright © King Saud University

قوم يرسلهم السلطان الى الناس يسئلونهم عن حالهم ويحمدونهم اي
الناس راضون ويبعثوا براضين واعلموا ان الله خلق الانسان على الغذاء
شتى اضربنا عن ذكرها لكثرتها ويطول تتبعها فخلق تعالى له الحواس التي فيه
ولا عطاه الدافعة الرئيسة فمن افضل ما ركب الله فيه اللسان الذي هو آلة
النطق والبيان به فضل الله بينه وبين البهائم وفضله على سائر الحيوان و
وامتن به عليه في اول سورة الرحمان فقال بسم الله الرحمن علم القرءان خ
خلق الانسان علمه البيان ثم خلق فيه اعضاء تدال وتستلذ وجعلها مجرى
الفضول الشراب والطعام فمن تتبع سقطات الكلام وروى عثرات الانام
التي هي كالعورة الواجب سترها وانها كرفع السجل الشرابا للآن في
احسن المستعلات فقد ركس بالحسن ملطانه سوءة اخيه اذ جعل اكرم جوا
رحه لا قذر اخس نوم المستعرضين ورضي ان يكون في الناس كالذباب في الجيف
تتبع نقل الخبيث ويجاهر بفضيحة وقد كان في نشر المحاسن شغل وحظ اهل
كل في حالة اولى بها وفي هذا اصل الشكل ان لم تكن بحالة تصلح فلا تكن ذبابا
تقعد ومن لم يقدر على جمع الفضائل فلينكف فضلا بل ترك الذي لبالو اذ ا
فتتبع الاسماع عثرات الناس افضحهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
هم يوما بالخروج فسمع ناسا من اصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم
حذرا ان يفسد قلبه لهم ولو علم ولو علم الخبث نقل اخبار الناس ما
جنا على نفسه لعلم ان الصمم كان اهنا لحالة وانعم لباله من سماع ما
خبار النساء واهراقه فاذا علم ثقلة الاخبار نعا فقها عنده حملوا اليه الصدق
والكذب فيكون في سماع الكذب مثل قال الله تعالى فيه سماعون لد
للكذب اكالون للسحت وفي سماع الصدق والكذب خبال لا فيهم حرج للصدر

على الخلق

على الخلق معاداتهم واعيا لعثراتهم جمعا لسقطاتهم فقد وعى
منهم ما يجب ستره وحفظ ما يجب نسيانه فهم لا يقدرون على الانتقام من كل
فاعل لانه ان كان ذا قدرة اهلكته الوصية ثم لا يستطيع هلاكهم جميعا
وان كان شوقه لم يشف غيظه ثم اقبسه اخوانه وابغض من يجب حبه
واحب من يجب بغضه فلا يزال يحتمل الحسايف ويرث الاحقاد والضغائن
ويرتضي نكل قابل يوما يشفي غيظه فيه وما اغنى عن هذه البلية ولله در
عمرو بن العاص اذ قال الرجل وقد كان حالا يوما وقال له والله لا تفرغن لك فقال
له عمرو والله وقعت في الشغل يا ابن اخي

الباب الثامن والخمسون
في القصاص وحكمته

قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب يعني اذا علم القاتل
وقاطع السبل والقاتل انه يقتص منه احجم ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك سبب
حياته وحياة الخلق فهذه وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول ما يقضى الذي بين الناس في الدماء وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من خفيفة من حسناته لاخيه فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت
عليه وهو حديث صحيح خرجه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فكيف يؤخذ الظالم بذنب اقترفه المظلوم قلنا معنى الاية انه لا يعاقب
احد بذنب احد وانما في مسئلتنا فيمظلمة بقيت عنده وليس له وفا الا هذا
وهو الذي اكتسبها هذه الوزر وهو معنى قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم وروى ابو سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون
من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت

Copyright © King Saud University

اللهم صل على الحبيب محمد رسول الله

بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا روي أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليأت
حتى أقضيه من نفسي فقام سواد بن غزية فقال يا رسول الله إنك ضربتني
على بطني ليلة العقبة فأوجعتني فقال النبي عليه السلام دونك فاقتص
فقال يا رسول الله إنك ضربتني وأنا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله
عليه وسلم بطنه فإذا هو كالقباطي يعني ثياب مصر فأكب عليه يقبله
فقال يا سواد ما حملك على هذا فقال يا رسول الله إنك تلقاه هؤلاء
يعني المشركين فأردت أن يكون آخر عهدي بك أن أقبل بطنك فهذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر فعلمنا أن الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد
لأن الله تعالى أعدل من أن يدع مظلمة لأحد عند نبي ولا غيره وفي الحديث
يقول الله تعالى أنا الحاكم أن يجاوزني ظلم ظالم ويروى أن داود عليه
السلام يقدمه خصمه إلى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيجعل
إلى أوريا [illegible] ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا فينعم بعوض أوريا على
ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان فوجد غلاما يعلف
ناقة له فرأى في علفها شيئا فأخذ بأذنه وعركها ثم ندم فقال للغلام
قم فاقتص مني فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بأذنه ثم قال اعرك
وهو يقول شد حتى ظن عثمان أنه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص
الدنيا من قصاص الآخرة وروى عون بن عبد الله أن النبي عليه السلام
دعا خادما له فلم يجبه ربما كان في يدها فقال النبي عليه السلام لولا

القصاص

١٥٧

القصاص لأوجعتك وروى ابن وهب في موطئه عن ابن شهاب قال
وقد أقاد النبي عليه السلام والخليفتان من أنفسهم ليستن بهم ولم
يعتمدوا حيفا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روي عن أبي هريرة أن النبي
عليه السلام قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا متاع له ولا
درهم فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام
ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا في
فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن
يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم ألقي قال مالك
بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تعالى ضرب رجلا ثم ندم وقال
مالي ولهذا الأمر لأردت [illegible] عليهم وسمعته عن عائشة فأرسلت
إلى عمر فجاء عمر فقال له إني ضربت رجلا وقد كنت معافى من هذا الأمر
فقال عمر كنت راعيا إماما قال فما المخرج قال إن نال الرجل [illegible] فسله أن
يجعلك في حل فإن أبى فاستحلله [illegible] على أن الآمر والمأمور في القصاص
سواء إذا اجتمعا أحدهما على الآخر وأن الآمر [illegible] المأمور زال الأمر
في ذلك العفو وكان [illegible] يعني [illegible] المؤتمر عليهم حتى يتحاكموا
إلى السلطان إلا عظم وكان عمر يقول إنما بعثت أمرائي ليعلموا الناس دينهم
ويقسموا بينهم فيئهم ولم أبعثهم ليضربوا أبشارهم ويحلقوا أشعارهم
فمن ظلمه أميره فلا إمرة له عليه وفي حتى أقده منه فقال عمرو بن العاص
والله يا أمير المؤمنين إن أدب رجل رجلا من رعيته يقتص له منه فقال عمر
إنا أقتص منه وقد رأيت النبي عليه السلام يقتص من نفسه فإذا القصاص في
البهائم فاختلف الناس في حشرها وفي جرى القصاص بينها وقال ابن عباس

Copyright © King Saud University

يقول حشرها واختلف الناس في حشرها وحشر كل شيء الموت، أما
المعتزلة فترى أنها تتوافى يوم القيامة وقال معظم المحققين إنها
تحشر ويقتص لها وقال أبي بن كعب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر
كل شيء حتى الذباب وقال أبو هريرة وما من دابة ولا طائر إلا يحشر يوم الـ
القيامة ثم يقتص لبعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا واقرأوا إن شئتم
وما من دابة ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم إلى قوله يحشرون وكان أبو
الحسن الأشعري لا يقطع بإعادة البهائم والمجانين ومن لم تبلغه الدعوة
ويجيز أن يعاد ويدخلوا الجنة أو لا يعاد وإنه يدل على ثبوت الإعادة في الجملة
قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت وقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير
بجناحيه إلا أمم أمثالكم إلى قوله إلى ربهم يحشرون. روى مسلم في الصحيح
عن أبي هريرة أن النبي عليه السلام قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة
حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطحت شاتان عند
النبي عليه السلام فقال يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسـ
وسيقضي بينهما قال أبو ذر لقد تركنا النبي عليه السلام وما يقلب طائر
جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال أبو ذر إن الجماء لتسأل عن نكبة
إصبع الرجل وفي الحديث الصحيح مسلم والبخاري وغيرهما أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها
خوار على رقبته شاة تثغو ثم يبسط لها بقاع قرقر تطؤه بأظلافها وسه
وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه أخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال
أبو الحسن في خبر المقاصة بين البهائم إنها غير مكلفة ولا يجري عليها القلم قال
وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله عليه السلام يقتص للجماء من القرناء ونـ

وجعل

ويحتمل العود ثم يفوت العود وجعل على سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصي في
الحساب وأنه لا بد أن يقتص للمظلوم من الظالم وأباه الأستاذ أبو إسحاق
الإسفرايني قال في الجامع الجلي وفي الخبر القصاص بينهما قال ويحتمل أنها كانت
تعقل هذا القدر في الدنيا فلهذا جرى فيه القصاص قال وكلام الأستاذ
له وجه في الحقيقة لأن البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل للعلف
وتنزجر الكلب إذا زجر ويشاهد ذلك في السلوقي والنجم والوحوش في الجوارح
استوفى على الشرع فجاز أن يقع القصاص انتقاما وهو جزاء على جناية وقعت منها
لغيرها والبهائم ليست بمكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على العقلاء فضلا على البهائم وفي هذا انفصال عن قول
الأستاذ أنها كانت تعقل هذا القدر إذ لا يجب بالعقل شيء ويشهد له
قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب أنها ليست مكلفة
لأنها من ضرورة التكليف أن يعلم الرسول والمرسل ويعلم صدقه بصرائح
العقلاء وهم العقلاء وإنما لم تكلف كانوا في المشيئة يفعل الله بها
ما أراد كما سلط عليها في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه
ولذا أن يفعل في ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب وإذا جاز أن يؤلم البهيمة
ابتداء جاز أن يؤلمها بعد جناية منها والآية محمولة على من يعلم الرسول
والمرسل ويجوز أن الله تعالى خلق لها العلم الضروري بالعلم من ذلك ثم لم
يجعل عليها العلم في الدنيا لدفع الأحكام لكن يؤخذ بها بينها وفي
روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فإنها كانت
تنفخ على نار إبراهيم عليه السلام فجعلت عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه
دليل على أن الله يعذب في ملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى الحجر الذي فر بثوبه

وبنوا السواء من ينظر عورته رواه البخاري عن النبي عليه السلام قال خرج
بعطاء والحج يعرو موسى يقول ثوبي حجر ثوبي قال ابو هريرة والذي
نفسي بيده انه لندب في الحجر ستة او سبعة وروى في تفسير قوله تعالى وقود
ها الناس والحجارة انها زينة يكتب الناس في الدنيا وروى ان المسيح
مر بجبل يسمع انينه فسأل الله عز وجل فقال سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا ادري لا اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تاول بعض
قول ابن عباس من حشرها موتها بعثرة في العظام بينها ثم تصير ترابا فالله
وتاويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع والبعث موتها جمعها بل فيه تعريف
بفقه وتعريف اجزائها ثم قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر
الى الرب باعادة الحياة اليه وجمعها الى ربها جل وعلا

الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة

قال الله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقال
سبحانه امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال سبحانه ان
مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الاية قال النبي عليه السلام
ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي
نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين و
معنى ذلك انه لما عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما
معرفا ثم اعادته فهو ذلك واذا انكرته ثم كررته فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن ما له الزمان بلوى ... عظمت شدة عليه وجلت
وتلتها قوارع باكيات ... سئمت دونها الحياة وملت

مصطبر

فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا اذا توالت تولت
فاذا اوهنت قواه وهنت ... كشفت عنه جملة وتخلت

وقال ابن عباس اول ما اتخذ المنطق من قبل ام اسماعيل عليه السلام
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم عليه السلام
وابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة
فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد ولا ماء فوضعها
هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم
منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا
الوادي ولا انيس فيه ولا شي فقالت له ذلك مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له
الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم رفع يديه
ودعا بهؤلاء الدعوات وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضعه وتشرب من السقاء
فلما نفد عطشت وعطش ابنها وهي تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهة ان تنظر
اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت
الوادي تنظر هل ترى احدا فاجتهدت في السعي حتى جاوزت الوادي
ثم اتت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس فلذلك سعي الناس بينهما فلما
اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت
ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غياث فاذا هي بملك عند موضع
زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول

Copyright © King Saud University

تبحث بها هكذا وتغرف من الماء في سقايتها وهو يفور بعد ما تغرف فقال النبي
عليه السلام يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف لكانت عينا
معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن
هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله ومنها
قصة الثلاثة الذين خلفوا وذلك أن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع و
وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي عليه السلام عن كلا
مهم قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الأرض فما رحبت
فما نعرفها وكنت أطوف في الأسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني
أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول في نفسي هل حرك شفتيه
برد السلام أم لا فلما طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط
أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي
السلام فلما كملت خمسون ليلة من يوم نهى النبي عليه السلام عن كلامنا
صليت الصبح أنا على ظهر بيت من بيوتنا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى
قد ضاقت نفسي والأرض بما رحبت وما كان شيء أعظم من أن أموت فلا يصلي
علي النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت النبي فأكون بين الناس في منزلة لا يكلمني
أحد ولا يصلي علي إذ أنزل الله توبتنا وسمعت صوت صارخ في أعلى الجبل يقول تعلى
يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت أن الفرج قد جاء فخلعت
ثوبي على الصارخ بشارة ووالله ما أملك غيرهما ثم أتيت النبي عليه السلام
فسلمت عليه ووجهه يبرق من السرور فقال أبشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله
فقال النبي عليه السلام أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وروى أن إبراهيم
عليه

عليه السلام لما نشأ وخرج من موضع تربيته جن عليه الليل فرأى كوكبا فقال
إنها الزهرة وقال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا
قال هذا ربي فلما أفل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم
الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم
إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا
وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان يعني إلى
الإسلام ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء
علما أفلا تتذكرون قالوا يا إبراهيم إنا نخاف من آلهتنا أن تخبلك أو تصيبك
بسوء إلا تقوم له إن سببتها قال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم
أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم
تعلمون وكان آزر يصنع أصناما يعبدها قومه ثم يعطيها إبراهيم
عليه السلام يبيعها فيكسرها ويذهب بها إلى نهر لهم ويصبها فيه على
رؤوسها ويقول لها اشربي استهزاء بها وإظهارا لقومه فيما هم عليه
فبقي كذلك عندهم من غير أن يبيع ذلك لنمرود فأول ما بدا لقومه أن نظر
نظرة في النجوم فقال إني سقيم يعني من الغيظة عليهم وعلى أصنامهم
فظنوا أنه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون إذا سمعوا به فتولوا عنه
مدبرين فراغ إلى آلهتهم فدخل عليها وقد وضعوا لها طعاما وشرابا
فقال ما لكم لا تنطقون فأقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع
أيديها وأرجلها حتى صيرها جذاذا وأراق طعامها وشرابها وعمد
إلى فأس فعلقه في المتقدم الأعظم ثم خرج عنها وتركها وعند رجوع
قومه من عيدهم دخلوا بيت أصنامهم فلما رأوا ما صنع بها راعهم ذلك

Copyright © King Saud University

وعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال بعضهم قد
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قال النمرود فأتوا به على اعين الناس
لعلهم يشهدون فلما اتوني بابراهيم قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا
الى انفسهم فقالوا انا نعلمه لم يفعل فقد نسبته اليه ثم قال قد عرفوا انها لا تضر
ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون قال النمرود حبى
لسمع ذلك منه صعب في الهته الذي يعبدونه عوا الى عبادته فقال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي وأميت قال كيف ذلك قال آخذ
رجلين قد استوجبا القتل في سلطاني فاقتل احدهما فاكون قد امته
واعفوا عن الآخر فاكون قد احييته قال ابراهيم قال ابراهيم فان كنت
صادقا فاحي الذي امت اي بعد ما اخرجت روحه من جسده من غير ان تقتله ان
تقتله ان كنت صادقا فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت عند ذلك نمرود ولم يرد على ابراهيم شيئا وامر به الى السجن فلبث فيه
سبع سنين وجعل يدعوا اهل السجن الى الله تعلى والى الاسلام حتى نجم امره
وفشا واتبعه قوم كثير على دينه فلما ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع
رأيهم على ذلك بنوا حيرا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه الى صفح جبل
منيف لا يرام ولا يرقى وطلوا الجدار فلا يمشي عليه احد الا زلق عنه وا
وأذن نمرود ايها الناس احتطبوا لنار ابراهيم ولا يتخلف عن ذلك انثى
ولا ذكر ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك القي في النار
فعملوا في ذلك اربعين ليلة حتى ان المرأة لتجعل في ذلك نذرا على نفسها ان رجع

غائبها

١٦١

غائبها او افاق عليلها فلما كمل ذلك قذفوا فيه النار حتى كان يسمع
وهجها على المسافة البعيدة فلما فرغ من ذلك وضع ابراهيم في كفة المنجنيق
قال وهب بن منبه فبلغني ان السماء والارض والبحار وما فيها ضجت الى الله
تعلى بضجة واحدة وقالت يا ربنا ليس في الارض احد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته
فاوحى الله تعلى اليها ان استغاث بكم فاغيثوه وان دعاكم فانا وليه وناصره
فلما وضع في كفة المنجنيق وقذفوه في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل
اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار
فاوحى الله تعلى اليها كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما عن النار بها ولو
لم يقل وسلاما لمات من شدة البرد ولبث فيها سبعة ايام وظن قومه انه قد
احترق قال نمرود انظروا ماذا فعل ابراهيم فاذا رأيت الثنية الجدار
هذا الحير تهدم وخرج ابراهيم يمشي فاطلعوا على ابراهيم فرأوه صحيحا
سليما والنحاس الذي شد به باب الحير قد ذاب واحترق الحجارة فصار رمادا
وخرج الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رأوه خرج يمشي حتى قصد
امه وهي في الجمع وقعوا اليها واقبلت سارة وجلست وكانت اول من آمن به
وقالت ما امرهم وآمنت بالذي جعل النار عليك بردا وسلاما فقالت لها امه
احذري القتل على نفسك فقالت اليك عني فاني لا اخاف شيئا وانا قد آمنت بالله
ابراهيم والناس في جمع لا يحصى عددهم حول ابراهيم بل نمرود في عذابه
فارسل الله سبحانه وتعلى ريحا عاصفة فسفقت رماد النار في وجوههم
وعيونهم فعجزوا عنه وقام ابراهيم عليه السلام داعيا الى الله تعلى ومذكرا
به وقال مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليهما
السلام انطلق الى الفلا وبعد حتى يقال له ضح ولم يكن سليمان يدخل الفلا بجلالته

Copyright © King Saud University

به فخل الغلا وأعطى الشيطان خاتمه فالقاه في البحر فابتلعته سمكة وسلب
سليمان ملكه وألقى على الشيطان شبه سليمان فجلس على كرسيه وسلط على
جميع ملكه غير نسائه وجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون اقضيته حتى قالوا
قد فتن نبي الله سليمان وبقي سليمان أربعين يوما على حاله وهو جائع ضائع
حتى انتهى الى ساحل البحر فرأى صيادين فاستطعم احدهم صيدا فأخبره
سليمان فقام اليه فضربه بعصى وشجه في وجهه فاقبل يغسل دمه على ساحل
البحر ولام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوه سمكتين قد تغيرتا
عندهم ولم يشغله حاله وما كان من ضربه ان قام وشق بطونهما وغسلهما
فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذه وتختم به فرد الله عليه بهاءه وملكه
وصفت الجن عليه فعرف القوم انه سليمان فجاءوا يعتذرون اليه وروى
وهب بن منبه ان الله تعالى لما وهب لابراهيم اسحاق وبلغ سبع سنين اوحى
اليه ان اذبحه واجعله قربانا فكتم ابراهيم ذلك عن اسحاق وامه وجميع
الناس واسر ذلك الى خليله فقال له العازر وكان اول من آمن به من قومه يوم
احرق فقال له ان الله سبحانه رفع اسمك في البلاد على جميع اهل البلاد
حتى صرت ارفعهم بلية بين فعل الله بك لك اعلى المنازل والفضائل وقد
علمت ان الله تعالى لم يبتلك بذلك ليعنتك ولكن ليصطفيك فلا تسيئن بالله ظنك
واعوذ بالله ان يكون ذلك منك همامنك على الله سبحانه وسخطا لنعمه التي حكم
بها على عباده ولكن حسن ظنك بربك فان عزم ربك على ذلك فكن عند احسن عمله
بك ولا حول ولا قوة الا بالله فتعزى ابراهيم بقوله واستوثق بصيرته ورأيه عمه
وانطلق باسحاق ومعه سكين وحبل وادوات القربان حتى صعد به الجبل فقال
له اسحاق يا ابت ارى معك ادوات القربان وما ارى قربانا فقال له ابوه القربان رأى

بني

٣٣٢

يا بني بعين ربك ناظر اليه فان شاء آه وجم ابيه فلم يشعر اسحاق ولما
واتى اعلى الجبل قال له ابوه يا بني ان الله امرني بذبحك وبصيرك قربانا
بين ... الله اليه ويتقبله فانكرما لا ارى فتهلل وجه اسحاق الله
واستبشر فقال له ابوه لقد فجعتك يا بني بامر تجزع به والدتك ولد
وانه لا ارى من سرور لي بك وشكر لربك ما رجوت به العافية والفرج
فقال يا ابت من يكن يشق في الدنيا احب الي من تربه بطولها في وقد حزنه
ربها اذا اردت ذبحي فاشدد وثاقي في حبائه خلاف ان يتحرك عضو
مني فتؤذيك واكره ان اختلج لك عند فاذا امر عنقك من شأنه فاقرأ امي
السلام مني وقل لها لا تحزني فقد احرز الله لها ابنها في حياته تحفظها برؤية
من وصيته فعمد ابراهيم عليه السلام اليه فعصبه بعمامة منه ما بين سكينه
الى كعبيه ثم كبه على وجهه كراهية ان ينظر اليه فيرحمه اذا تشكى به
دمه ثم ادخل يده لتحت ذقنه فلما اراد ان يمرها على حلقه انقلبت بقوة
ذي الله ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم فهذا الذي وجد بينه له فالتفت
ابراهيم خلفه فاذا هو بكبش قد لوى قرنه يدب على ساق شجرة فاخذه
ووجهه الى مكة وكذلك قبلته يوم مذ ذبحه وقصبه اسحاق فلما فرغ
منه قربه قربانا تقبله الله اليه وتقبله وقال ابو هريرة رضي الله عنه لما
صار يوسف الى مصر واشتد بعد الحزن جزع جزعا شديدا واقبل يبكي
دائما البلاء والجزع الشديد على ابويه واخوته ووطنه وابتلاه بالرق و
واحتبس نفسه من تلك البلاد في عواربه ويقول رب اقدر حتى من اهل البلاد
التي فرقت بيني وبين اخوتي وابوي ووطني واجعل لي في ذلك خيرا وفرجا

ومخرجا من

ومخرجا من حيث لا احتسب وحبب الي البلاد التي انا فيها وحببها
لكل من فيها خلقها وحبب الي اهلها وحببني اليهم ولا تفتني حتى تجمع لي
الخير بيني وبين ابوي واخوتي في يسر منك ونعمة وسرور وتجمع لنا خير
الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاعلم يا بني ان الله تعالى قد استجاب
دعاءه واعطاه ما اراد وزين له البلاد وسكانها وجمع اليه ابويه
واخوته واهل بيته وكفى بذلك نفعا واعلم ان الله لا يخلف وعده وقد كانت
يوسف عليه السلام بمصر محبوبة لكل من دخلها لا يكاد ان يخرج منها قال
قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت نعمة ربه
عليه اشتاق للقاء ربه فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من
تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين **وبعث ووجه** سليمان بن عبد الملك
محمد بن يزيد الى العراق لاطلاق اهل السجن وقسم الاموال وضيق على يزيد بن
ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابي مسلم افريقية
واستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابي مسلم فاتي به في شهر رمضان عند
المغرب وفي يده عنقود عنب فقال له يزيد الست محمد بن يزيد قال نعم اما والله
لطالما سالت الله ان يمكنني منك ويعجزك فقال يزيد فوالله ما اجارك ولا اعاذك
ذلك وان سالتني قبض روحك ملك الموت لسبقته والله لا آكل هذه الحبة
حتى اقتلك فاقيمت الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم يصلي وكان اهل عمى
افريقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل بعمود فقتله وقيل لمحمد
ابن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير حكمة الله ارى
التي قد خفيت في عباده بطلوع الاجال من شعار الموت وحضور الموت من بعد

العجوة

١٦٣

العجولة **وروي** ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة وامتنع نومه فارسل الى قائد
البحر وقال له انفذ الان مركبا الى افريقية ياتيني بخبرها فعمر القائد المركب وارسله باخبارها
بعينه فلما اصبح اذا بالمركب في موضعه كانه لم يبرح فقال الملك للقائد الم
تفعل ما امرتك به قال نعم انفذت المركب كما امرتني ورجع بخبرها عند وسيخبرك
مقدمه فجاء ومعه رجل فقال له ما الذي ردك عما امرتك به قال بينما نحن في
جوف الليل والقوارب تهدر اذ نحن بصوت يقول يا الله يا غياث المستغيثين
يكررها مرارا فلما استقرينا صوته عثرنا عليه من راس البحر وهو ينادي يا الله
يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه لبيك وتوجهنا نحو الصوت فاذا بهذا الرجل
غريقا في اخر رمق من الحياة فاخذناه وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين
من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام فلم ازل اعوم حتى ايقنت بالموت ولم
اشعر الا بالغوث من ناحيتكم **واخبرني** رجل كان اماما بالجامع قال كنت
بصقلية في فتنة العدو وقد زحف الينا العدو في نحو ثلاثمائة سفينة
وارست على الساحل فراينا امرا مهولا وفينا الشيخ العابد ابن البيطار
فلجا الناس اليه واجتمعوا حوله يتبركون وينتظرون الفرج على يديه قال
فنظر الى السماء مليا ثم سجد وعفر بالارض وجهه وقلبها يمينا وشمالا
قال فوالله ما برحنا حتى هبت الريح ومزقتهم كل ممزق فلم يجتمع منهم اثنان
واخبرني ابو القاسم بن نهابيل رحمه الله قال عطش الناس في سفر لهم
ونحن في طريق الحجاز وعدم الماء فلم يوجد الا عند صاحب جمال وكان
يبيعه بارفع الاثمان فجاء رجل موسوم بالصلاح عليه قطعة مسح و
ومعه ركوة وشيء من دقيق وتشفع بي الى الجمال ليبيعه فابى له الا في
وكان قد بلغ مني العطش ثم عاود ابى فقال فيسك الرجل بجمعه بالارض وتشرب

عليه الله فيق ثم رمق السماء بطرفه وقال اللهم انا عبدك وهذا ولد
ذ فيقظ وما املك غيره وقد ابى ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك
لا برحت حتى اشرب قال فوالله ما برحنا حتى انشأت السحابة فامطرنا فشرب
الماء ولم يبرح مكانه رضي فقال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له
مطروح بالابواب لو اقسم على الله لابره **واخبرني** شيخ قديم كان يصحب الفقراء
بالقيروان يقال له جوهر قال اخبرني عبد الكافي انه كان يتحاجى قال رايت
ذات عشية وذلك ان رجلا جاء بصبي قد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى
الفقيه ابي بكر بن عبد الرحمن واخبره انه لا يتكلم له كذا وكذا منذ اياما فادع الله
ان يفرج ما به قال فدعا له ساعة ثم مسح على وجهه فاستفاق وقد
فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله ثم التفت الى جاريته وقال لها اكتميها على الموت وانت حرة فلما
كان يوم وفاة الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمن واحتفل الناس قام الرجل واسكت
الناس فسكتوا فقال يا اهل القيروان اسمعوا قصتي وساق الحديث كما ذكرناه
وحدثني ايضا قال نزلت عندنا بالقيروان فكنت اسمع فيما سلف مثلها
ذو ذا ان بعض الجزارين اضجع شاة ليذبحها فتخبطت بين يديه وافلتت
منه وذهب فقام يمشي في طلبها الى خربة فوجد فيها رجلا مذبوحا يتشحط
في دمه ففزع وخرج هاربا فلقي الاعوان والرجال يطلبون القاتل فاخذوه
وبيده السكين وهو يتلطخ بالدم فحملوه الى السلطان فقال له السلطان اقتلت
الرجل فقال نعم فما زال يستنطقه وهو يعترف اعترافا دون اشكال فامر به
ليقتل واجتمع الناس لقتله فلما هموا به اذ قال لهم رجل من الناس لا تقتلوه
انا قاتل القتيل فاخذوه وحملوه الى السلطان فاعترف فقال له السلطان قد كنت

معافى

٣٦٤

معافى من هذا فما حملك على الاعتراف فقال رايته يقتل حتما فكرهت
لقاء الله تعالى بدم رجلين فامر به السلطان فقتل ثم قال للاول ما حملك على
الاعتراف بالقتل وانت بري فقال فما كنت اصنع رايت رجلا مقتولا في
الخربة وانا خارج منها والسكين بيدي ملطخة بالدم فظننت ان انكرت من
يقبلني وان اعترفت من يخوفه فخلي سبيله وانصرف **وتقلد الوزير** فخر الملك
لسنجار الملك وكان فخر الملك ابن عم يقال له شهاب وكان يخامره على فخر الدولة فقال
للملك سنجار لا حيلة في ما دام يقتل ابن عمي شهاب فاباه له سنجار فما زال
يراجعه الى ان امر بحبسه في بلد يسمى بهمذان والبيه بكرمه فجعل الله ود
وجلالة اهل بيته واخلى له دارا مشرفة في القلعة وان فخر الملك جعل يحمل
سنجار الى الوالي يأمره بقتل شهاب فاستعجز له الوالي واخره اياما ثم عزم
على قتله في يوم جمعة ولم يقدر يذكره له فبينما شهاب الملك يتطلع من بعض
الطاقات في داره وقد احتفل بالصلاة اذا بفارس يركض فخاف منه وقال هذا
يريد قتلي فوصل الفارس وقال مات فخر الدولة واطلق سبيل شهاب الملك
ووزر لسنجار عوضا من فخر الدين **واخبرني** ابو الفضل المغترب بمصر قال كان
بعض ملوك الصحراء [illegible] بمصر … وكان يشكو القولنج فاعيا الاطباء
علاجه ولم يوجد له طبا ثم ان السلطان احتال في قتله بان دس اليه رجلا بسكين
فلما طار في بعض … وثب عليه وضربه اسفل خاصرته فوافق القيء
المعى المسمى بالقولون فخرج ما فيه من الخلط ثم عالجته الاطباء فبرئ وبرئ
احسن ما كان **وقد كنت** بالاسكندرية اذ نزلت سفن العدو بساحل
مدينة برقة فاخذوا سفينة للمسلمين وقتلوا بعض من فيها واسروا بعضهم
وفيهم رجل قد شد كتافه من خلفه فلما انتهبوا السفينة عدوا اليه بعضهم

Copyright © King Saud University

بأخاه

الا علاج فأخذه والقاه في البحر ثم طعنه برمح فصادف نصله حبل
الكتاف فقطعه فانطلق الاسير وسبح حتى بلغ الشاطئ فتخلص ووصل الى
الاسكندرية في عافية **واخبرني** بعض الثقات ممن اثق به ان رجلا خبازا كان بمدينة
دمشق فبينما هو يخبز في تنوره اذ مر به رجل يبيع المشمش فاقبل يأكل ما
يخبز الخباز فلما فرغ غشي عليه ثم نظروه فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به
ويستدعون له الاطباء فيلتمسون له دلائل الحياة فقضوا بموته فغسل وكفن
وحمل الى الجبانة ولقيهم عند باب المدينة رجل طبيب يقال له اليبرودي
وكان ماهرا حاذقا بالطب وسمع الناس يخوضون في امره فقال لهم حطوه
حتى انظر اليه فحطوه وجعل ينظر اليه ويقلبه ويتأمل دلائل الحياة فيه بالحيلة
ثم فتح فاه وسقاه شيئا وقال حقنه فانه دفع ما هناك فسيله فاذا هو قد
فتح عينيه وتكلم وعاد الى ما كان عليه حاله **وكان رجل** يمشي ببغداد
في بعض طرقها اذ وقعت دار عليه كالجبل العظيم فوقفت رأسه كالقدح في
حائطها فما امكنه وطار الغبار ثم ازيل الركام واخرج من الكافة سالما **وحدثني**
ابو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في ارض الحبشة فمضى بي الى اميرها
فامر بقتلي واخرجت ليقتلوني فغطوا عيني بالثياب ثم قال بعنقي فجعلت
وقفت دونه يا هذا تجز على هذا فانه بخارج من الفضل لا تقتلوه فخلى سبيلي
وكانت بقرطبة قصة غريبة في زمن المنصور بن ابي عامر وهو ان ابا القاسم بن
محمد الشبلتيني شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور في جملة من الذين
كانوا معروفين بالاتهام في الزندقة وكانوا من اعيان قرطبة والنداء
عليهم في كل جمعة في الرصافة فيها باب جامعها الاعظم من كانت عنده شهادة
فيهم فيؤديها فثبت على ابي القاسم بن محمد سجل عند القاضي ابن الشهيد بشهادة

البينة

البينة بانواع من المناكير تشهد بالزندقة والكفر ثم احتفل الناس في القصر
في مجلس عظيم واستفتي الفقهاء فيه فافتوا بقتله واستحضر ابو القاسم وابوه
ابنا القاسم صغيران وقد لبسوا ثياب الحداد واحضر ابوه تعسا وهما ينظران وهو
وهو يبكي وبنوه يبكون على باب القصر وقد عصي نضر عنقه ليأتي بحرف ما يبين الحسنا
وقد قرب اليه عدة اطباء من القصر فجعل يهزها ويتأمل شعرها وابوه وهيئته
ينظرون اليه واتفق حضور الفقيه ابي عمرو بن المكوي الاشبيلي على كره
وكان يلا بالى بعض ما يستقبلونه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تستباح الا بالحق الواضح
دون شبهة واصبروا فاستقروا فربما كنتم تقتلونه فقال القاضي فما
ثبت عندي وامعنت النظر فيه فقال الفقيه او فقه عليه ما اخذه واد
وتامله فقال له اخبرني بمن تقتله من هؤلاء الشهود فقال بهذا وبهذا
حتى عد له خمسة فقال له تجمعهم تقتله قال نعم قال فهو تشهد منهم اثنان
خاصة اكنت تقتله قال لا انما قوي بعضهم بعضا وزكى اكثرهم عندي
فالتفت الفقيه الى الفقهاء المفتين وقال يا هؤلاء بالله عليكم ايقتل
المسلمون عندكم بهذا او اين ترى قتله ولا انتهى به فرجع الفقهاء الى قوله
ولم يوجبوا عليه شيئا بعد ان افتوا بقتله من شدة الشهود وانقض الجمع
وسمع الناس السبب وذهب ابتنشي الى ابن ابي عامر فخبره بالمجلس فقال الحاجب
عام ارخص قتل الشبلتيني في فتنتم انما في فتح اجتهدها الله بزوالا فاتل
لموجب يحبس ايامه ثم اطلق فكان الفقيه ابن ... يقول للقاضي في مثل
هذا قال القاضي اذ سيل بمعرفت الله قال ينقضه عن ابي ... ويعلى الله عليهم
بطرق الفقه انه من تواتر منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قتل به فاذا
كثروا قوي بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم **وفي بعض** هذا حديث

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد ...

أبو مروان الحذاء بطرطوشة وقد ولي قضاءها وحدثته أكريوما أن قافلة
نزلت بقرية خربة من أعمال ... فجعلوا يلوح ... ليسكنوا فيها من الرياح
والأمطار وقد استوقفهم ... بروا عيشهم وكان فيها سقف ... فأراد
أن ينقض فقال رجل منهم لسائرهم يا هؤلاء تنكبوا عن هذا الغرر ولا تدخلوا
هذه الدار فأبوا إلا أن يدخلوها وبات المحذر لهم خارجا عنهم لم يفارق المكان
ثم إنهم أصبحوا في عافية وارتحلوا فحركته أداة دخل الرجل الخربة ليحملها
فالتأت فانخر عليه السقف فمات وبلغني عن بعض الفقهاء أن جيشا من الجيوش
كان بصقلية يتحول من مكان إلى مكان فنزلوا في بعض شأنهم بدار فعقرب ...
فضرب بعضهم فعرعنه ثم انتشا لها إلى عنقه فإذا بها قد نشبت بأحد
... ولا يستطيع قلعها في عنقه فمات مكانه وأخبرني أبو الوليد الباجي
رحمه الله عن أبيه قال كنت أقرأ الحديث على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد ...
فبينا نحن ذات يوم ... إذ جاء رجل من [illegible]
بالعطر على ... فأعطى الشيخ عشرة دراهم ليشتري له ...
... فوضعها في ... يسقط ... ويعرف ما
كان فيه فجعل يبكي ويجزع حتى رحمناه فقال له الشيخ أبو حفص صاحب
الله كان ... بعض الأسباب قال نعم فنزل وجمع ما قدر له منها
وجبر ما نقصه ثم أقبل عليه يصبره وينهاه عن الجزع فقال له لا تحسن جزعي
لما ضاع لي ... أني كنت في قافلة فضاع هميان فيه أربع مائة دينار أو
أو أربعة ... ومعها فصوص قيمتها ... لي فما جزعت له
لضياعها ولكن جزعي أني ... مولود والعشيرة يحتاجون ... منه
ولم يكن ... سوى العشرة دراهم واشفقت أن ... يحتاج إليه مما ...

ولا راس مال لي

ولا رأس مال لي ولا قدر على التكسب فرأيت شراء شيء ... تحلها ...
ويحل لتقضي منها ما أمد به رمق أهلي ويبقى لي رأس مالي أتجر به فلما شاء
الله ضاعت جزعت لأني لا شيء أرجع إليه ولا بقاء بها أتجر به ولم يقل
... منهم وتركهم على حالهم يهلكون بعدي قال الشيخ أبو حفص وكان
جندي جالسا على باب داره فقد شاهد القضية فرغب للشيخ أبي حفص في ...
معه إلى داره إذا فرغ من أمره فقام ودخل وظننا أنه يعطيه شيئا ثم دخلنا داره
فقال للعطار لقد عجبت من جزعك فأعلمني قصتك فأعاد قصته عليه
فقال له وكنت في القافلة قال نعم وكان بها من أعيان الناس فلان وفلان وعلم الجندي
صحة قوله فقال له ما علامة الهميان وهل من موضع ضاع منه فوصف له المكان
والعلامة فقال له أتعرف ... قال نعم فأخرج له هميانا ووضعه أمامه فلما
رآه غشي عليه فلما أفاق قال هذا هميان ... فيه من الأحجار ...
صفاتها كذا وكذا ... فوجدت الأحجار كما ذكر فقال الجندي
بارك الله لك فيها فقال له ... فيه من الأحجار مثل ... وأكثر ...
... فإن تطيب نفسي ... فقال ما كنت لآخذ على أمانتي شيئا ...
وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء ثم بكى الجندي بكاء شديدا فقال
له الشيخ أبو حفص ... وقد ... إنما ... كثيرا
... فقال ما بكائي ... وإنما أبكي أني
أجلي قد قرب فإنه ما بقي من أجلي ... صاحب الهميان
فلما كان بعض ... أجلي قال الشيخ أبو حفص ...
انقضى الشهر حتى دفناه رحمه الله وحدثني أبو القاسم بن ...
قال ... بالموصل ... وهذا ... والعار وانتظار ...

غريبة كان ساكن الموصل رجلا تاجرا يسافر بالتجر الى الكوفة فبينما هو على
حماره وتحته خرجه فيه خزه اذ نزلت القافلة فاراد ان يحطه على الحمار فلم
يقدر لثقله فامر انسانا منهم ان ينزله معه ثم جاء غريب فكر فاستدعاه الرجل
للاكل فاجابه ثم سأله عن امره فاخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر يجهد دون
زاد فقال له تكون معي وتعينني على بعيري وطعامك عندي فقال انه حريص على
خدمتك ويحتاج الى الطعام فسار معه يخدمه على حسن حال حتى وصلوا الكوفة
فنزلت القافلة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال له خادمه
ارحل حتى ادخل واشتري حاجتي ثم قضاها حينئذ ودخل ابطأ ثم خرج فلم يجد
الرفقة ولا صاحبه فظن انه رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل اليها بعد
جهد فسأل عن صاحبه فقالوا ما جاء ولا رأيناه ولكنه وضع اسبابه على الحمار
ودخل المدينة على اثرك ولكننا امرتنا بحملها فرجع الى الكوفة وسأل عنه فلم
يجد له اثرا ولا سمع له خبرا ثم يئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال
فرجا ها نهارا جاء عريانا جائعا مجهودا فتعجب عن الدخول نهارا حياء
منه وخوفا من شماتة عدو وتحزن صديق حتى امسوه خرج(؟) بباب داره صح بين
فقيل من هذا فقال فلان يعني نفسه فسروا به ما حضهم اليه وقالوا له الحمد لله
الذي جاء بك على حال ضرورة وفاقة فقد طال صبرنا واحتاج اهلك ودخل
نفسنا فوردت اليوم والله ما وجدنا شيئا نشتري به شيئا لنا فقد ما لنا
كاوية على حالها فانظر فيوم هو نصبح به فلا سراج عندنا فزاد غمه
وكره ان يخبرهم بحاله فيحزنهم فاخذ وعاء للدهن وخرج بالليل فيه وخرج
الى بعض الحوانيت وكان فيه رجل يبيع الزيت والدقيق والعسل وقد اغلق
دكانه واطفأ سراجه ونام فناداه فاجابه وعرفه وشكر الله على سلامته

فقال له

فقال له التاجر اسرج مصباحك وزن لي زيتا وعسلا ودقيقا اذ هيئت
اليه البضاعة وكرر الاخبار بتاخير الشرابة يمتنع منه فقدر نادى الحجيز
واستصبح فقال زن لي من الدقيق كذا ومن الزيت كذا وكذا ومن العسل
كذا ومن الشمع كذا ومن الملح كذا ومن الحطب كذا فيوم بحاله نزل الليلة
ثم التفت في قعر الحانوت فرأى خرجه فلم يتمالك ان وثب عليه والتزمه وعلى
بالبكاء وجثا به فقال له البياع ما لك قال عملك منعني يدوا اعلم ان جئت
غنيا ولا على سوادك فقال هذا خرجي متى له به خادم في جميع مالي
وبحماري فقال ما اعلم غير ان رجلا ورد علي بعد المغرب واشترى مني عشاءه
واستضافني فاضفته وجعل هذا الخرج في حانوتي والحمار في دار جاري والرجل
في المسجد بايت فقال له احمل الخرج معي وانهض الى الرجل حتى يرفع الخرج
معه على عاتقه ومشيا الى المسجد فاذا هو نائم فما ايقظه فقام مذعورا فقال
مالك قال ان ما جئنا به قال اعلى رسلك والله ما تعود رمية بحدة قال فاين الحمار
والله قال هو عند صاحبي فنهض الى داره فوجد ماله سليما واستخرج الحمار
من موضعه ووسع تلك الليلة على عياله واهله واخبرهم بقصته فازدادوا
فرحا وسرورا وتبركوا بمولدهم ولقد وفى موسى عليه السلام لصهره
شعيب عليه السلام الاجل الذي جعله ان يرعى موسى غنمه عوضا عن مهر ابنته
اخذ موسى اهله وكان قد اجتمع من نعما وافي وادي المغرب من عشر جانب
الطور اجنهم ظلام الليل فبينما هو يمشي اذ ضرب اهله الطلق وكانت
حاملا ولم يكن عنده ما يحتاج النفساء من الغذاء واصلاح لباسها فيقول
في ضيق من الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلتفت يمينا وشمالا
ويلتمس فرجا لها اصابهم من الحزن فرأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا

Copyright © King Saud University

لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتيها وقد طاح رعبه
وخرج قلبه ويئس من الحصول على ما قصد نودي من شاطئ الواد الايمن يموسى اني انا ربك
وهذا كله اخبار سبحانه ثم شتتها امره ورجا بفضله وتكلم بالهدى والبشرى
فعسى له امله واعطاه فوق ما امله فهذا موسى عليه السلام خرج يقتبس
نارا فنودي بالنبوءة وهذا قال علماؤنا ليس في تحصيل الخير والشر الا
في انواع الاعمال وان عظمت اعلا من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض
الشعراء فقال

ايها العبد كن لما لست ترجو ... من نجاح ارجا لما انت راج
ان موسى مضى ليقتبس نارا ... من ضياء رءاه والليل داج
فاتى اهله وقد كلم الله ... وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد ... دنا منه ساعة الانفراج اشتد

ولقد نزلت بعض البلاد وساحل افريقية في عدد كثير نحو ما او هم عطشوا
وايقنوا بالهلاك اذا استنفد المسلمون ما في خلق عظيم من السواحل والحضور
ومنعوا اهل النزول لاستسقاء الماء وسالوا المسلمين ان يتركوهم للماء فراده
عطشهم ولم يشكوا في الهلاك ثم نشروا اناجيلهم ودعوا وتضرعوا الى الله
سبحانه في الاستسقاء فما لبثوا حتى انشقت السماء بمطر كثير ايبس
فسقوا اناجيلهم وشربوا هم والانعام وملئوا اوعيتهم فبكى المسلمون وقالوا
لوا هلكوا اعداء الله وسالوا ما يحيوا به رمقهم فاغاثهم ونحن احق باذه عاده ولا
والتضرع الى الله ولو بالاجابة منهم ثم اخذ المسلمون في الدعاء والصلاة
ولا بتهال الى ربهم اية يقوى بها قلوبهم وقلوب الضعفاء ويزداد شكر
اهل المعرفة والاولياء منهم كذلك الى ان رحم الله عليهم فغاثهم ومن فتنهم

م

١٦٨

في جميع منهم اثنان ومن عجائب صنع الله في هذا الباب اني
وجدا جاء الي بيت المقدس من ارض المغرب وكل من ضرائبه ودخلت عنه عدس
من اجل الطعام في جيا ثمه ورام خروجها بكل حيلة ولم يقدر يتركها ومضى
ثم رجع الى بلده فبينما هو جالس اذ عطس فخرجت الحبة فالتقطها كان
في العين فبعض من حضر انه هذا الرجل جرى اليوم هذا لطبه على بعض اهل
الشفقة وطول المسافة واما غربي فخرجت من بلدي واردت الرحيل الى
المشرق لطلب العلم فجزعت من الخروج وكنت اقول ان ذهبت نفقتي ماذا
افعل لانكنت لا اعرف التجارة ولا يد حرفة ارجع اليها وكان اقوى املي
ان احفظ البضائع بالنهار بالاجرة واقرا العلم بالليل ثم اني استخرت الله
في الرحيل وكانت نفقتي وافرة في تكتي ولم ازل اسمع الناس يقولون نام
بالليل فقد عنده نفقة فيجعلها بان اللصوص قد راوا اساك الناس عند
خروجهم عليهم فخرجت من تونس الى انطاكية فاخذتني عيني
وحللت تكتي ونمت فلم استيقظ الى ضحى نهار ومددت يدي الى تكتي
فلم اجدها فجعلت اتامل وجوه الناس في القافلة وقد سقطت ما في يدي
ونفدت حيلتي فاسترجعت ورفعت امري الى الله سبحانه واذا رجل من
اهل الرفقة قد واجهني يضحك لما راى ما بي ثم قال ما لك ايها الفقيه فقلت
خبر ما جعلني فقلت خبري فقام الي فقال خذ هذا فناولني اياه عاجلا الله فسالته كيف
ظفرت به فقال رايته فوق تراب حتى نحوه راحلا اولادا انه فرايت سوادا في
موضع منامك فاخذته فاذا هو كيسك فرحمك الله تعالى علينا وعليه
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما

الباب الموفي ستين في الشجاعة

Copyright © King Saud University

فيه

ونقص تهاة بها والخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضائل من فقدها لم تكمل فيه
خصلة وهو يعبر عنها بالشجاعة ويعبر عنها بقوة النفس قالت الحكماء اصل الخير
كله في ثبات القلب ومنها تستمد جميع الفضائل وهي الثبوت والقوة على ما يو
جبه العقل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة
حالة متوسطة في الجبن والتهور وسئل راهب عن الشجاعة فقال صبر ساعة
وسئل ابو جهل عن الصبر فقال الصبر على حد السيوف بواقي ناقة وهوما بين
الخشين واعلم ان الفار من القتل يهرب له الموت تحت من اشتد بارك وقد قال
ان في حيلة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحيوة وقالوا ان
الهزيمة شعرة من شعار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عنها
وقال ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا اكثر
ممن قتل مقبلا وقالوا الجراءة جل حصن المحارب وقيل لبعضهم في اي سلاح
تحب ان تلقى عدوك وقال في اقبال حتفي وانقضاء مدته واعلم ان الشجاعة
لمن كانت له مدة واذا انقضت المدة كانت المهلكة في الحيلة واعلم
ان كل كراهة تدفع او مكرمة تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى
انك اذا هممت بفعل شيء من سالك اخرته بعد ووهن قلبك وعجزت نفسك
بان حققت عزمك وقويت نفسك وقهرت عجزك اعطيت ما هممت به من ما لك
بعد قدر قوة القلب وضعفه تكتسب نفسك باخراجه او تكره اخراجه وعلى هذا
التمسك جميع الفضائل لان تفارقها قوة النفس لم تتحقق وكانت مخدوجة وروى
ان الرسول عليه السلام قال الشجاعة والجبن غرائز يضعهما الله فيمن يشاء
من عباده فالجبان يفر عن ابيه وامه والشجاع يقاتل عمن لا يئوب به الى رحله
وبقوة القلب يبادر امتثال الاوامر وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ

بالرذائل

بالرذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على اذى الجليس وجفاء الصاحب وبقوة القلب تتلقى
الكلمة العوراء والفعلة الدنية من جاهل وبقوة القلب يصبر على اخلاق
الرجال وبقوة القلب تنبعث كل عزيمة وروية او جمعها العقل والحزم وبقوة
القلب يتخطى الرجال في وجوه الرجال وقلوبها مشحونة بالضغائن وان احقاد
كما قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه انا لنضاحك اكيادا نرى فضحكنا وليس الحجة
والشجاعة وقوة النفس ان يكون مضاربا في المجال محوجا به الابطال ولا ان
يكون جلدا عند الصبر صبورا على التعب مصمما على التغرير والتهور فان
هذه من صفات الحمر والخنازير ولكن ان يكون صبورا على اداء الحقوق
التي عليها صبورا على سماعها والقائها لله غالبا لهواه مالكا
لشهواته ملتزما للفضائل جاهدا على ما الحق دالا على الحقيقة التي لا
يحيد عنها حياة ولا موتا حتى يكون غير محمود كاعلى الخير الذي ابتدا
به العلم واوجبه العقل خيرا من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعقل
كما قال علي رضي الله عنه لحسن يا بني وسايرة البولد لو ان الخلق غالبوه
لما اذا اكان على الحق وهذا الخير كله تحته لا بعد الموت وعن هذا قال
حكماء الهند اذا لم يكن للمرء من نفسه معين كان في جميع اموره
ضعيفا مخذولا واعلم ان الجبن مقتلة والحرص محرمة والجزع ذل والجبن
ضعيف والجبان معين على نفسه يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه والسم
والشجاع يحمي من لا يناسبه ويقي مال الجار والرفيق بمهجته والجبان

يخاف ما لا يحسن به والجبان حتفه من فوقه وقالوا الشجاعة عند اللقاء
على ثلاثة أوجه رجل إذا التقى الجمعان وتقارب الزحفان وتكحلت الأحد
اق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثا
ني إذا ناشب القوم وصاروا أخرجة مختلطين ولا يدري أحد من أين تأتيه
الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش
ولا خالطته الحيرة فينقلب تقلب القادر على نفسه المالك لأمره والثا
لث إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجه العدو ويحول بينه
وبين أصحابه ويرجي الضعفاء ويقوي قلوبهم ويعدهم بالكلام الجميل
ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه
كشف عنه حتى ييأس العدو منه وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قا
لوا القتال من وراء الفارين كالمستغنم من وراء الغالبين ومن كرم
الكريم الدفاع عن الحريم وقالوا لكل أحد يوما زكاة منهما أحدهما
لا يعجل عليه والثاني لا يقصر عنه فعل الجبان والفرار **وكان شيوخ** ا
لجند يحكون في بلادنا أنه كان حرب بين المسلمين والكفار ثم
افترقوا فوجدوا في المعركة قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما
حوته من الرأس فيقال إنه لم تر قط ضربة أقوى منها **وكان شيوخ** ا
لجند يحكون أنهم خرجوا في أيام سيف المملكة في سرية الى بلاد العدو في بلد
فبينما هم يسيرون إذ لقيتهم سرية للروم يريدونا ورمنا ما تريد منهم فلـ
تراوغوا بعضنا بعضا وكان في القوم صناديد الروم وكان فينا صناد
يد المسلمين فتنوا فقتلنا ساعة ثم تشددنا وتشددوا فالتقينا وتجالدنا ساعة حصيرا
ثم منحنا الله أكتافهم فجعلناهم حصيدا كأنهم جذوع النخل وكا

وكان

وكان هنالك قرية فقدمهم فيها فنزل ومن الغد فشربنا وسكرنا ثم اشتهينا
شرائح اللحم فقعدنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا ففزع من كان
أسرنا منهم وبلغ الحديث الى بلاد النصرانية فانقلبت النصرانية فخيما منا و
قذف الرعب في قلوبهم **وروي** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو
ابن معدي كرب فقال عمر وأي السلاح أفضل في الحرب قال فعن أيها تسأل
قال ما تقول في السهام قال منايا تخطئ وتصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك
وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر قال
فما تقول في السيف قال هو لك لا أعداك وكان عمرو من شجعان العرب و
أبطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه إني عابر على العجم
فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء
وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وإن أبطأتم وجدتموني قتيلا
بينهم ثم حمل على القوم فانغمس فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد على ما تد
عون صاحبكم والله إنا نرى أن ندركه حيا فحملوا فانتهوا اليه
وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس
ليضربها فما يقدر الفرس أن يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلا فرسه
فركب عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني قالوا أين فرسك قال
رمي بنشابة فشب ووقص علي **وروي** أن عمرا حمل يوم القادسية
على رستم وهو الذي كان قدم مع يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على
قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستم على فيل فحزم عرقوبه فسقط رستم
وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم
وانهزمت العجم وروي أن قاتل رستم هو هلال وأنا أظن بذلك هيبتها

التي هلاوت تلك البسطة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثلها في جاهلية
ولا اسلام يحملونها الروم ويعلقونها في كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بباه
تهزامهم يقولون لقينا رجالا هزا ضربهم فمن هل ابطال الروم اليها ليروها
وانما كانت العرب تفخر بهذا الباب بقول النمر بن تولب يصف ضربة سيف

> ابقى الحوادث والايام من نمر · اسباد سيف قديم اثره بادي
> تظل تحفر عنه ان ضربت به · بعد الذراعين والساقين والهادي

ويتمثل قول النابغة

> تقد السلوقي المضاعف نسجه · وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وان من هذا من رفع الحديد بما حواله من الرأس وان الثريا من الثور وان الحسام الثور
من يتحلون ولولا كراهة التطويل لذكرنا من امثال هذا ما فيه العجب وقد
قالوا السيف ظل الموت والسيف لعاب المنية والرمح رشا المنية والسهام
رسل لا تؤامر من ارسلها والرمح اخوك وربما خانك والدرع مشغلة لمن
للراجل متعبة للفارس وانها لحصن حصين والترس مجن وعليه تدور
الدوائر

الباب الحادي والستون في
ذكر الحروب وتدبيرها واحكامها

واحكامها ومن حزم المدار لا يحتقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه
وان كان حقيرا وكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

> فلا تحقرن عدوا رماك · وان كان في ساعديه قصر
> فان السيوف تحز الرقاب · وتعجز عما تنال الابر

وفي الامثال لا تحقروا الذليل فربما تشرق بالذباب الجليل ومثل العداوة مثل
النار

النار ان تداركت اولها سهل اطفاوها وان تركت حتى تستحكم ضرامها
صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثاله ايضا مثل الفرخ الجليل ان تداركته
سهل برؤه وان اغفلته حتى تعاظمت بليته واعضل الاطباء برؤه واعجز واعجز
ان الناس في وضع تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيه ترتيبا وقد يستغني شاهد اهل
زماننا اليوم اذ لكل امة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضروب من
المكيدة وجنس من الحفاء والكر والفر وتعبية المراكب وحمل بعضهم ولكن
نحن منه اشياء تجري مجرى المعارف ولا تكاد تختلف فانها زينة الحروب
فينبغي له بما ذكرناه تعالى قال الله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
الاية فقوله سبحانه ما استطعتم مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة
والالة والحيلة وقد فسر الشرع القوة بما على ذكره يرموه فقال الا ان القوة
الرمي وكان بعض الصحابة اذا اراد العدو لا يقاتل القتال ويتركها عزة
ويراها قوة فاول ان تقدم ذلك بين يدي القتال عملا صالحا من صدقة وصيام
ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وامر بمعروف وتغيير منكر وامثال
ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يامر بذلك ويقول انما تقاتلون
باعمالكم وروى ان يزيد لما ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر في اي
وقت لقيتم العدو فقال غدوة قال وفي اي وقت فتح قال عند الزوال فقال
انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال لقد
احدثتم بعدي حدثا والشان ركل الشان في استجادة القواد وانتخاب اهل
الرأي واصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم اسد يقوده ثعلب خير من
ثعلب يقوده اسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة
والنجدة والشجاعة والجراءة ثبت الجنان صارم القلب جريء رابط الجاش

صاحب قوته في الحرب وما رأى من الرجال وما رأى في سوله ومنازل الأقران ومصارع
الأبطال عارفا بمواضع الفروض فيها بمواقع القلب والميمنة والميسرة من
الحروب وما ينبغي أن يجعل فيها من الخيالة والأبطال من يليه بصفوف العدو ومواقع
الغرة منه ومواضع الشوكة منه فإنه إذا كان كذلك وصار لكل حرب رأيه كان جميعهم
كأنهم مثله [illegible] لعواقب الكتائب وجهاد أهل الثغور للزوبية واعلم أن الحرب خدعة
عند جميع العقلاء وأخذ ما يجب ركوبه فيها للكتائب وحيل الجيوش بعضها على
بعض وينتدب بنصب الحيلة في نيل الظفر ما لا ينصر من بطل رابط [illegible] خراسان من قبل مروان
الجعدي احتمل لهم في ابنه فقال كان عظماء الأوائل يقولون ينبغي لمقابر العظيم
القيادة أن يكون فيه عشر خصال من أخلاق البهائم شجاعة الديك وتحنن الدجاجة
وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجروح
وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن بعير وهي رويبة تكون بخراسان تسمن
على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله عشرة فأشد خلق الله الجبال
والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفي النار والسحاب يحمل
الماء والريح يضرب السحاب والإنسان يتقي الريح بجناحه والسكر يصرع الإنسان
والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم فإذا دل [illegible] أن
يبث جواسيسه في عسكر عدوه ليتعرف أخبارهم مع الشجعان ويتعرف [illegible]
رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم ويوثر إليهم ويعدهم وعدا جميلا
ويوجه إليهم بضروب الخديعة ويطمع أطماعهم في أن ينالوا ما عنده من
الصلات الفاخرة والولايات السنية فإن رأى وجها لتعجيلهم بالهدايا
والتحف وسامهم أن يغدروا بصاحبهم وإنما اعتزل له وقت اللقاء ويغشيه
على ألسنتهم كتبا منه لسنة إليه ويتجاوز عسكرهم ويكتب على السهام أخبارا مزورة

مزورة

وتعتس

مزورة ويرمي بها في جيوشهم ويضرب بينهم بها في التيه ومن الأمة جميع ما ذكرناه
يتعرف فيه الأموال والخيل والعقلاء يتعرف فيه الأرواح والنفوس [illegible] الحيل
فيه لا تحصى والخائض فيها أبصر من الغائب ولله در المهلب لما كتب إليه الحجاج
ويعجله في حرب الأزارقة رد الجواب فقال إن من البلاء أن يكون الرأي عند من يملكه
لا عند من يبصره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الحرب وأمره بقتال عبيد
الله بن زياد في الفعلة [illegible] غير مستنصر [illegible] متكل ولكن كن إلى الله ولذ به [illegible]
واستعن بمن لا يجمع في عمله ولا ييسر بغفلته واستغفر الله تعالى قبل لقاء [illegible]
وأوصت أم الدبال العبسية ابنها العقاد وهو من نشر العرب [illegible] فقالت لا تنشب في
حرب ولا تقف بشدة تدهشك وعجل الهرب منها فإن النجاة أقوى شيء إذا
وجدت سبيل الحيلة وأضعف شيء إذا [illegible] منها [illegible] الشدة ما كانت
الحيلة ممكنة [illegible] إلا أن يكون من الله فابتدها واحبس من نفسك [illegible]
وكان يكره منهم أن [illegible] فإن [illegible] زمام الشجاعة عدو [illegible] والشدة
أهل العقاد أوصى في بنيه يا بني [illegible] أو [illegible] أو [illegible] منه [illegible]
عند أبا الحرب حرب [illegible] وغنيمة [illegible] وأعلم أنه إذا [illegible] الأول طرف
حيلها وبالغ عليها وإذا [illegible] الله في حلول البلاء كانت آفاته في الحيلة وقالت
الحكماء إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة وإذا انقضت مدة الدول [illegible]
[illegible] العجلة من سنة [illegible] ويغلب الضعيف بإقبال دولته كما يغلب القوي [illegible]
مدته وقالوا سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا
تشتد على كل امرئ في دولته فإذا انقضت بدت عورته وقال بعض الحكماء
إذا ولت دولة ولت أمة وإذا أتت دولة [illegible] أمة وقالوا في [illegible] أهلكت
[illegible] الحزم [illegible] عند [illegible] الحروب أن يكون حملة الرجال وكماة الأبطال

العقاد

Copyright © King Saud University

شهى

في القلب فإنه متى انكسر الجناحان فالعيون ناظرة إلى القلب فإذا كا
نت راياته تخفق وطبوله تدق وكان حصنا للجناحين يأوي إليه كل
منهزم فإذا انكسر القلب تمزق الجناحان [illegible] إذا انكسر أحدى
جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين وإن انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا
يحصى كثرة ما انكسر جناحا العسكر وثبات القلب وتراجع الفارين
إلى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح وتراجع المنهزم
إلا أن يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتحرز ولا يبعد ور
به كمينا حتى إذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبقت عليه الجناح
ان فعند مثله رجال من أهل الحروب ومن أعظم المكايد في الحروب المكيدة
ولا يحصى كثرة كم من عسكر استفتحت بشضد وقد عرفته بالكيد ولذلك
أن الفارس لا يزال على جهته في الدفاع وحماية الذمار حتى يلتفت فيرى
وراءه بنودا منشورة أو يسمع ضرب الطبول فيخشى همته حال من نفسه
وتنكسر همته وراءه دون السياقة وإما إقدام والحملة ولا عليه أن يكثر واو
ويعد عليه أن يكثروا وتنسى قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد   وواحد كالألف إن أمر عنا

بل قد جرب فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما يقضي
به العجب فهم في الجيش وقلوا كالاثنين في الليل ومن ذلك [illegible] الثقفي المستعين
الصغير بن هود مع الطاغية ابن رذمير النصراني قصمه الله على مدينة وشقة في
هذا السبب نحو الاثنا عشر وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يراه
نحو عشرين ألف مقاتل خيل ورجالة فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من أجناده
قال القاضي في اللقاء قال الطاغية ابن رذمير قصمه الله ثم يثق بعقله وفراسته

للحروب

173

للحروب من رجاله أستعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم
كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان
وفلان حتى عد سبعة رجال فقال انظروا من في عسكري من الرجال الذين
يعرفهم العدو ويعرفون شجاعته ومن غاب منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية
رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياض
من يوم ثم ناشب الحرب فلم تزل المطاردة بين الفريقين ولم يول أحدهم
دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يبق واحد
منهم ولقد كان وقت العصر نظروا إلينا ساعة ثم حملوا علينا حملة
وأدخلونا مداخلة فعرفوا بيننا وصرنا نشكر من وحالوا بيننا وبين
أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم يقم
الحرب إلا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على
السلطان أن ينجو بنفسه وكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم
وملك العدو مدينة وشقة جبرها الله فيعتبر ذو الحزم والبصيرة من
جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولا يحضر من شجعانهم ودون
إلا خمسة عشر ويعتبر بضمار العلج والظفر والقيمة لما زاد في أبطاله رجل
واحد وسمعت أستاذنا القاضي أبا الوليد الباجي رحمه الله قال
بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته إذ وقف على نشز من
الأرض فنظر إلى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد
ملئوا السهل والجبل فالتفت إلى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن
المصحفي فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير فقال ابن المصحفي أرى جمعا
كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يفجعنا أن يكون في هذا الجيش ألف

Copyright © King Saud University

مقاتل قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أيهم خمسمائة من فرسان
الابطال المعدودين قال لا قال فضحك المنصور ثم قال أيهم مائة رجل قال
لا قال أيهم خمسون من الابطال قال بعثته المنصور واستخف بذوا امره و
فخرج على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتكاثف
الجمعان فبرز علج من الروم شاك السلاح يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز
له رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا
واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من يبا
رز اثنين بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج
وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة بواحد فبرز اليه رجل فقتله
العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل
للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور الا ترى ما
يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الحيلة
فيه قال وما الذي تريد قال ان يكفي المسلمين شره قال نعم الان ان شاء الله
ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من رجال الثغور على فرس قد نشى
نشزت اوراكها هزالا وهو يحمل قربة ماء يبرح به على الفرس والرجل
في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي الا ترى ما يصنع هذا
العلج منذ اليوم قال قد رأيته قال فماذا ترى فيه قال نريد رأسه الان
قال نعم فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة
فلم يرى الناس الا المسلم هاربا اليه يركض ولا يدرون ما هنا لك واذا
الرجل يحمل راس العلج فالقى بين يدي المنصور وقال له عد هؤلاء الر
جال الجيش وانه ليس في عسكر منهم الف ولا خمسمائة ولا خمسون ومع

وعشرون

وعشرون الا عشرة فرد ابن المصحفي الى منزلته واكرمه واعلم ان اول
الحرب شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شعثاء عابسة
تشوهها كالحة هزوزع حياض الموت تشوه الوجوه تتغذى بالنفوس
الحرب لوالها الكلام الحرب مرة المذاق اذا اقلصت عن ساق ومن فيها
عوق ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاع قلبها التدبير وعينها
الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها
النصر وقال الرسول عليه السلام الحرب خدعة وقالوا الحرب
غشوم سميت به لانها تتخطى الى غير الجناة كما قال الشاعر

وقال آخر

لم اكن من جناتها علم الله … واني بحرها اليوم صالي
وارى الحرب يجنيها رجال … ويصلى حرها قوم براءول

ومن اشعار التي تنشد في صفة الحروب

الحرب اول ما تكون فتية … تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها … عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت … مكروهة للشم والتقبيل

قال بعض العلماء قد جمع الله اداب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
واستوصى قوما اكثم بن صيفي في حرب ارادوها فقال اقلوا الخلاف
على امرائكم واعلموا ان كثرة الخلاف فشل ولا جماعة لمن اختلف واثبتوا
فان احزم الفريقين الركين وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه الا
ترون اصحابكم جثيا على الركب كانهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات

Copyright © King Saud University

ورايت غير واحد من اهل الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقو
لون يذكر الله في نفسه . واعلم ارشدك الله ان الله سبحانه قد اوضح
لنا في كتابه علة النصر وعلة الهزايم والفرار فقال يا ايها الذين امنوا
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسو
له واما الهزايم فعلتها المعاصي فان الله تعالى قال ان الذين تولوا منكم يوم التقا
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا اي شومة ذنوبهم
وتركهم المركز الذي وضعهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
انه رتب عليه السلام الرماة يوم احد على ثنية الجبل ليمنعوا العدو ان
يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون والكفار فا
نهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنايم فاقبلوا على الغنايم وتركوا
المركز الاول فخرجت خيل المشركين من هناك واقبلوا على المسلمين وكانت
مقتلة احد ونكبته فان الجيش العلامة التي هو منتخب بها فان عدوك قد
استعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا وليبدل زيه
ويغير خيمته ويخفي مكانه كيلا يلتمس عدوك غرته واذا اسكنت الحرب
فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكرك فان يجهز عدوك قد اذكيت
عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش الافريقية عثر بقائدها وذلك
ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم العسكر يمشي خارج العسكر
يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن ابي سرح وهو قايم في قبته
فخرج اليه وتقدم من رجاله فحمل على العدو فقتل القايد وكان الفتح وفتح
كان في بلاد افريقية يستفتحها ومن سواه ذلك ان بربرية خرجوا
في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل العظيم الذي يسمى اليوم جبل طارق

وهو

بعوزي

وهو في الف وسبع مائة رجل فجمعت الروم جيوشهم فاقتتلوا ثلاثة ايام
وكان على الروم تدمير فاستخلفه لذريق على الروم وكتب الى لذريق
يعلمه بان قوما لا يدري من اهل الارض هم ام من اهل السماء قد وصلوا الى بلا
دنا وقد لقيتهم فانهض الينا بنفسك فاتى لذريق في تسعين الف عنان
ولقيهم طارق على خيله مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا
ثلاثة ايام اشتد فيها القتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام يعظهم
على الصبر ويرغبهم في الشهادة وبسط في امالهم ثم قال اين المهرب
البحر من ورايكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم
واني فاعل شيئا فافعلوا كفعلي والله لاقصدن طاغيتهم فاما ان اقتله
او اقتل دونه فلا تتوقفوا بكاره من حيلة لذريق معه فقتل في ربع في العدو
وهزم الله المشركين ولم يقتل منهم كبير شيء وانهزمت الروم فاقام المسلمون
يقتلونهم ثلاثة ايام فجعل ما قبالتهم على القتلى من لذريق مكانه واهله
واخذ طارق راس لذريق فبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى
الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة
ولم يكن لهم همة غير المايدة التي يذكر اهل الكتاب انها ما بدأت
سليمان بن داود عليهما السلام وقد وقع اليه اهل غنت لذريق الماية
والتاج فهو من احداث ما بقي له ما ينقى البديار لما فيها من الجواهر التي
لم ير مثلها وبهزام الجبلة فهو البرسلان بعد النزل ملك الروم
وقبضه وقتل رجاله وابادة جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا
يقال انه لم يجتمع قبل يومئذ مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة
الف مقاتل كتايب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها

Copyright © King Saud University

بعضا كالجبال الشامخات لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد
استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون
والحروب ما يعجز الوصف عنه وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام
ومصر والعراق وخراسان وديار بكر وهم يشكون ان الدولة قد دارت لهم وان
نجم السعود قد هوى منهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت اخبارهم
الى بلاد المسلمين واضطربت لهم بلاد الاسلام فاحتشد للقائهم الب ارسلان
التركي وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان
واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان
الى ان عاينت طلائع المسلمين الى المسلمين وقال الب ارسلان نحاول ان يتراءى ال
الجمعان حين يكون المسلمون في خطبة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا
الذي خلقهم وما دهى المسلمين الا كلمة جائع ليبقى المسلمون
واجمعين بما دهاهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض
فهال المسلمين ما راوا من كثرة العدو وقوتهم الا انهم امروا الب ارسلان
ان يعتد المسلمون فبلغوا اثني عشر الف تركي واخذ اهم منهم كالنقطة
في ذراع الحمار فجمع ذوي الراي من اهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين
والنظر في العواقب فاستشارهم في استعمال صواب الراي فتفاوضوا وروبهت
ثم اجمع رايهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالفوا وتناصحوا السلاح واهبه
ثم تاهبوا اهبة اللقاء وقالوا للب ارسلان بسم الله نحمل فقال الب ارسلان يا
معشر اهل الملة امهلوا فهذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون ويدعون لنا على
المنابر في شرق الارض وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا
ان المسلمين قد صلوا وصلينا نحن حملنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس

فصلوا

فصلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم الصبر وان يوهن
عدوه ويلقي في قلوبهم الرعب وكان الب ارسلان قد استولى على خيمة ملك الروم
وعلامته وسريره وزينته ثم قال لرجاله لا يتخلف احد منكم الا يفعل كفعلي ويضرب
بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل وحملوا حملة
رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها وخلصوا اليه وقتل من
حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فلما
سمعت الروم انه قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم
اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي الب ارسلان
بحبل في عنقه فقال الب ارسلان ماذا كنت تصنع بي لو اخذتني فقال وهل تشك
انني اقتلك فقال الب ارسلان انت اقل في عيني من ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه فيمن
يزيد فكان يقتاد بالحبل وينادى عليه بالدراهم والفلوس حتى باعوه من
انسان بكلب فاخذ الذي كان ينادي عليه من امره الكلب والملك وحملهما
الى الب ارسلان فقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يزل يزيد فيه
احد شيئا الا رجل واحد دفع الي فيه كلبه فقال الب ارسلان قد انصفك لان
الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم امر بعد ذلك با
طلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار وانظر ماذا
يبلغ على الملوك اذا اعجبوا بالحروب من الجبلة والكبرياء واعلم ان
ان القوم ماتوا فاتوا لكثرة الرعب وللغفلة انتهى ثم اعلموا ان الله تعالى قال
ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فما يكثره ايضا يحصيها الا عجايب ومع
الا عجايب الهلاك وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربع مائة وخير ال

Copyright © King Saud University

اليهم او بعثه الالاف ولربما غلبها جيش يبلغون اثني عشر الفا فلما اذا
اجتمعت كلمتهم جاءها صعد الثغر وهو احسن ترتيب رأيناه في بلادنا
وهو ان رجالة بين يديه في فئة دعوناه ان تقدم الرجالة بالترسة الطوال
والرموح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا
مراكز رماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورها شارعة الى العدو وهم
جاثون في الارض كل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم
بين يديه وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم الدروع والخيل
خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم تتزحزح الرجالة عن هيئتها
ولا قام رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقتهم الرماة بالسهام و
والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فمالوا عنها يمنة ويسرة فتخرج
خيل المسلمين فتنال منهم ما شاء الله ولقد حدثني من حضر هذه الوقعة
في بلدة بطرطوشة قال ما حملت الروم على هذه الا مرة فحملوا علينا فينا
رجل منا كان في اخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدو فاصابه
في غرته فقتله. ولقد برز المقتدر بن هود ملك الثغور وانه لمن مر بسر
فمسكه في ثغور بلاده الا قد ليس لقاء الطاغية ردمير لعنه الله وكان كل
واحد منهما قد احتشد بما في مقدوره من ذلك فالتقى المسلمون والكفار
ثم تزلزلوا للقتال وتطاعنوا ودام القتال بينهم صدرا كثيرا من النهار وكان
المسلمون في خسارة فابرز المقتدر لذلك وفرق المسلمون من شوم ذلك فالتفت
مع المقتدر رجل من المسلمين لم يكن في الثغور اعرف منه بالحروب فيسمى
ولد فقال له كيف ترى شغل اليوم فقال صعد ان هذا يوم اسود ولكن بقيت في
حيلة في هذه الصوارة وكان زيه زي الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة

فخالطتهم

فخالطتهم فانغمس في عسكر الكفار ثم قصد الى الطاغية ردمير لعنه الله
فالقاه شاكي السلاح مكفرا في الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتخيله
ويترصد غرته الى ان امكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعا
لليدين والفم وجعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان فتعتعت الروم وشاع
قتله في العسكر وتخاذلوا وولوا منهزمين وكان الفتح بذلك ان شاء الله تعالى لما
استضعفت الروم صقلية ضربت عليهم الروم الخراج فكانوا يحملون
اليها الخراج ويحملون الاموال الى العرب بافريقية يستنجدون بهم
على الروم فقال ملك الروم مثلي ومثلكم مثل رجل كهل له زوجتان عجوز
وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلتقط الشيب من لحيته كي تخفي امارة
الشيخ واذا بات عند العجوز تلتقط من لحيته الشعر الاسود لتشبهه
في عين الصبية فيوشك ان دام هذا ان يبقى اقرع حتى لا حال لكم معي ومع العرب
واذا اخذتم بالعدل التي والى الحرب يوشك ان تبعد هالكم فيبقوا فقراء ضعفاء
ويروى انه لما طلب اهل صقلية امر ان يبسط بساطه ثم جعل في وسطه دينارا
ثم قال لمن حوله رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمت انه
يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل اليه احد فلما اعياهم ذلك طوى ناحية البساط
من عنده وامر كل واحد منهم ان يطوي ما يليه حتى طوى البساط فتناولوا
ايديهم فاخذوا الدينار فقال لهم اذا رأتم مدينة صقلية فخذوا ما حولها
من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى حتى اذا ضعفت اخذ ثغورها
وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان ينيف بستين من جهة ابيه و
قيمة خالية وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابو المقتدر بالله يرى
له ذلك ويعظمه وكان يجري له في كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصارى

Copyright © King Saud University

باسرها فدعوت مكانه وهانت لقاءه فيحكى ان الرومي اذا سقى
فرسه ثم يشرب يقول له اشرب ابن فتحون رايته في الماء فحسده نظراؤه مع
كثرة العطاء ومنزلته من السلطان واغروا به في صدر المستعين فسجنه اياه ثم
ان المستعين انشا غزوة الى بلاد الروم فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا
ثم برز علج الى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا
فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي ثلاثة بواحد فلم يستجر احد من المسلمين
ان يخرج اليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها الا ابو الوليد بن فتحون
فدعاه واستلطفه فقال اما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعيني فقال
ما الحيلة فيه قال ابو الوليد فماذا تريد قال ان تكفي المسلمين شره فقال الـ
الساعة يكون ذلك بحول الله وقوته فلبس غلالة كتان واستوى على سرجه بلا
سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقد فعقده ثم برز اليه
فتعجب منه النصراني وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطئ طعنة ال
النصراني قربوس سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل بالارض
لا شيء منه على السرج ثم طفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط على عنقه
والتوى على عنقه واخذه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به يجره
فالقاه بين يدي المستعين وعلم المستعين انه كان اخطا صنيعه معه فاكرمه
ورده الى احسن احواله ايها الاجناد اقلوا الخلاف على امرائكم فلا ظفر
مع اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم اول الظفر الاجتماع واول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة
عند الاستماع السمع والطاعة وانما اتى على علي بن ابي طالب رضي الله عنه

يوم صفين

يوم صفين تضعضعت صفوف معاوية حتى ايقن بالشر وانه مغلوب فقال
لعمرو بن العاصي اذهب فخرج لنا اما ترى ابن عمك قد غلبني عليها فاشار
عمرو الحيلة ان تامرهم ان يرفعوا المصاحف على اطراف الرماح وينادون
ندعوكم الى كتاب الله ففعلوا فانخذل اصحاب علي وكسروا عن الحرب فقال
لهم علي ان قوم هذه مكيدة منهم وهم بين الفوت فابوا فعصوه وتركوا
القتال فكان ذلك بسبب التحكيم واعلم ان من احزم مكائد الحرب اذكاء
العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة والظفر والسرور والاهانة
للعدو والاحتراس من العدو وان تخرج هاربا الى قتال ولا يغيبن ان
مستاسر وقال بعض المصنفين كتبت لي التكبير عند اللقاء فيه فشل غضوا
الاصوات وتجلببوا السكينة واكثروا اللامة واجعلوا الحصون وادرعوا
الليل فانه اخفى للويل البدء يكيف الجبان ونصف الشجاع البدء الحرب
عظم الحازم يعزر عدوه على كل حال المواثبة او فر وان تعذرت ل
ان يعرفوا الكمين لا ينكشف واستكثر اذا رايت الجهل فوة الجرءة
من اعتز بقوته فقد وهن من القوة التي وهب فتكل الشدة لا كنت
حذرا ما كنت عند نفسك اعلى فوق عدو دائرا فتضعف عدوك اعظم من
اغتنم الظفر به عدوك واشعروا قلوبكم في الحرب الجرءة فانها سبب الظفر
واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها
حصن المحارب اذا وقع اللقاء نزل القضاء اذا التقى السيف السيف
زال الخيار رب مكيدة ابلغ من نجدة ورب كلمة هزمت عسكرا الصبر
انظر النصر ومع النصر اجمعوا قتال عدوكم اخر جيشكم النصر مع الله
لا ظفر مع بغي ولا تعتزوا بالاقوياء بعضكم فوثبوا على الضعفاء لا تجتمعوا

Copyright © King Saud University

عند البقاء ولا تقتلوا عند القدرة ولا تفروا من العدو عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا.

الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب

اعلم أن مذهب أهل الحق في القضاء والقدر وخلق الأفعال والإرادات أن الكائنات منتشرة لا تخرج عن علمه وقضائه وقدرته وقد كثر [illegible] في القضاء والقدر واختلف فيه العلماء وقد تبين الحق فيه وتشتت منه أهواؤهم وتفاوت [illegible] فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم تضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا ولا لاحتجاج لكل فريق كما زعم له يستند في مجلدات واسعة وإنما نذكر في هذا الكتاب أحكاما ظاهرة قريبة من العقول لتقريب [illegible] على الناظر فاعلم أولا أن كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية وكذلك [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible] إلا بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به ثم اعلم أن القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والتسبب لا يتضادان وذلك أن تعلم أن كل ما قضى الله عز وجل فهو كائن لا محالة كما أن ما علم الله أنه يكون فهو كائن ومن خالف في القضاء والقدر وافقنا في العلم [illegible] أمر مقدور [illegible] الله تعالى وحصوله إليك بعد الطلب فلا يصل إليك إلا بالطلب والطلب [illegible] القدر ولا فرق بين [illegible] المطلوب وبين الطلب في أنهما مقدوران [illegible] ثبت أنهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لأن التوكل محله القلب والسبب محله الجوارح ولا يتضادان في محل

[illegible]

مع ما يتحقق العبد أن الشيء من قبل الله تعالى فإن تعسر شيء فبتقديره وإن اتفق فبتيسيره قال جاء رجل على ناقة فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل فالتوكل والاعتصام بالقدرة يستمد أن من العقل والطلب والكسب يستمد أن من النظر فالتوكل على الله هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما حكم به في سابق أمره من الأمور وليس الطريق في تحصيله أن يغلق بابه عليه ويفوض أمره إليه وينتظر حصول ذلك [illegible] بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد كان هو النبي صلى الله عليه وسلم يتخذ درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس من العدو وأقام الرماة يوم أحد يحفظونه من خالد بن الوليد وكان يحبس لأهله قوت سنة ويعطي الجيوش أزوادهم ويهيئ لهم مصالحهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداوات وقال إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء فإن قيل فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى واكتوى برئ من التوكل قلنا [illegible] فقد قال اعقلها وتوكل [illegible] بما ذكرنا [illegible] فإن قيل فما المخرج من ذلك قلنا معناه من استرقى واكتوى متوكلا على الرقية والكي وأن البرء من قبلهما خاصة فهو فهذا الذي خرج من التوكل وأما من فعله كذلك ونسب الحوادث إلى فعل الله تعالى [illegible] الأسباب والأدوية وتعاطى [illegible] [illegible] وأعوانه وأنه على ما جرت به سنة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء منه بل هو [illegible] [illegible] ومعتمد في ذلك على المسبب لا على الأسباب فهذا هو المتوكل لا كمن شرطه

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

Copyright © King Saud University

او يمشي في ذلك كله مع اهوائه ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستقر
ما عند الله بمعصية الله كان اعظم ما رجا واخوف ما يخشى وما اتفق ومن
ظن ان الطلب والاسباب تناقض التوكل فقعد في بيته وغلق بابه متوكلا
على الله تعالى في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهالة والجفا ويقال
له يجب من هذا اذا جعت وحضر الطعام ان تقدم يدك فيه ولا تبلع و
تمضغ فلو مشى عليه كان الى العقل احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله
ان يداووه اما ترى ان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة فجعل
لامرها بالتشكي في حمل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمن له ابنة
او بنتان يوم ينبغي لبنتان زوجهما واصلاح شانه ويوم ان يطلب الجوابة
ويتسببها وانشدوا في المعنى

الم تر ان الله قال لمريم … وهزي اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزها … جنته ولكن كل شيء له سبب

وهكذا قال الرسول عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم
كما ترزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا ثم يحمل ارزاقها اليها بل او
كار هاما لها انها طلبها بالغدو والرواح وقد كان جهيل ومبر العقد ها
ومن يرملي من تصديق القدر وتكذيب الطلب فرون اهل زمانه لعل الولد لما
حجره من الطلب والتدبير واخرجه من بيته له وقهره على حكمته فقال
له بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويطل النفس وصاحبه صار
الى اخلاق دواب لا حيلة من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تستتر
في اجحرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما
كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل واحد منهما ارجح مما حمل في الاخر

تعظ

١٨٠

يعقله هيلد وتعب لطهرله وثقل عليه سعيه وان عاجل بينهما فلم
يظهر له وفتح سعيه ونعق بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا وقالوا ان
اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد
وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام
والشراب فلم يزل في عافية الى ان هلك المحتسب فبقيا بعده اياما ما
اشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما على ان يحمل
الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل
المقعد ففعلا ودارا في القرية يستطعمان اهلها ففعلا فنجح امرهما ولو
لم يفعلا هلكا وكذلك القدر سبب الطلب والطلب سبب القدر وكل
واحد منهما معين لصاحبه فالحيل في الطلب يطمع بما عدا به ورجع
الى ملكه وكان جهيل يقول في ذم من الطلب انكان على القدر ولا تجهدن
نفسك في الطلب تعلموا عليه تستهينا بالهوى ما تطالة اجهدت نفسك
في الطلب بوجوه التعب مصدقا بالقدر تعينه بالذي من عون القدر وانك
قد اتيت ذنبا فتتبعه جوارحه وان تشكيه كل ظاهره وباطنه ونبه الى
العصمة كل ذنب اتيته بجارحة من جوارحه واخرج من كل مظلمة
ظلمته فاذا فعلت ذلك فابك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله
واعلم ان على هذا الاصل الذي قد رساه يخرج كل ما ورد في القرآن و
وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم
اليه والتفويض له من ذلك ان سيمن الخواص تلا يوما قوله تعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الاية يلجا الا حد غير
الله تعالى في امر من الاشياء وكما امر النبي عليه السلام بعقل الناقة وبين

Copyright © King Saud University

ذو عين الا ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته لم يكن وجنة
ولا يحرث ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى والتقلب وان بقيه امرأته من عدم فاع
وتنبت ارضه الزرع من غير حرث كان من المغفلين خارجا عن امر الله تعالى تاركا
وللايمة والحكماء في القدر الفاظ بارعة سليمة من اللبس ولا سيما فمنها
ما روي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه سئل عن القدر فما عرض عن السائل
فلما الح عليه بالجواب فقال علي اخبرني اخلقك الله كما شئت او كما يشاء فاعاد
مسئلة الرجل فقال علي للحاضرين من اترونه يقول كما شاء اذا والله اضرب
عنقه فقال الرجل كما يشاء فقال علي افيمرضك كما يشاء او كما تشاء
قال كما يشاء قال فيميتك كما يشاء او كما تشاء قال كما يشاء قال فيبعث
حيث يشاء او حيث تشاء قال حيث يشاء قال ليس لك من الامر شيء
وروي ان رجلا قدريا ومجوسيا اشتركا فقال القدري للمجوسي ما لك
لا تسلم فقال المجوسي لو اراد الله لاسلمت فقال القدري قد اراد الله
ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك فقال المجوسي فانا مع اقواهما وروي
في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بنبع مقلوب واذا اناء
قريب منه فقال الكلبي يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا الكلب هذا ان
النبع ليصيبه فيه وانا انظر اليه فذهب ثم رجع فاذا الكلب في
النبع فقال له يحيا لك الست انا بلا نها كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا
جاء القدر لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب
رضي الله عنه ارايت من حبيبي سبل الهدى وسلطني سبل الردى احسن الي
ام اساء فقال علي ان كنت استوجبت عليه شيئا فاساء وان كنت لم تستوجب عليه
شيئا فهو يفعل ما يشاء وقال ميمون بن مهران لغيلان القدري سل

نعم دينا ومجوسيا
تلك احرا

فوى

فافوى ما تكونون اذا اسالتم فقال غيلان اشاء الله ان يعصى فقال
ميمون ايعصى كارها فانقطع غيلان وروي ان رجلا قال لعلي تكلم في القدر
قال وما يصنع بالمناظرة في القدر وارايت كلامي الا الشيعة للذي به على باطن
ارايت اصحابك من زوروا وعاقلا المحروم وما فعلتم ان النحو في البين الثي وقال
بعضهم :

يخيب الفتى من حيث يرزق حاسده ... ويعطى المنى من حيث يحرم كاسبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له
يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان
فقال له موسى ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض البعيدة ويبصر القريب منه
من البعيد على بعده من النجوم وينصب له الصبي الفخ بالدود او الحبة فلا
يبصره حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهدهد كانت رايته ل
سليمان بن داود عليهما السلام الى الماء فيستقي عسكره ثم تنظر الى الا
رض فتقول الماء ها هنا على الف قامة فيتناوله الجن فيخرجونه فلا يجف سليمان
الا وقد استقى الماء واعلموا ان الحذر ما هو مقضى مقدر كما هو مثبت في ام
الكتاب وانشدوا

واذا اختشيت من الامور مقدرا ... وهربت منه فنحوه تتوجه

ولبعضهم ذكر الا معنى

هبقت على طبعي مغنى هوابه ... وقد خيرن كتب المهيمن با
اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد ... وقصد على ان انال المعنيا
واصرف عن قصدي وعلى مقصد ... وامضي وما اعرفت الا التنبيها

ولقد وقع الطاعون بالكوفة فخرج ابن ابي ليلى على حمار له يطلب النجاة

Copyright © King Saud University

فسمع منشدا ينشد:

لم يسق الله على حماري ... ولا على ذي منعة جبار

لو يلتقي الحشب على مقدار ... قد يصبح الله أمام الساري

فكر راجعا إلى الكوفة فقال إذا كان الله أمام الساري فلا تسري

وأنشد

أقام على العيسى وفود ابنتين ... مكانه وعزة ماء باهلها

وقال الخادم ما بقي الليالي ... على نفسي وإن الغادر أهلها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

ونقل في كسرى بن جعفر ووجد في منطقته كتابا فيه إذا كان القدر حقا فالحرص باطل وإذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز وإذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما إنما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاثة رجل يريد تناول رزقه في يومه وهو يرى تنافس في يومه ورجل تشغله همة غده ومن عالم يعيبون عليه زاهد يعقبونه وقال ابن مسعود إن الرجل ليشرف على طمع من المطامع ولا يولي التجارة لو تيسرت له كرره الله من فوق سماواته فيقول للملائكة اصرفوا عنه هذا الأمر فإنه إن يسره له أدخله به جهنم فيظل يتطير بها عن جيرانه ويقول سبقني فلان ودهاني فلان وما صرفه عنه إلا الله تعالى استأذن العقل على الجد فقال الجد اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم قال لأنك تحتاج إلي ولا

احتاج

العقل

احتاج إليك وأوصى حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا تخدم به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجد وقد كان يقال إن العقل مضر بالجد وروي أن رجلا خير أمام أبي المختار فقال أيما تجد أوثق بعقل فأفعلوا أو في الأمثال اسع بجد أو دع وكذا اسع بجد أو دع الجد لا كد الجد لا يجدي أغنى من الكد واعلم أن أملح الأمور التوفيق ولم ينزل من السماء إلى الأرض أقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتاب في الأوائل أن أهل التوفيق مكتسب أو موهوب بلا سبب فلا يزيد عليه ومن عجيب ما وقعت عليه في مجرى القضاء والقدر فإن الفرار من المقدور لا ينفع في جميع الأحوال ما نقل بعض رواة الإسكندرية وذكر أن رجلا من حرمة السلطان أخلى يده منه وغاب أياما ثم ظفر به عرفا وكل فقاده إلى السلطان فخشي من سطوة السلطان فبينما هو يخطو ونيته أن يمر على قارعة الطريق فإذا سباع منهم وقد واجهه فانتهت نفسه الأمر لله أسراب تحت الأرض فسقط فيها الرجل فإذا هي مراحلها إلى آخرها فما زال هذا الرجل يمشي في بعض تحت الأرض إلى أن وجد بيرا فعرفه فتعلق بها وأدى إلى بين دار السلطان فلم يشعر أهل الدار والرجل قد طلع عليهم من البير فقبضه السلطان وأتى به وعفر بن محمد من حيله إلى السلطان مكرها ثم قتل من حيلة البئر بعد هذا انفعل في شدة والله الموفق للصواب

الباب الثالث والعشرون

وهذا باب جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول الفصل الأول يشتمل على أخبار وقعت لنا بعد الفراغ من هذا الكتاب فألحقناه

Copyright © King Saud University

والثاني يشتمل على حكم الفرس خاصة والثالث يشتمل على حكم العرب خاصة
والباب الخامس يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمناه لا نتنكره في عقول
القوم واغراضهم ومنتهى مراتبهم مجموعة من كتاب هاوبران خرد العجم
رهيه قال ثلاثة لا يستصلح فسادهن بشيء من الحيل العداوة بين الاقارب وتحا
سد الاكفاء والركاكة في العقول وثلاث لا يستفسد صلاحهن بشيء من الحيل
العبادة في العلم والقنوع في المتصرف والسخاء في ذوي الاخطار وثلاث لا يشبع
منهن الجهالة والعافية والمال وقال لقمان لابنه يا بني ما النعماء العليا
قال رعونة مولودة قال فما الجرح الذي قال العراك الشنوة فقال
فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية ابو عبادة وكان
من رجال اخباره قال لا كذب والله الغضب على اخف من ريشة وكان
اسرع الناس غضبا فقيل له انما عنى لقمان احتمال الغضب ثقيل فقال
لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما على بعض اهله
به فرماه بدواة فشجه وجعل الدم يسيل فقال ابو عبادة صدق الله
حيث قال والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون فبلغ ذلك المامون فاس
تحضره فقال ويحك اما تحسن ان تقرأ الا آية من كتاب الله تعالى فقال و
الله يا امير المومنين لقد قرأت من السورة الواحدة الف آية فضحك المامون
وامر باخراجه وقيل لانوشروان ما العقل قال القصد في كل الامور قال
فما المروة قال ترك الدنية قال فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل
فما الحمق الاغترار في الحمد والذم وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء بالحسن
الظن قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال
كف الاذى وبذل جميل قال فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال

بعض

بعضهم في قول العوام هو الكل انما اراد هو الكل بنفسه لا بغيره و
وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا
فان العثرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الا
نهماك فانها تؤدي الى الهلاك وهو مثل قول علي رضي الله عنه احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون
حبيبك يوما ومنه قول الاول

ولا تيأسن لبغض هو صرح كالشيء ... ولا تأمن الدهر صرم حبيب

وانشدنا ابو عيسى رحمه الله

واحبب حبيبك حبا رويدا ... فليس يعولك ان تصرما

وسئل اخر حسبهم من العقل فقال تركك ما لا يعنيك قيل فما الحزم قال
انتهاز الفرصة قيل فما العلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة
قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفرط وبغض مفرط وقيل
لبعض الملوك وقد بلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه احد من اهل زمانه ما
الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عجب عند قدرتي وليس دهر شدتي
وبذلي بلا انصاف ولومي نفسي وانفاقي في الحب والبغض كما امر
ضع الا شيد الرفعا ان استكبر لبعض الحكماء واراد سفرا ا
رشدني لا حزم امري فقال لا تعلقن قلبك محبة الشيء ولا يستولي عليك
بغضه واجمع لهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في
التقلب بنزع وقع جمع واجعل وربط التشبع وسمي الا النقطة ولا تقدم
الا بعد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب
رعيتك مع الاستعباد وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال

Copyright © King Saud University

غير مزالة للعقل مع التصنع قيل فما الغاية في ذلك فقال الحسن المنطق قيل فما
الغاية في الصمت فقال نصيحة من لا تصنع له وقال الفضل بن مروان سألت رسول ملك
الروم عن سيرة ملوكهم فقال اما الغريم فبذل شيء فيه فقد اجتمعت عليه القلوب رهبة و
رغبة لا ينقص جنده ولا يخرج رعيته ستعمل ان نوادر الرجال النكال الرجال الجنود
معفوة ان يجده قلت فكيف حكمه قال برد المظالم ويردع الظالم ويعطي
كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت وكيف هيبتهم له قال
يتصور في القلوب فتغض له العيون قال فنظر رسول ملك الروم الحبشة الي
اصغاء اليه واقبال عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال للترجمان له
ما الذي يقول الرومي قال يصف له مليكهم ويصف سيرته فكلم الترجمان بشيء
فقال في الترجمان انه يقول ان ملككم ذو اناة عند القدرة وذو حلم عند
الغضب وذو سطوة عند الغلبة وذو عقوبة عند اجترام قد كسا
رعيته جميل نعمته وحصرهم بحسن عقوبته فهم يتراءونه تراءي الهلال
ويخافونه مخافة الموت قد وسعهم عدله وردعهم سطوته واوبه فلا
يمتهنه مزح ولا يؤيسه غفلة اذا اعطى وسع واذا عاقب اوجع فل
الناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل
قلت كيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا تتبعه ابصار
ابصارا لعلها كأن رعيته قطا رفرفت عليه صقور صوائد قال محمد ثنا
ابو [illegible] قال في كم ينبغي [illegible] البلاد
درهم قال [illegible] اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن وقد
اعتبر من الخطباء البلغاء [illegible]

بعض هذا

بعثك بعذرك الصحة قلت كلا فالعذر له بعشر عذري مخجلة واجعل العذر
ماذا فيّ منى وبينهما على العجز فلولا حقوق المسلمين لرايت اعطاه ما في
بيت المال لعامة والخاصة دون ما يستحقه له وقال الفضل بن سهل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الحزن يجد في عن اخت الملك
تسمى خاتون قال ان ابنتنا سنة احزم علينا اشواكها بجرارة المصائب
وصنوف الآفات فيفزع الناس الى الملك فلم يجد رملا يحيلهم به فقالت له
خاتون ايها الملك ان الحزم عقول لا يخلو جد بولد ولا ينقص عن ميزان
وهو دليل السعد على استصلاح رعيته وزاجر له عن استيفاد هلا
وقد فرغت رعيته اليه بفضل العجز عن الاستغناء الى من لا يرجو الا من له
ان الى خلفه عنا ولا ينقصه العود بلا احسان اليهم ممكنا وما اجراولي
يحفظ الوصية من العوص ولا يركوب الملك لا الامر الذل ولا يحسن الرعا
به من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغيرها نقمة وفي رضاء لم يكدره سخط
الى ان جرى القدر بما غشي عنه البصر وذهل عنده الفكر وتقلب الدهور
والكاتب هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذ به من تتبع النقم
فمتى نقمته بنسا له ولا تجعلن الخطاء من الخذلان بسعي العقل فشكرا منك
ومن رعيتك فتستحق به دوام العافية ولا تكثر من همومك فتكسد به حب القلوب
الى ما ادراه له تكنه القدر [illegible] بعض الشكر له
فان الملك ربما عاقب عمله ليرجعه من سيء فعل الى صالح عمل او يبعثه
على [illegible] بشكر يعرف به فضل [illegible] ان تقوم فيهم فتتخذهم
بهذا الكلام فجعلت ترجع القوم عن بابه وقد علم الله منهم قبول
الوعظ [illegible] النهي [illegible] عليهم [illegible] وما ينقصهم [illegible] نعمة

Copyright © King Saud University

كان سلبها وتواترت عليهم الرزايا وان جميل الصنع ما عني به الملك بالعد
لعدل وقلدها الملك وجمع الرعية على الطاعة له في المحبوب والمكروه
فهذا يفعل الله في اعدائه فقد اشكروه واعاذهم من نقمه ما كان اشنع
وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف من جهله ويومن به لو صوفت بما تنا
وصفت كنا من ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق
في خلافة هشام فوجدوا في جيبه لوح من ذهب فيه مكتوب اذا ذهب
الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيا
نات استحقت البركات وقال الوضاحي وجه انوشروان رسولا
الى ملك قد اجمع على محاربته وامره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته
فرجع اليه وقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب اكثر
من الصدق والجور ارفع من العدل وقال انوشروان رزقت الظفر فسر
اليه ونكر عليه في محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع فانك
منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال
ابن جعفر الهزل ابن الجد والكذب عدو الصدق والجور مفسدة للملك
فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف
به واذا اظهر الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم هرمز
هو احد ملوك الفرس يقول الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور
مفسدة للملك وقيل بعض اصحاب اسقف ان رجلا من الترك اصاب
في عنقه لوحا من ذهب فيه مكتوب ابن الشفقة التهيب وابن المنهى
الحياء واقبح كل شيء الكذب وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق
قال الجنة في الدنيا فما قيمة الكذب قال موت عاجل فما قيمة العدل

قال ملك

قال ملك لابيه فما قيمة الجور قال ذل الابد قال وسأل ملك الهند لا
سكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك وما دولته قال الجد في كل الامور
قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضى
بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك تناله وقال ابن جهم
ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما السرور فهو الرضى با
لقسم والعمل بالطاعة في النعم ونفي الاهتمام بالرزق لغد واما الغم
فحرص مسرف وسؤال ملحف وتمني ما لا يطيق ومر بعض الملوك بغلام
يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام
ارفق به فقال ايها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول
طريقه ويشتد جوعه وفي العنف احسان اليه يخف حمله ويطول
اكله فاعجب الملك كلامه فقال قد امرت لك بالف درهم قال رزق
مقدور وواهب ماجور قال وقد امرت لك باثبات اسمك في حشمي قال
كفيت مؤونة ورزقت معونة قال لولا انك حدث السن لاستوزرتك
قال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما
يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها
فاستوزره فوجده ذا راي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع
موقع التوفيق قال وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد دوخ
بعدت به من الشرق والغرب اكتب لي لفظة موجزة تنفع وتردع
فكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا اهنتك
العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمأن بك المرقد فاستشعر الخوف
واذا بلغت غاية املك فاذكر الموت واذا احببت نفسك فلا تجعل لها

Copyright © King Saud University

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

في الساعة التي أنت فيها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء ملكا فقال له أيها
الملك إن الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ومن لم يقدم لا يجد بعض نفسه
حلاوة عيشه انتبه للمسألة أيها واعلم أن زمام العافية بيد البلاء وأن
السلامة تحت جناح العطب وباب الأمن مستور بالخوف فلا تكونن في حال
من هذه الثلاث غير متوقع لأضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام
الهلكة فإن الدهر عدو وابن آدم في حصن من عدوه لغاية الاستعداد
وإذا بكرت في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ قال وكتب الإسك
الإسكندر على باب الإسكندرية أجد في بقاء غيري كأني غير موقوف
حيث من البر والبحر وإذا انتهت المدة حيل بينه وبين القدرة فاحتمل
فضل النعم وأكرم أجد مجلس يحسن الثناء بقيتي وإذا استطلت السلامة
فاستوحش العطب فإنه الغاية وإذا أبرحت للعافية فاحزن للبلاء فإنه
يكون الرجعة وإذا انبسطت الآمال فاقبض نفسك عنه بذكر الأجل فهو المو
عد وإليه المورد قال ابن الأعرابي عن بعض من رأى ببيت أصبهان فارس حجرا
مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والأمن
مقرون بالخوف ومما ضرب أنوشروان عنق ابن بزرجمهر لما رغب عن دين
المجوسية وانتقل إلى دين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وجد في منطقته
كتابا فيه ثلاث كلمات إذا كان القدر حقا فالحرص باطل وإذا كان الغدر
في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز وإذا كان الموت بكل إنسان نازلا
فالطمأنينة إلى الدنيا حمق ومما ناقش النقش النبي سليمان ... عليه
ملكه كتب على كرسيه إذا تمت العافية نزل البلاء وإذا تمت السلامة نجم
العطب وإذا تم الأمن علا الخوف وحضر جعفر في رهن في حبس لوح رخام

فيه

١٠٦

فيه أربعة أسطر محفورة فأولها العافية أبشر بالبلاء والثاني أيها السالم
توقع العطب والثالث أيها الآمن خف من الخوف والرابع أيها المهموم
مهما يصبر عند العسر ونقل نزل أبو مسلم مرة بدير نصراني فقال أتاه أسقفها
فقال أيها الملك إن في هذا الدير حجرا مكتوبا فيه ثلاثة أسطر وجدت في
الكتاب أن سليمان بن داود بعث به ووضع في هذا الموضع ووجدت أن الله
يستخرجه ويعمل بما فيه فأمر به فأخرج فإذا أول سطر منه الحزم انتهاز
الفرصة وتوقي الوباء فيما يخاف عليه الفوت وفي السطر الثاني الرياسة لا
تتم إلا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يغتفل الأمراء من تولى الأمر ولم
يصب من لم يتعب وكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الله ولكن أن
لم يزل الظفر ربما يحول بيننا وبين القدر وقد كان يستعمل الكلام إلى أن قدم
العراق فأعمل الفكر عن الاستغاثة بالحذر ونقل أبو مسلم قبل قتله
أن في بعض بلاد النصارى قريتين بينهما فرسخ وعندنا علم من النجم أن أول بوجه
أنه يأتي به فلقيه نظر الشيخ إلى أبي مسلم فقال قد تمت بالكفاية وقد نال
في الغاية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن يسكن حسبك وكان
قد عاينت ومسك فبكى أبو مسلم وقال لا أظن أموت من هزيمة ولا من
رأي ذليل ولا من قوم بعد رأيهم ولا من قهره فالحمد ولكن ما استجمع لأحد ملك
إلا انصرع في تصريفه أحد فقال فيما تراه مجهول قال إذا أتوكل التحقيقات
على أمر كان والتقدير يحثه من يحصل معه التغيير ولو رجعت إلى خراسان لأمنت
وهيهات فإن الرجوع وكتب إليه المنصور ما نقض ووجد إليه من يجلبه
فلولا أن النص يعمي أتى القدر لكانت هذه دلالة توقع موقع العيان
وبعث على التيقظ في الحذر والاحتيال في الهرب على أن لكل نفس غاية

Copyright © King Saud University

ولكل امر نهاية وقيل لجالينوس الحكيم وهو راس الطب وجليسه
به وقد نهكته العلة الا تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء
واذا قضى الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الامل وبئس الداء الاجل وقال
بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد في حجر عليه
مكتوب الحيلة خير من الشدة والتأني افضل من العجلة والجهل في الحرب
احزم من العقل والتفكر في العاقبة ماحقة الجزع وقال حمو بن سهل وجه
ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاث اسياف مع هدايا كثيرة على سيف
منها مكتوب اذا لم تنصرك بيدك فصلها بانفاذ خوفك وعلى الثالث مكتوب
التأني فيما لا يخاف عليه الفوت افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال العتبي
لمن عطى رايت بعمون زاهر حجر مكتوب بالحميرية ايها الشديد احذر الحيلة
ايها العجول خف العثار ايها المحارب تأنس بالتفكر في العاقبة ايها الله
افعال موجودة لا تنقطع الحاجة منها غدا وكتب قيصر الى كسرى
اخبرني باربعة اشياء لم نجد من يعرفها الا انها عندنا اخبرني ما عدو
الشدة وصديق الضعف وما مدرك الامل ومفتاح العجز فكتب اليه الحيلة عدو
الشدة والصبر صديق الضعف والتأني مدرك الامل والجور مفتاح العجز وقال
بعض الملوك لحكيم واراد سفرا اوصني على الشيء من حكمتك اعمل بها في سفري
فقال له اجعل لك خلفا زمام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك
وانا ضامن لك قلوب رعيتك ما لم تخرجهم بالشدة عليهم او تبطرهم بالاحسان
اليهم وقال الحسن بن علي فرات في كتاب حاوته ان اصح
ضعيف الحيلة انفع من قوي الشدة واقل التأني اجدى من الكثير العجلة والد
والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برايه عميت من الشدة

ودون

وكان المنصور ابو بن جهم خادما للفضل وضيع الحال وصحبة الفضل قبلها
اتى لابن جهم خمس عشرة سنة حتى حضر مجلس الفضل وفيه طلبت الوزراء على كرا
سيها والعراز يقف في مجالسها وفي مجلس الفضل ثم قال الحمد لله المامول نعمه
الموهوب نقمه الذي اليه بالرغبة اليه الموهوب الفضل بسعوده في الفضل حين رفع
قناته وعظم سلطانه وانا ربه البلاد واعاشر به العباد وقسم به في التدبير
وجوه التقدير فر عار عيشه ببعض نعمه وحماها التقلبات واورثها العقبات
وما جهله عن كثير والقيها بالرفق والهين نعما من الله تعالى عليه وتثبيتا لها
في يديه واسئله ان يبارك له فيما اتاه ويجيره فيما استرعاه ويرفع قدره في
السماء ويجيز ذكره تحت الماء حتى لا يبقى بيته الا ما وصلوا بحوله ما له
واستوهب له حيلة تنغيص فيها وقدرة لا قضا وعفوا ومكانا يوثر فيه وعلا
فيه تدوم بها البقاء وكتب له الشعراء وعزا يومنه من المطالب رغبة او هجوم بلية
فانه موفي الخير ودافع الشر وامر الفضل محشي فيه بتعبير الجوهري ثم تم دفع
هوانه سنة مع نيل كلامه ان يستوزره فلكه حيله وتبره فكان اول احل الحي
خاوج وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل
من فائدة هذه الشعلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هكذا لما عرف الله الا
بالجهل لا ترى ان الله خاطب اولى النهى وذوي الالباب وذوي البصائر و
ويجب على العاقل ان يحمد الله على ما اتيه هذه الشعلة من العقول والابصار
كما يحمد على جميع النعم وقيل لمروان بن محمد اخر ملوك بني امية ما الذي
اطار دولتكم فقال الاستبداد برايي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار الامداد
بالرجال والاموال قلت في نفسي مثل رجل يريد الاستكثار من الاموال
والجند فيما يظهر قبله امر فتنة الدولة فيه وهيبته من انتقض علي خرا

خراسان فما انتقضت دولته قال الواقدي قال الفضل بن سهل لما دعي للمأ
مون بكور خراسان بالخلافة جاءته هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة
ووجه ملك كابلستان شيخا يقال له ذوبان وكتب انه كان وجه بهدية ليس
في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا انبل قلت واي شيء علمك قال واي ينفع وذلك
حين ينفعكم وذلك انك تجمع مشيري المامون بخلعه وامره ما نزل واكرامه وكتمان امرهم
اجمع على التوجه الى العراق لقتال الخبيث قال ذوبان ما ترى في التوجه الى العراق
قال راي وثيق وامر وثيق وحزم مصيب وملك قريب والتدبير ماض فانفض ما انت
فاض قال له فمن توجه قال له الفتى الاعور الظاهر الاكثر ميسرة لا يغتني قوي
مرهوب مقاتل غير مغلوب قال وكم توجه معه من الخيل قال اربعة الاف صوارم
الاسياف لا تنقص العدد ولا تحتاج الى المدد فجهز المامون ووجه بطاهر بن الحسين
قال وفي اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع له الامر ويصير الى النصر ثم يرجع
ويقتل ربيع ويعرف تلك الجموع والنصر له لا عليه ثم يرجع العلاء اليك واليه يجمع
يجمع طاهر وكان النصر له وقتل علي بن عيسى وذهب الاجناد واستولى على عسكره وا
واموالهم فامر المامون وبان بهدايا الف درهم فلم يقبلها وقال ايها الملك ان ملكي
لم يوجهني اليك لانقص ما لديك بل لاجعل نعمته تسبغها وسا قبل ما بقي
بهذا المال ويزيد قال وما هو قال كتب توجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق
وعلوم الافاق ومن كتب عظيم ابو شروان فيه فضلا للفرس من ضروب الاداب
ما ليس في كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن اريب يوجد في خزائن تحت ايوان با
لمداين فيما سبا الهوان اعيني وسكه ابيوان لا ابلية ولا انفصال ... العمر
واقطع الجسر فاذا وصلت الى الشاحنة فاقلعها بغير الحاجة ولا تعرض لغيره
فلما ... وجه المامون الى ايوان كسرى فحفر وسكة فوجد و

صندوقا

صندوقا من زجاج اسود عليه قفل فتح منه فحمل الى المامون فقال هو ذا
بخزانة بغيتك قال نعم ايها الملك قال تخرجه فاضرب وتكلم بلسانه ونفخ في
القفل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقطت منها اوراق فقطع
منها ابتداء ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فاخذ الملوك وانصرف الى
منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسالته فقال هذا كتاب جاويدان خرد
تاليف ... فور الملك انو شروان وكتبت منه شيئا يدفع ... ورزيت منه وترجمها
ابن الخضر بن علي ثم اخبرت المامون فقال احسن ... الورقات فتقدمتها اليه فقراها
فقال هذا والله الكلام لا ما نحن عليه من تحريف اللسان في صحو الشدق افلا ولولا
ان العقول ... نقل ... بابه لا افوله فصل من حكم بـ
زرجمهر الفارسي قال نصحتني النصحاء ووعظتني الوعاظ شفقة ونصحا و
تاديبا فلم يعظني امر مثل الشيب ولا نصحني مثل فكري واستضات بنور
الشمس وضوء النهار فلم استضئ بضياء اضوى من نور قلبي وكنت عند
الاحرار والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني غير هواي وعاداني الاعداء
فلم ار اعدا الي من نفسي اذا جهلت واقربت نفسي من نجيبين ومن ا
الخلق كلهم فلم ار ... وشفقة ووجدتها الدوا لا نفس يحسبها
ورايت انها لا يا ... البقاء الا من قبلها فهتكني المصائب فلم ير ... مني
مثل ضوء الخلق وفعلت من ابعد البعد واطول الطول فلم اقع في ... اخر
من لهاته ومشيت على الجمر ووطئت على ... فلم ار نارا احر من ... اذا
مني وطلبتني الطلاب فلم يدركني قبل ... ونكص ... العذل ...
نالني فوهرفه من معصية ربي سبحانه والتمست الراحة لنفسي فلم اجد شيئا
اروح لها من ترك ما لا يعنيها وركبت البحار ورايت الاهوال فلم ار اهولا من

Copyright © King Saud University

الوفود على السلطان الجائر وتوحشت في البرية والجبال مع الطير او وحش من الغربى
الشتوة وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها فغلبتها فما غلبني صاحب
الخلق السوء واكلت الطيب وشربت المسك وعانقت الحسان فلم اجد شيئا
الذ من العافية والامن وتوسطت الشبكات والحبال والسباع فلم اجد اسامى
لا نفسا من الشيوخ واكلت الصبر وشربت المر فلم اجد شيئا امر من الفقر وشهدت الز
حوف ولقيت الخطوب وباشرت الحروب ووضعت الاقران فلم ار قرنا اغلب من المراة
السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم ار حملا اثقل من الدين ونظرت فيما
بين العز والكمي القوي وبصحح النسب فلم ار اذل من فاقة وحاجة وشقت
بالنقابات ورجعت بالجمادة فلم ار انفع من الكلام السوء يخرج من فم وعمرت الا
السجون وشددت في الوثاق وضربت معوا الحديد فلم يهدمني مثل ما هدمني الغم
والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للعدة والشدة والنائبة فلم
ار شيئا هو من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم ار اغنى من القنوع
وتصدقت بالذخائر فلم ار صدقة انفع من رد ذي ضلالة الى هدى ورايت في الغربة
والوحدة الغفلة فلم ار شيئا اذل من مفارقة الاهل والشرة وشهدت النبلاء
عن بعد واذكر فلم ار شيئا ادفع من اصطناع المعروف ولبست الكتان الفاخر شرحها
فلم البس مثل الصلاح وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم اجد شيئا احسن من
حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك فلم اسر بشيء اكثر من الخلاص منهم فصل
من حكم شانا انها السنه لعدله فمنها الهندي فانها الدواهى عثرات الزما
الزمان وتحشر تسعد الايام ونوم عقبة الدهر واعلم ان لكل عمال جزاء فيه تواقعه
العواقب وللايام عثرات فكن على حذر ولا فات تغتنن واستعد لها وللزمان
منقلب لو اتى من حذره ولنة ولسيم الذكرة مجف سطوته فهي لجمع الجهال فلاناس

دولته

دولته واعلم ان من لم يتداو نفسه من سقم الايام في ايام صحته فما ابعده من ال
الشفاء في دار الاخرة واو لدنيا وضراعة الدنيا والسبعين هذا فيما يقدم من خير
لنفسه بان يفعله وكم من ليلة من لم يضبطه بنفسه وهو واحدة لم يضبط هوا
فيه وهي خمس واذا لم يضبط هواه مع كثرتها وخشونته فيها فكانما
عامة الرعية في فواحش البلاد واطراف المملكة ابعد من الضبط فليبدا
الملك بسلطانه على نفسه فليبسر من عزه واهواء نفسه الا بالعقل من نفسه ثم
يشرع في قهر هواه الخمس لان قوة الواحدة منهن عن صواحبها فقد تاتي
على النفس الغوية الجبارة فكيف اذا اجتمعت خمس على نفس واحدة واعلم
ان لكل واحدة منهن شرها ليس للاخرى من فيها اسلم من شرها وانما يهلك
الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويعجبه
ضياء النار فيه فرامنها فتحرقه والظبي على نغمة فيه وشدة عندها لا يصغي له
المسامع الموتى الملاهى فيتمكن القانص من نفسه وذباب الود والمتتبع لطيب
يطلب ما يعطي من رائحة الطيب الرائحة فاذا فيه طيب رائحة المسك فيهيه
لطيب الشيء عن الاحتراس وتعرفه العسل لذته فيقع في الصحاف فيقع
عليه ضربة الاذى فيقتله والسمك في الشبع لما يعجبه لذة الطعام ان يبتلعه فيحصل له
الضار في جوفه فيكون فيه حتفه قال وخصال معروفة فقيت ما لا م
الا فيها ملوكا معروف فبئس الصبر ما فيه بذلة الملك واما مراته في الفجار
ما فيه فيبتك الملك والا مراته في الشكر ما فيه هلاك الملك وشدة الحرص
ما فيه مهر بن الغضب الفرحي والطمع وابن البرج والكذب والا العنة تونس
بخصال والتواني وهو نقوص واخلق بخصال ان تتعب ملوكا ان يجتنبها الملوك الرعية
تستخص الى السلطة العدل والعدل اخر لعل من ابغيته لان بجمعة الغيث وفي

Copyright © King Saud University

معلوم وعدل العلماء على الدوام لا ينبغي له وقف وتشبيهه بالفلك ان تشبه تصاريف تدبيرها
بطبائع ثمانية اشياء منها الغيث والقمر والريح والنار والارض والماء والطين
اما تشبيهه بالغيث فلانه في اربعة اشهر من السنة وينفعه بجميع النفقة كذلك ينبغي
للملك ان يعطي بعض رعيته واعوانه في اربعة اشهر تعديد النفقة السنة ويجعلهم
وبعضهم وضيعهم في الحق الذي يستوجبونه بمنزلة كما يسوق المطر لينتفع
كل احد منه بقدر غايته مستقبل ومعهم كلاما بابه على قدر حاجته ثم يستجبي
الملك في الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تجتني الشمس بحرها وحرارتها
نفعها انه اول الغيث في الاربعة الاشهر الامطار واما تشبيهه بالريح فان الريح لطيفة
المداخل فتتوغل بواطن الابدان فينبغي للملك ان يكون له جواسيس فتتوغل على
قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يخفى عنه شيء حتى يعرف ما يأتمرون به في
بيوتهم واسواقهم كما ان القمر اذا استهل اتمامه فاضاء واحتمل نوره على الخ
الخلق وسواء الناس بضوئه فينبغي ان يكون حجبة الملك ورعيته واشرافه في
مجلسه وابناء سه وعينه في بشره فلا يخص شيء بعده ومن وضع بعوله وكذلك
رض في كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة وكالنار على اهل البغي عارك و
والفساد وكما فيه العموت في الثواب والعقاب فيكون عقابه لا يقصر عن اقامة حد
ولا يتجاوزه وكالماء في لينه لمن لانه وصدمه البيوت واقلاعه الشجر بحارته
واعلم انه يجب يكتب السلطان في نشر سيرة اعوانه ضرب بنفسه ان يجتنب من
هود نحا عليك بالجماعة لمن نكد مع به مواصلة في الاسفار نجوا والاخبار
اقسه كل حبيب من ليس له ادب افضل الاعمال صيانة العرض بالمال من
ذا الجهال بذي معقول فيس بعقله مثل البرد مزجا لمن العقل فليستعد
لقبول وغرار ما جاء عند الصبا مثل الشيبان ولا نقل عند البهتان مثل البرهان ثم ينبغ

كالعون

من العون غني بماله ولا فقير الا فلا اذا ادركت كهر داجي فعمه الاعوان كثرة
العقل ابدا افضل كبر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين التشبيه
ايالك والخديعة فانها خلق اللئيم محض اخاء النصيحة حسنة كانت
او قبيحة رب سباب فوهاجه عتاب اثنه ودابة العقب سبب الحرمان التوانا
مزهال يوفي قدرته استعمل الحرمان من جهله ساه ومن نقص ازداد لا نرغب
فيمن يزهد فيك ولا يبعد اقرب من قريب المزاح يورث الضغائن فعل العرابين
قبل التجريف وعن الجار قبل الدار غشه خير من نصيحتي نجرحه من احد العتبى
ادرك الفضل اسير عورة اخيك بما تعلم فيك لا تكثر المزاح فيذهب هيبتك
ولا من الغضب فيستخف بك من اكثر من شيء عرف به كبا دالعلم ملكه الا
المنة تهدم الصنيعة نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة ربما نفع غير الدا
ربما غش المستنصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من الكلام لا تفرح من التجاهل قرابة ولا جوار ولا الفا بعدما
تكون من النار اقرب ما تكون منها ربض انه لن تلزمك المهابة مجا
لسنة اهل الريب على كل حال فانه ان يسلم دينك لم تسلم من شهوة المقال
الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة اكرم الصنائع سلامة الصدور لن
تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عمر الا بما لم يرد الرواية فعقله
العزى معسرة العقل وفضيحة المجهول كثرة النوم اماتة القلب تنبه
الحذر ربما على ضعف اليقين مجالسة العقلاء والسفهاء تورث سوء الخلق
الدليل على العقل اعجاب المرء بنفسه من لم ينتفع الحديث ارفع عنه سو
نته من حدث من لا يفقه كمن قدم ما يدله الى اهل القبور من قطع عنه العون
فلا تصدقه فليس بصاحب ادب ومن عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب

Copyright © King Saud University

لم يجز صدقه من وصل من يحسد له فوق عدوله وقص بنفسه :: اغتفر زلة صد
يقك :: من غضب من غير شيء رضي من لا شيء من غضب على من لا يقدر عليه طال حز
نه :: الرجل عبد هواه :: لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من هرب رزقه
كف كظمه :: كفى بالفقر هلاكا :: نعم الغنى فضيحته :: من تورع في كلامه امن
الخطأ مجموله :: كل شيء لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب :: اذا غلبته امرا
نلى على امر بجاهرها فانها عدوتها :: من لم يجرب الخير من الشر فاحقه بالبهائم
من طلب ما عند البخيل فهو كطالب الرجل الجواد كعبا ورائحتهم لا تجاوز العطش ملت
وجار البخيل في العمارة هالك :: اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فات اهل
القبور :: من عادى من هو فوقه ابغضه من تحته :: الرزق مقسوم والحرص محروم
من كثر كلامه على الناس غش نفسه وابغضه الصحابة :: العلم زين ومنفعة
والجهل شين ومضرة :: العالم ينفع نفسه من النفس :: والجاهل يستطعم الشر
من برح الندى بيتس بنصيب من المودة :: اذا كان له جار او صديق لا ينتفع
به فصور مثله في العاقبة فانه ازين للعاقبة واخف للمونة :: العاقل يرغب في
اخادع والجاهل يهرب منه :: العاقل اذا باته الادب لزم الصمت لا تستنطق
من تكذبه :: العاقل من يتهم نفسه في رايه :: والجاهل يقيم على جهله :: من لم
يكمل عقله هلك نفسه :: من الخطأ محاسنه ومن مساويه كمل عقله من غلبه
هواه اقتنع ومن استشار رعه ولم صديقا من نصيحته :: مصادقة الكرام غنيمة
غنيمة :: ومصادقة اللئام ندامة :: لا تدخل على صديقك التهمة فيمنع له
من النصيحة اذا انقطع رجاؤه ومن صديقه فاعرفه بعروته :: من طلب من
اصاب من الاخوان بغير شيء فليصادق اهل القبور :: العاقل من في مصادقته
مخادعة :: راس مال الاحمق الخديعة :: وما ارك الغضب افة العاقل

راس ماله الصمت :: وما ارك الحكم :: اذا جهل عليه الاحمق فليبشر له صلاح الا
امر في والعصيد يوكل امره الى عقله :: وعد توكل امره حمقه :: ومن انزل
نفسه عاقلا انزله الناس جاهلا :: ومن فرح بكثرة الثناء عليه الخصم للناس
وفاعه :: السكوت عن الاحمق جوابه :: والسكوت يزين الاحمق والكلام
يفضحه من استطال عليه بقلبه وتعلق بعضه فلا كثر له فشله في الدارين
الجواد محبوب :: والبخيل مبغض :: اذا احصلت البخيل فقربته ابد البغيض طلبه
من وقع عنده مثوبته امتنع مودته :: ضيعه البخيل اكثر من نفقته :: عدة الكريم
نقد وعدة اللئيم تسويف :: الكريم يواسي اخوانه في دولته :: واللئيم
يقطعهم :: لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك شيئا :: انما الصديق ينفع الى
ما له عند الحاجة :: اذا صادقت الوزير فلا تغش له امر :: من لم ينصحك في
الصداقة فهو عدو :: ومن غش في العداوة فلا تعد :: من كان الناس عنده
سواء لم يكن له صديق :: من طاوع الاخوان فاصحبهم كلامه طاعة روى
لم يواس الاخوان عند دولته دخل لوله في نكبته :: ايا كان تنفعك في مودة
من يحسده فانه لا يفلح :: ومن حسد على علمه لم يسمع حرفه ::
الجاهل يفرح من خطئه ويعيب صوابه :: من بخل يجهله فكل فيه يجهله
تعم اول المروة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة العجاجة
العاجز لا يبالي ما قال والورع يقعقعه كلامه من شغل شعرولا فقه
الحمق فعله :: ومن صبر على شغل نفسه نفع نظر الى محنة غيره :: من
لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه :: من استطال على الناس بغير سلطان
فليصبر على اثره واتهوان :: لا تحقر الفقير الشرى ولا ترغب في الغنى
الدنيا من تشبه بالشيطان وغلبت عليه الدنيا آذات فلا تكرمه ::

من ابغضته انكرته ومن عاتبته عاتبه :. ومن تعرض لطالب اتاه ولم
انقلب بهزيمة :. من ضايع بماله لم يحتشم من طلب حاجته :. من طلب الله
الكتاب توقوه :. ومن عاداهم انكروه :. ومن شنع عليه بالبعد وبعض
ببصره ولم يدخل عليه بضله فلتعض عليه تسلطه الشحية بقطع مودة
لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروءة تفعله من سالم الناس غنم
خذلان الجار لوم :. رجلان البلا فقيل الاحمق اخوانك نذ العدا او الدا :.
احمل النص على ما لا يتولاه منه :. المحروم من كان نصيبه وكان بحر تشبه لا
قوي اقوى من قوي على نفسه :. ولا عاجزا عجز ممن عجز عنها :. الغني
في اهله غريب :. والشر من اهله قريب :. ما اضعف قوة من يغالب من لا يغلب

:. الباب الرابع والستون مشتمل :.
:. على حكم منثورة واحاديث مشهورة :.

اعلم ايها المريد ان الله سبحانه يمتحن اولياءه واصفياءه بالاعداء ليه
ويستخلص اولياءه واحباءه له الى اعدائه وبعضه ونفي بذلك لسبيله وتمحيط
شهوات اولياءه وخذلانهم عنده وزيادة لهم به قال الله تعالى تعزية
لنبيه عليه الصلاة والسلام تعظيم ما كان يلقاه من سفهاء اعدائه وكذ
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وقال سبحانه وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا فيا محمد لا تستوحش منهم فهم في سبيل نبيه قبلك سيرتنا فيمن
نعبد ويحبنا في البلاء على وجهين احدهما كفارة للذنوب والاخر رفع
درجة وخوض اجر ولذلك كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون
ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاءان بلاء رحمة للتضعيف درجة وتمحيص

سيئة

سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واقـ
واقتراف معصية ومن تغفوا الامكارك لعادتك رحمة بلا رغبة تماما نعم
الله به منها او لسيئة عنوا اضاعة ولا غنى عن زجر عنها وواعظ في
تنكبها فلا يخلو احد كان حاله اعظمك به المنة ووهبت له به النعمة
وكان جعفر بن محمد اذا وقع في شيء يكرهه قال اللهم اجعله ادبا ولا تجعله
غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المومن في
راس جبل لقيض الله له من يؤذيه بيا من ضاق صدره وخرج قلبه
وفاتت خليقته من كيد واقلقه وهاله حسده لكيب نفسا وقر
عينا وانعم عيشا بشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بالايمان
وبعد وفي البلاء في حال غفلتها اما ان في الانبياء الثلاثة اما لا في
التطهير فذلك فلو لم يلق الله تعالى من الحسنات الا بما افتن قبل للمغيبا الله
تعالى فقراء من الحسنات ثقلاء من السيئات :. قال الناظم رحمه الله
:. قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم :.
وقال بعض الحكماء الذي رايناه ما نحب فيما نكره اكثر مما راينا ما نحب
فيما نحب وقال علي رضي الله عنه ما يهمني ذنب امهلت حتى اصلي ركعتين
وكعتين اسجوه فيوم الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء :.
ما اسعد الناس من كان الفضل له وكان لمسعاته اصلا غلب على
الكريم من جد والبه :. الشماتة لوم :. عوام الناس عدو لعقوا صحيح
الغني وبحسب القدر :. من سجر من شيء خاف به :. ومن عجز من شيء تمنى
والناس نهب المصائب :. منع اكرة الرجال فلقيح لا لبا دهاه :. افل
ما في طلب الحيلة الخروج من الاشكال :. حاد العقوبة على

نفسه اعظم جرما عليها من المعاقب له عليها :: فرب نعمة جرت منفعة مليئة على
عظيمة :: النعمة منعة تجعل ادب النفس ما كرهته من ثمرات المحنة شئ
نوع الجهل ترك الغنة قوام الشبع :: فان الب لم يعقب في العادة كمين يوم من ار
ازدحام الكلام مضلة للصواب :: تجلوا العزلة قبل سوء الظن والمحاولة انتبه الى
اعجب ما في الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له
الرجاء اذله الطمع :: وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان تملكه الا
ياس قتله الاسف :: وان عرض له الغضب اشتد به الغضب وان اسعد بالرضى
نسي التحفظ :: وان ناله الخوف شغله الحذر :: وان اتسع له الامن سلبته الغرة
:: وان حدثت له النعمة اخذته العزة :: وان مخر بمصيبة فضحه الجزع ::
وان افاد مالا اطغاه الغنى :: وان عضته فاقة شغلته :: وان جهد به الجوع
قعد به الضعف :: وان افرط في الشبع كظته البطنة :: فكل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد البصر القول بديهة امور يرون في مقاوم
خوف :: اشد الناس عقلا الذي يرى غيره في الموضع الذي هو او من به
:: ما اخذ الله احدا كما فته الا رفع عنه كما عنته :: من العجب ان نرضى عن
من تغضي وصاله :: والعجب من الامر لمن تسخط عليه :: زهير لا سيما
يشبه صولته :: علامة العلم التعلم :: الا عراض عن العباد هذا لا تعا
دوا حتى تروا :: لا تعجلوا حتى تفعلوا :: وكانا نعوا حتى تطلعوا :: اوجه
الشغل مراوله الشاهنة نار الناس لا عوان على الحاجة اليهم من يستنفع
كالمحتمل ترى بكتنف الصدر فقتلها الصدر بحيث رآينه وبرهاه
ويبسه وينتفع الصدر بها لا يقرب منه سوبرية قطعه وليكن له
مع قطعه تشعه ليلا يجترا عليه فان الفرس يستنا بالطرب وبضربه لاكن

الشمس

١٩٣

الشمس يستظل منها ويسكن حرها :: وقالت العرب في مثل هذا لا تكن
حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ :: اجعل لكل طبقة من اعوانك شبها ههم من
اعوانه يسوسونهم وانهم كالعماة في الماء ان لا حيلة في اخراجه ان
ارفق من العلة الذي هو في جنسه اذا عاهت وجلا فاستوس دونه من
احدا فعسى يتنفع فان الشيب العاقل من جنس العرق الوافي :: لا
تطمعن في الكذوب والمطبوع على الشر ان يطيعها الاحسان فانهما
كالفرد كلما سمن بالطعام الحلاوة والدسم ازداد اعوجاجه فيما
فد مرة كيف الجمع الواحد اذا كان عاقلا كما يزجر شجاع
اذا كان واقيا :: غاية ارى لنا سر ان يقتل بسهمه واحدا ولكن نصيحة
عاقل فهم تقتل الجيش باسره :: العدو الشريف العاقل لا تبعد فيه
فوح اهل البغي فيمن انقطع اليه ولزمه كالجوهر المضي بنوره
لا تطفئه عصوف الرياح :: من كان قابلا لما يورد عليه من نقلة الى
كل قول يسمعه كان كالسراج يصيبه ريح لينة ثم لا يلبث
ان عصفت الرياح ان يطفى قد يسر الملك الحازم لسلطانه كتعاهد
صاحب البستان يخرج ما دخل عليه انه وشوك شجره فيحيطه به على
ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد كما ينتحب الملوك لا هل الـ
الشكيمة والبسوقة فيجعلهم في افاصيه وحدود ممالكه اذ ا
للمملكة و فكر الملك اخذ ربما يكون امن ما يكون وقد قال الشاعر
:: امنتم صروف الزمان بنعمتم رب خوف مكمن في امان ::
هذا فتاها ان الملك اقامت القرودة على فراشه رجلا فلعل رام فراشه
وثب عليه فقتله :: فراح الملك فقتلها امراة تخبئ السموم روزق

الملك فقتلته امراة بعد بنة حبا تتهاديه عقاصها. واعلم ان العدو في علم منك
مواضع الخلل وحالات الزمان والمواضع التي يكثر العدو ويمكن فيها الغفلة حذر
منها **فصل** قال غيره ينبغي ان لا يكون للملك ايام معلومة يخلو فيها
فان في ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعرف ذلك اليوم شغل فيهم او يقع انه قد
في الكسل او نحوه مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن
الظهور في ذلك اليوم لا مرض ولا اعنا في الرعية وكثر كلامها وقالوا به
مرض او مات او اصابته افة فيكسب العدو جرأة وسرورا ويكسب
الولي حزنا وجبنا ومنها انه قد اعد عدوه اليوم فيتقيان فيه ولا ينبغي
ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا
قال الحكماء انه اذا كان الجهل كثيرا والعقل قليلا صعب الخطب **فصل**
ومن حكم اكثم بن صيفي من قصدت بكمال ثقته كذبت ظنونه بالنعماء افضل
من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه.
العديم من احتاج الى لئيم. من لم يعتبر فقد خسر. ما كل عثرة تقال
ولا كل فرصة تنال ولا فار بمن يمرن به حياء. قد يشهر السلاح من اخف
في بعض المزاح. من وفى بالعهد فاز بالحمد. العوان لا تعلم الخمرة. بلهوان
طول الغضب يورث الوصب. رب عنف اشد من رفق. من اصطنع قوما
احتاج اليهم يوما ما. الكذب يهن والجبن يغن. من لم يكف اذاه
لقي ما ساءه. الحر يتقاضى نفسه. واللئيم يستعمل تسويفه و
وعده. وليس بانسان من لزم الحقد ولا استغنامه لزمته النقيصة ولا سلا
منه. فصل ولي من مواعظ الاخرين. لا تبحث بوضح الحق كما يورى النار
القدح. ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع الشح عذل.

قال جعفر

قال جعفر الصادق وعجبت ممن ابتلي باربع كيف يغفل عن اربع من ابتلي با
لضر كيف يذهب عنه ان يقول رب مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر **و**عجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب
عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى يقول فا
ستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين **و**عجبت لمن ابتلي بخوف
كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء **و**عجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه
ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما
مكروا **و**عجبت لمن انعم الله عليه كيف يذهب عنه ان يقول ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله لانه كما افتتح الحق سبحانه
فمن صدق قلبه في اللجأ اليه ولم يتوكل في شيء الا عليه **اليمين** مائة
ومنعة. الدول العوارض سحابات من ضيقة او فقد دم غائب بعد ان حجبت بالية
بين عينيه الركائب. واكثر العصاة يظفر على فتوكه الطبيعة لغلبة المروءة
فاصبر لعزوجب عليك وان خالف هواك فيها. المجلس الكثير عيب بالرجل
النافع لمنفعته راحة وروح. العمل النافع بالرجل الجد مركبها ذا
التاقون والقوة في ثمان الطلوع. ما انور الهدى ما اظلم العمى ما اكرم
التقوى. ما اخدع الهوى ما اتعب الغنى ما اسرع البلاء. ما اجهل
الصبا. الجود ان تنقض للروح حظ الجسد. **و**انما سراب ان تنقض له
الجسد حظ الروح. والعدل ان تعطي كل واحد منهما حقه. والشح
ان يكف حظوظهما عنه. عدو يغاب الله فيما يكره خير من صديق
يغاب به فيما يحب. من النجح ان تطلب في صحة كل علم ما ينفعك وتقبل العلم

الى الله تعالى من غير بحث عن محنته :. لا يرعى الباطل فقد ترى به ويكسب
احذر ان يصدع عليك بالحق ويشهر عليك وجهك وعيناك :. من يحل
وشاءه بكثر منحه :. الراغب فقير فقد رغبته :. الحق يعطي ويمنع :. تجا
وز عن ذنب الناس تفتح عليهم :. واجتنب الذنوب لتقل حجتهم عليك
الفراغ الفاضل على الحاكم معصية :. المحبة لهم اليقين العرف بنفسي
المجتهد في العلية كلامه وسوء بينهم وبين الشبهات في احكامه من
في عزه خير من حياة في ذل ان كان من كل نعمة جنا عون ما طاع امره
عرف قدر نفسه :. الدعة الهنية تكون بعد انقضاء العمل لم يعد رفق
الغير صاحبه حتى يعد رفقه :. خير الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة
:. الحاسد يظهر وده في كلامه ويخفي بغضه في سمه الصديق ومعناه العدو
:. والرياء يفسد العلانية :. والعجب يفسد عمل التي يراه :. اذا كثرت القد
رة قلت الشهوة :. من عرف قدره كفاه نفسه :. كفاك الظلم شغلا لك
للمذنب الى العلم :. لسان الجاهل يبل حنقه :. لا ظفر مع بغي ولا محمدة
مع نهم ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب :. من لم يعرف قدره فلا يعد
نفسه احق ما رد ما خالف شهادة العقل فهو خصم وافسد الدين
رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس الى جهله بنسكه
وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه :. من قوي هواه ضعف حزمه :. من كظم
غيظه ضعف كيده :. كفى بالظلم طاردا للنعمة وداعيا للنقمة :.
من قبل صلته فقد باع مروته :. الهيبة تعزل عين الحكمة :. عدو الرأي
خير من استكراه الفكر :. ما استنبط الصواب بمثل المشورة ولا اكتسبت
النعم بمثل المواساة :. ومن لم يوجد بالدنو فقد كفر :. من استغنى بالله

اتقى

افتقر الناس اليه :. التقصير مجحد عن الصواب :. لا اطرك بفعل في
الحكمة :. ثلاث خصال ما اجتمعن الا في كريم حسن الصبر و
واحتمال الزلة وقلة الملالة :. كفى مخبرا عما بقي ما مضى و
وكفى عبرا لذوي الالباب ما جربوا :. التهاون بالفلوس اول
سبب حرمانه الشبهة ظلمة لم يضيع صواب العقل حتى يضيع صواب
العمل :. خير الامور ما امن عاجله وحسنت عاقبته :. لا شرف مع سوء الا
دب ولا بر مع شح :. ولا اجتناب محرم مع حرص ولا محبة مع زهد :.
باجالة الفكر يستخرج الرأي المصيب :. ويحسن التاني تدرك المطالب
وبالنعمة يكثر المواصلون :. الفاحشة عار به وعقوبة عمن الشماتة
تعقب الندامة :. ومن شعر الشلو قال الله تعالى اذا نسي منكم كما تسخرون
اذ افقهو التفضلون فهلا تعملون :. رب صبابة غرست من لحظة وحرب
جنيت من لفظة ما انا هو على غايب بادى من ضرره على قلبه :. اكثر العار ما
لا شفق منه :. افضل الحال ما صين به العرض :. وبالافضال تستبق الاقرار
الذنب يكون سبب افساد نفسه ادم من يحسن العدو والولد هل :. لا تعود
ودبعة مالا :. الشهوة رق الحرص تعب يعز عن الاحسان وعن الهوى
العبارات :. لا شرف اعلى من الاسلام ولا عز اعلى من التقوى ولا شفيع انجح
من التوبة :. اولى الناس بالامن من حاسب نفسه :. الخير موضوع من ارادته وموجود التوبة
لمن عجز بالرغبة مفتاح النصب ومطية التعب :. الحرص داع الى الحرمان
التقلل بالحسنة تنفى السيئة العقوبات بالسيئة دخول فيها البغي
سابق الى الحين :. اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود :. حف العدو موم الله
ثب وحف انهم حق المعونة :. من العمل واحمد الفعال الرح عند الحزون

Copyright © King Saud University

يغفر عند الفرج ويشكو للمكتسب :: أعظم الناس قدرا من لم يجعل
الدنيا لنفسه قدرا :: ما أحمق من يحوز بدعة لما تزول لها سنة ::
عز أتم الأمور خيارها وصحح ثوابها شرادها :: الملك يكتسب من العافية
والعامة يتقون من كسبهم :: من أفنى عمره في جمع المال خوف العدم
فقد أسلم نفسه للعدم قال الشاعر

∴ ومن ينفق الساعات في جمع ماله :: مخافة فقر فالذي صنع الفقر ∴

ومن لم يقدر على جمع الفضائل فليتق رذائله فترك الرذائل إن لم تكن
منها تنصلح ولا تكن حاجبا لنفسك :: استصلاح بعض العدو أفضل من هلاكه ::
من سعادة الولاة أن يكون عدوه ويراجع عدوه ما يسره :: أهل الكتب مراده
إذا عادى فأرنا النظر فيه زاد همته ووقع على ضده تغل الأعمال
من اتسعت مروته وضاقت مقدرته استحي من الله بقدر قربه من غلظه
واخشه بقدر حاجتك إليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك
على النار واعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للآخرة بقدر بقائك
فيها العدل ينفق بكسب :: والعامة تكسب تنفق :: الطاعة بقدر النطا
قد :: يحمد زوال النعم إذا ران معها التحصن أو لم الأمور بالم أوجبها
عليك أدبا العافية والشباب والصحة والسرور الأمن :: إذا أقبل رشا
مرشد وإذا أدبر صدع :: إذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية وإذا جار
لم يملك منها إلا الرياء والتصنع :: الصدقة من سعة والبدا من تعول
:: إذا أصرت النوافل بالفرائض تركت النوافل وقد عمت الفرائض قدر الرجل
على قدر همته وصدقته على قدر مروته وشجاعته على قدر أنفته وعفته
على قدر غيرته :: من أطاع الواشي ضيع الصديق :: من جهل نفسه هلك ::

من حسن الظن روح عن قلبه ترم الله ما اتم مكسبه وهو من منفعته
انتفاعه :: ومن نغوصك بلية فأمنت بواكيه في زاهرها :: لا ترجوا خير
من لا يرجو خيرك :: ولا تأمن جانب من لا يأمن جانبك :: فادة الطالب
خيرا أرجى بالعودة من نا وكم خورا :: ثمرات الشهوات الخمار في
الخصومة تعرض القلب :: أعم الأشياء نفعا فقد الإشراف من استكفا
الكفاة كفي العداة :: خير المال ما أعانك وخير منه ما قوالك :: صولة
الكريم صيلم :: خوف الأسد خير من الأسد كلب :: بهيمة البحر بعد أهل
من العرض من استشغ بربه خففت وكان على عدو أمه :: أتعاله منع بنا
ما أصبحت به مثواك :: من أمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه :: كما
يجب أن تكون المرء أن أصواتها ترحيبها فكذلك يجب أن يكون
الموت في أفضل ما يوجب من ترك العمل بما ينبغي عمل بما لا ينبغي :: لا
يبرح الشرا سواه ولا في الخفا فوقه :: لن تكون لله تعاما حتى تحب عد
ولا إذا أطاع الله في عدوا وتأتي على عدو وتنزع عما على عليه
وتغضو لينا إذا عصى الله في موالاتك وتنزع عما والا عليه :: لم
تكن على الأعداء أقوى منك على الإحسان :: الشقي من جمع لغيره
وضيق على نفسه تجبره :: شر أخلاق الكريم أن يمنع خيره وخير أخلاق
اللئيم أن يكف شره :: من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ::
ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته :: أفضل العلم وقوف
الرجل عند علمه أفضل الأعمال ما أغضبت به الخفوف :: البدع مخالفة
قد جعلت عليها الأعمال ظاهرة :: وجلاء العامة أمينة على صفة
وجلاء الخاصة يقين غير تعة :: القليل من المال الكثير غطاء الطمانينة

وسؤله فترة :: اذا كذب السعي بطل التدبير :: اخبث الازمنة زمان لا ينتهي فيه
ونصواب(؟) :: لا تعطوا في الفضول ما فيه التعجز عن الحقوق :: الاذان اصداف(؟)
تؤدي الى القلوب فوائد تعي :: من اجتنب ان يسمع ما هيا لم يخطئ وهلك(؟) ::
لا ينال الهدى من التوفيق :: البلاء الجلاء :: من عرض نفسه للتهم فلا يلو
من من اساء به الظن :: الكتبة قيد العلم :: الدراسة اذكى للفهم :: الحفظ
منه احياء للعقل :: استدم النعمة بالشكر :: والقدرة بالعفو :: والعطا
عن بالتذلل(؟) والنصر بالتواصل والرحمة للخلق :: استقلال الكثير يعرض
للتغيير :: ثلاثة اشياء يستدل بها على عقل اربابها الكتاب يدل على عقل
كاتبه :: والرسول على عقل مرسله :: والهدية على عقل مهديها :: لم يجع
على العقول عاقل كالعين :: ولم يحكمها محكم كالتجربة :: من عاب سفلة
فقد رفعه :: ومن عاب شريفا فقد وضع نفسه :: اعوز الناس من بلغ من علي
انه نبيا اهل الاخرة تخ من عنت فراه(؟) :: وسفه من شغفت بقواهله(؟)
بالكلام يعرف فضل العقل كما بالموصول يعرف قدر الفهم سل صلاح(؟)
امركم انه من عصمتكم التقوى ومنكم الاذى :: هون اعراضكم
الحلم :: اذا اعطيت مالا ترضى فارض بما اعطيت :: كلما زاد الغنى
كثيرا كان الخارج اعظم حسنها(؟) :: ويقدر السمو في الرفعة تكون وقعة
الوجبة(؟) الاتفاق على الفعل اشد من الفعل :: من اللوم في فرد الاعمال في
التوبة قوة الحرمة والتزام سنته في المروة :: كما ان الثانية(؟) البركة عريضة في
الديانة لا تعد حز امرءا بل كثير من قدره فتكون مهينا لنفسه ... ا
على غيره لا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدري متى تحدث لك الزمان بك :: من
اغضب(؟) الكلام في الامر لجبسم من غير مشاورة اكثر الناس ... عنه

نفسه

لنفسه في امر جسده بعد المجنية(؟) في امر مروته عقل الشهوة في ام
دينه عند الشبهة المصايب يغتنات :: العاقل المبدر ارجى من الاحمق
البخيل :: اشرف الصنائع ما لم تكن مكافاتنا لعاجلها(؟) ولا رجاء لباق ارض النفس
فهو كلية واحس الملهي(؟) :: لم اسمع منه لم تكن غواية ولا هدى ايه انا والبعد
سابق وعقبيها ناكص :: احسن ما اذا ابحر يعرضه عن الغابات(؟) واحسن ما
الى التقصير فعنه على معاودة المسئلة ليس يغني ان يكون ماله ...
عقلا بغير ما ينبغي ان يكون تاركا للنهي :: من صنع خيرا فاضعف(؟) ... فلا
يعجز ان يكون مثله :: الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم
كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويدع الصحيحة :: الكتب كمل
فطنة ما جمعها عبارة مع حلم ورفق :: فاذا خلت الفطنة من التوفي
فصاحبها لا يستمتع به اهل المروة :: واذا خلت الفطنة من العبارة
وقارنتها ملاحة فصاحبها حبيب للنفوس فان كانت الفطنة معها بعض
الاستنزال بالالفاظ التي يرتفع عنها اهل العلة لئلا يفلتين(؟) في
طن الدنيا والعسر سيلين في ظاهر الحال وسمعت القاضي ابا العباس
الجرجاني بالبصرة يقول اول من تكلم بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ونوال(؟) الله انا امس عشاري فقال الذل السوقه قلا فقال لا وقد علم انه الذي
جهد البلاء الاقلال والعيال :: ينبغي للعالم ان يتعاظم على الجاهل بقدر ما
رفعه الله عليه العقل في الحكمة وما ادب من الحسن الى الصالح والثياب :: الى
اعظم الناس غما من ابتلي نعمته وبغيث شهوته وفاقت همته ::
فلذة الغنى البعيد دون معاجلة الموجود خير من انتظار المفقود :: من

Copyright © King Saud University

عدم الحياء عند الفضيحة والصبر عند النصيحة سهّل الله عليه العناء
كلها العالم مثل السراج اقتبس منه من نفعه بحسن النية نصره التوفيق
لن تكون ناصحا حتى تحب أن يكون له عدو مكبتا ::
مزاحم الناس بلا سلطان كان مصيره الى الهوان ما حققتها ليس فيه
فخاطب نعم لم يجروا به ونووا به سا فكان عنه :: الفكر وانه يعذب النار
الا هذا ان تتبع صدقه من مانه يوتى الحذر :: العاقل يعتمد على القوى وهو بجوابه
للعادة والمحبوك للعدو :: ومن غضب على من لا يقدر على غمه عذب
نفسه واشتد غيظه :: اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك وانج بترك
ما لا يعنيك دون ما يعنيك :: من انكر الاشياء الى عد ولما ان قربه انه لا نعا
دونه :: كل ات قريب وما استغناه عن الشيء خير من الحاجة به :: من نصح
ان تسمع بمكر :: لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى :: شر العيوب ما
كان مصيبا للعيوب :: شر الذنوب ما كان عند الذنوب :: ابلغ الرسل
الكتاب :: هاون الامور بالنصيحة وانا له زعيم بالظفر :: من اراد جمال الايام
نهوده الايام فليصحب المروءة والصيانة فهما زوق الشرب :: رب امر
له ما بعده من سبق اليه كانت صعوبته :: من شرف المروءة الفقد بين الضعيف
:: المروءة ترك الدنية :: بكاء استنقاذ القوى على القوى ان يجون خلعاه
ويكاد استيفاء الغنى من الفقير ان يكون جورا :: الغدر ان كان ظاهره ايبقه
وما هنه عميق :: اوله عقم واخره عقم :: العباد نه على الطعام من زيع
في الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل الانقباض :: لن تنال ما تحب حتى
تصبر على كثير ما تكره ولن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير ما تحب :: ذه

ذهاب

١٩٨

ذهاب البصر خير من كثير من النظر :: لا تعقد العزم عزما اذا اماق
غموما :: مع الراي الا وان الوهم :: النظر بعد النظرة تعقب لها
بعدها وقيل لها قبلها وتدبر لها بعد وقعها :: ليس مدح الرجل
بما فيه تزكية :: انعم الناس من كفي امره نباله ولم يجمعه
امره بيته :: الغريب من فقد اخوانه ونظراءه وان كان في وطنه
الغريب من لا صديق له :: الغريب الاحمق :: الغريب الفقير :: الغريب
من لا ناصر له :: شيئان لا يستغني العاقل عنهما العريض ونه والفقير
الفقير من كانت الدنيا قبيب صلته وانها تسبب فضيحته واحذر
ان تعرضها وتسبطها بينك وبين اخيك :: علامة الاشرار من خالطهم لا
يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفون عنه شرهم والغرّ الاخيار فمن
خالطهم ربح عليهم ومن خالفهم ترك رشده :: اكبر ثلاثة الصفح في
الغضب والجود في العسرة والعفو عن المقدرة :: ومن عتب على الزمان
طالت معتبته :: فستنفع ان شاء الله ان كلا في :: اذا ضج الزمان ببلاد بلد فاه
وجب المراد :: ما اعنوها من الذم من ملكه الجهل ولا كعب بالعي
من احتمل ما به المعصية من الذل ولا خرج عن الدنا اللة من صعب جميع
عقله الى الدنيا :: اهون الخلفاء مرتب :: المعتلة اخرا لمكسبة
ما عدو من اهل الجاه من كان من اهل الهوى ولا كان من اهل التقى
من حاد عن سبيل الهدى من خرج اد تى الاحسان لامتناع افضاله المرمجيد
شيئا منه من ذي واعي الهلكة اضاعتنا المعروف فيما عجيبا لمن
يبني داره ويهدم جسمه ولمن يرمم اموراله يبلوا امور نفسه

محل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من لم يكن معقلا كان
غليظا والشدائد اخوان الرضى: الكاتم للعلم كمن لا علم عنده او
هو خبير والتوجيه بالصواب العلم بعلة المصيبة من الثواب
بنسي المصيبة: شر من المصيبة سوء الخلف منها: الحكمة رد
ربع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث العلة: بلاء اهل
القوم من عافيته كالنار حرقها من بردها: قد يكون اللسان
ادراكا كان الطمع منها كان: من لم يرفع نفسه عن قدر
الجهل وقع الجاهل فدل عليه الذلة مع الغفلة تجوع الحولة ولي
فاكل من تقوى بها موت عاجل خير من ضره اجل الغضب عند المناظرة
منساة نعمة الاختصار اثبت للمتكلم وابهم للسامع الكلب
في العاضة ينبح للضيف ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب في البا
دية يعز الصاحب وينذر بالضيف ويدفع اللص ولا تغتر بقول
الجاهل لك ان بيع لم لؤلؤة وانت تعلم انها بعرة: مثل الصلوات
مع سائر العبادات مثل الشجرة مع جميع ما فيها ان سلمت
سلم ما فيها الكثرة ان اصيبت اصيب الكل التعب والبغض فتنة
طلب الطمع حزم: الياس عز: قل نصح المتكلف من عبايه: اذا
فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت
وطار خوف القوم اكثر من خوف المفسد: لغلة اهل الخير عمارة
القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد الواحد: بالعمل يحسن المنطق
بالقوة يتم العمل العكرة مرداة: من اعظم الناس محنة من فلما

ما

ماله وكثر جهله لا ادب مع العقل كالشجرة المثمرة: والعقل
بلا ادب كالرجل العقيم انما البر من القلوب والقلب اقسى من الحجر
وقد يتقلب الهلاك في الحجر اذا اكثر تحدروا عليه: اللشد لا مشاورة هنا
القاقة: اولى الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل لم يعب
من شهر رايه ولم يعرف من يلي امره ولم يهن من خلد عمله: وقد
سبق العقل يبسر بها الدمن تركه مثل مالك كما بنا فيصح اذا تركت
الجبل الجرب تتاحيث اراد ان ذون ان تحر بها كذلك فيصح ان
يجري البدن بالنفس والعقل حيث ارتكبت من الشهوات: الشق
زنا مور معرفة المرء بنفسه: عايب المجتمع عليه محجوج: ليس
شيء من البر الا دونه عقبة من الضرو ضرب لا يقتل وعار باق ودين
مطلوب قيل لحكيم هل للغضب مادة تحسمه قال نعم ان يعلم
الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يخدم خدمة
ابدا ولا يجب ان يصبر عليه ابدا وانه يصنع ويلزم ويحتمل الخطا
ويصبر على النوائب فاذا يعرف له ثم يغضب واذا اغضب يقلل الس
السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه: لا ينتفع بكثرة ال
العلم من لا يعقل كما لا يغني ضوء الشمس عينا لا تبصر: رضي بالذل
من كشف ضره: من نزل داوى نفسه استشعر بالطمع: البدع
تخرج بينها خرقة الكلام وخروج المقال: الناس ابناء الدنيا
بالاهواء وهم الاخرة بالاعمال صح يقول الرجل عقله وعدوه
حمقه: من اجتمعت له النعمة اذ بعث له الرغبة يحفظ ما هو
من كرهه وامن نفسه: لا مال اجود ولا صدقة له توفيه ولا وقفه

Copyright © King Saud University

لا يورع :: العليل الذي يشتهي ارجا من الصحيح الذي لا يشتهي ::
قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه :: اجعلوا بينكم وبين
الحرام سترا من الحلال :: لقاء الرجل اخاه مسلاة للهم :: من لم يصلح مع
تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه :: الاحتلام مرج وهم كاذب
والعمل بها كالمعتمد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان منها
لك اتاك وما كان عليك لم تقدر دفعه :: العافية خير من الوافية
الكريم لا يستحي من اعطاء القليل العتاب زنة العقل :: الكرم
حسن الطبيعة :: اللؤم سوء الفعال من اختلف كلام المرء تبين
حبل الهوى :: من عرف النعمة ان يرا اثرها عليه :: من كان شبعه في الطعام
لم يزل جائعا :: من كان غناه في المال لم يزل فقيرا :: من قصد بعوا
في جميع الخلق لم يزل محروما :: من استعان على امره بغير الله لم يزل مخذولا ::
ومن خاف من فوقه خافه من دونه :: ما يحسنه المرء ولا يعمل به يعود
نعمة لفوته وعليه بوره :: واعجبا لمن اختار الجمع له في طلب ما لا
يغني على العجز طلب ما يغني :: من جحد ربه كمن يشركه :: الشفيع جناح
الطالب :: اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق فانها لا تفنى واذا
ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى وقال الشاعر

فانفق اذا ايسرت غير مقتر ... وانفق على ما خيلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والجد مقبل ... ولا البخل يبقي المال والجد مدبر
لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ... فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

الغريب في كل مكان مظلوم :: من سلك الجدد من العثار لم يعرو الكبا

العضو

العضو عجبا :: الفهم مستعمل العقل الذي منه هرب ويعود له
الكرم الذي اباه الطلب ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في
الاخرة حساب الاغنياء :: من كان خوفه كان وبيله :: غشتك خير
من سعيك غيرك :: ان احببت ان يعود ما تشتهي فاشتهي ما
يمكنك :: من قصد السهل من صرف او عن الفصل احزم المحال ::
شر السير الحقحقة :: بوة لتنفسط في المجالس فجلسها لا يقيم
عنك ولا تعلو عنك افلع الشر من صدر غيرك تقلعه من صدرك
وازجر المسيء بالاثابة للمحسن لكن يرغب في الاحسان لم
يفلح من ماله ما وعظه :: الخلاف يهدم الراي :: خير الناس
نفعه لغيرهم لنفسه :: احسان الله مكفور عند من اصبح
مصرا على ذنب مستور :: بصير التخلق خلقا بلا اجتهاد :: الحجر
المغصوب في البناء رهن على الخراب :: وبها يشرف شارب
الماء قبل وروده :: رب راي انفع من مال وحزم اقوى من رجال ::
من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام :: من ذم الزمان لم
يعرف الاحوان ان تقلب الاحوال علم جواهر الرجال من
عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان :: ومن عرف الايام لم يغفل عن
الاستعداد :: رب سكوت ترجمان عقله :: الخطا عند غنيمة الا
كياس عند تعذر الحيلة :: وكلما اشتد الظلام حسن
ضوء السراج :: الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والنقص
عن الاستحقاق عي وحسد :: اولى الناس بالرحمة من احتاج
اليها فحرمها :: من لم يجد رفقا البتة لم يرحم اهلها :: كما

Copyright © King Saud University

اجمل النصح ما كرهته من غيرك :. مجالسة الاحمق غرر وا
والقيام عنه ظفر :. لا تشتغل عما لم يكن بان الذي كان شغلا
البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل
سوء :. رب مغبوط باول ليلة قامت بواكيه في آخرها :.
اذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق :. احراز العواقب
الاجتهاد :. الاجتهاد ربح بضاعة :. التوفيق خير قائد :.
كمال العمل التوفيق :. من لم يتق في استماع الحق من البغية
ادرك وبلغ :. مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم :.
لا تنظره هو بالموضع الذي رتبه فيه زمانه ولكن انظر
اليه بقيمته في الحقيقة فانه مكانه الطبيعي :. ابعد
الناس سفرا من سافر في طلب اخ صالح :. ليثبت البركة
من الكثرة لا الكثرة من البركة وقال داوود عليه
السلام ان كنت ترى من الجهال يغبطك فاذا بكثرة
الجهل وبطول عقلك :. وقيل لابن زجرهم ما لكم لا تعل
تبوز الجهلة قال لانا لا نريد من العميان ان يبصروا :.
العشق مرض نفس فارغة لا همة لها :. اجالة الفكر
استخراج الفطنة :. تتبع الاصوات بالنوم وتتبع ا
النوم بالا فلاح الا من البراءة :. كثرة الضحك بالتوا
ضع :. اعم الاشياء نفعا نفع الاقتران :. من يزرع عدا
اوله حصد ندامة :. انبسطة للنساء خلعة وللرجال
غفلة :. قال المسيح عليه السلام ما حلم من لم

بج

يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما
عبادة من لم يتواضع لله تعالى التقي في غنى وقت
والحلو من فوق الفم راد او فعن الضرورة ارتفعت
المشورة قيل لحكيم اخرج الهم من قلبك فقال ليس
باذني :. من اعتز بما له فضحه احتياله :. اياكم وكره
وطلب الامور من غير وجوهها فيعيبكم طلبها :.
ولا تتركوا حظا منها :. هيبة الزلل تورث الحرص
قيل لحكيم لاي شيء تزوجت امراة ذميمة وانت وسيم
قال اخترت من الشر اقله :. وقيل لحكيم ما تقول في الزواج
قال لذة شهر وهم دهر :. فتنة عالم الى البعض من
عوائد الف جاهل :. تتمنى المعاتب ولا تتمنى المعاذر :.
المولات في الاسلام بمنزلة الحلف في الجاهلية :. سب
الجهال الحكماء تشريف لهم عند اهل الفضل كان
الجاهل منسوب الى فعله :. وكما ان الحكيم يتالم بحديث
الجاهل كذلك الجاهل يتالم بسماع الحكمة :. اغنى
الناس عن الحقد من عظم قدره عن المجازات :. الكبير
الهمة من الرجال من كان عيب الناصح عنده :. الخف
من سلول الكاشح اذا كانت الحدود هي الحصن فعند
باب الحرص وان كانت الامور ليست بدائمة فعند زوال
الشرور وان كانت الدار غدارة فكيف الطمانينة
وقال الشعبي رحمه الله ما رايت الله سبحانه اعطا عبادا

اجل من العلم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس
من لم تكن فيه فلا ترجه لشيء من امر الدنيا والآخرة
من لم تعرف الوثيقة في ارومته والدين في خلقه
والكرم في طبعه والفضل في نفسه والمخافة من ربه
قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما
خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد
الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا هناك قديم
فدخله فرأى حسن البناء بين مزارع وانهار واشجار فدخله
فبينما هو يطوف به اذ ابصر برقعة قد الصقت
في صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات
ايا منزلا بالدير اصبح خاليا ... تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض نواعم ... ولم يتبختر في فنائك حور
وابناء املاك غواشم سادة ... صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس ... وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم ... وانهم يوم النوال بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن ... وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لدنة ... وانت طروب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر ... وعيش بني مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحابة ... عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكما فبكيتهم ... بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى ... لها ذكر قومي انة وزفير

لعلى

لعلى زمانا جار يوما عليهم ... لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس ... ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان اليوم يتبعه غد ... وان صروف الدهر فيه تدور
فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره
ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا اعلم به فلا
نحوه واما الكتب وصفاتها فتجل عن بلوغ الوصف
ولقد احسن ابن الجهم رحمه الله في قوله
سمير اذا جالسته كان مسليا ... فؤادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة ... وغير حسود او مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... ولا خائن عهدا على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان باسره ... فتجنى رياض غيرة اوه جعد
وانشدني بعض الاعاجم رحمه الله
اذا ما خلا الناس في دورهم ... بخمر سلافة وخود كعاب
وانسهم حسنان الصبا ... بغر الندامى ورشف الرضاب
خلوت وصحبي كتب العلوم ... وبنت عروس بنت الكتاب
ودر من العلوم حبالة العقول ... قد ودوا اعتنى به اهل الصواب
وما يجمع المرء في دهره ... سوى العلم يجمعه للثواب
ومن مديح ما يجمع ما ينشد في الدواة والكتب
لذا ما خلوت من المؤنسين ... جعلت المؤانس لي دفترا
فلم اخل من شاعر مؤنس ... ومن عالم صالح منذرا
ومن حكم بين اثنائها ... فوائد للناظر المفكر

Copyright © King Saud University

وإن ضاق صدري بأمر أذى   وأودعته السر لم يفضح
بأن صرّح الشعر ما سر حبيب   فلم احتشمه ولم أحضر
وإن غبت من هجره بالذي   وبت الخليقة لم أحضر   احضري
ونعمت فيه كريم المغيب   لندمائه كطيب العنبر
فلست أرى مؤثرا حبيبي   عليه نديما إلى المحشر
وأنشد ابن حزم رحمه الله لبعض الأدباء
إن صحبنا الملوك تاهوا علينا   واستخفوا احملا نحو الجليس
أو صحبنا التجار عدنا إلى البؤس   وصرنا إلى عداد الفلوس
فلزمنا البيوت نستخرج العلم   ونملي به وجوه الطروس
ونفعنا بما رزقنا فصرنا   أمراء على الملوك الرؤوس
زاد فيه ابن حزم عفا الله عنا وعنه
لو تركنا وذا لكنا كبيرا   مزايا بيننا بعلو نفوس   لو تركنا بعلو نفوس ملاخر
غير أن الزمان راعني بنيه   حسدونا على حياة النفوس
أنست إلى التفرد طول عمري   فمالي في البرية من أنيس
جعلت محادثي وحديث نفسي   وأنسي دفتري بدل الجليس
فقد استغنيت عن فرسي بنعلي   إذا سافرت أو جعلت كيوس
ولي عرس جديد كل يوم   بكرمي الهم في أمر العروس
فيكفي سفرة والغرم مني   وهيفاء في أبيض أو كيس
ومبني حيث يدركني مساء   وأهلي كل ذي علم نفيس
وليس كان الناس يفهمون وصفوا بجود وأوفوا لوا فقد بلغوا فلقد   وليس
فصدوا وأجل ممدوح واستفتض في مدحه المنتهى
والمتنزه

وزهر
والمتنزه في نفر بضفة النيل وكيف والكتاب نعم
الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة
ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعاء مليء
علما وظرف مليء ظرفا وإناء مليء مزاحا وجدا
وبستان يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر هل سمعت
بشجرة تؤتي أكلها بساعة باختلاف الألوان وطعوم
متباينة هل سمعت بشجر لا يذوي وزهر لا يتوى وثمر
ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده
وينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء إن غضبت
عليه لم يغضب وإن عربدت عليه لم يعربد اكتم من
الأرض وأنم من الريح وألهى من الهوى وأخدع من
القنا وأمتع من الضحى وأنطق من سحبان وأبلغ من
من باقل هل سمعت بمعلم واحد يحمل كثيرة
وجمع أوطانا عديدة عجيبة فارسي هندي سندي رومي
يوما نين إن وعظ أسمع وإن ألهى أمتع وإن أبكى أدمع
وإن ضرب أوجع يفيدك ويستفيد لك ويحدثك ويبسط
بك إلى زهد فيبشرك وإن مزح فيزهيك قد رأينا سرا وهو ذو
الوجه لك في العلوم وينبوع الحكم ومعدن   يبيد لي
المكارم ومؤنس الأنام يفيد علمها والفهم وتجربة
عن كثير من أبناء الآخرين هل سمعت في الأولين أو بلغك
عن أحد من الناس تجمع هذه الأوصاف مع قلة

Copyright © King Saud University

مؤنته وخفة حمله ولا يبرز ولا يشتكي من قبل الخصم الذي هو
والعقوبة والمستغفر والحق به جليس لا يغريك ورفيق
لا يملك يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك في السفر
كطاعته في الحضر لو أدمت النظر إليه أطال إمتاعك
وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك
فإن ألفته خلد الأيام ذكرك وإن درسته رفع الخلق
قدرك وإن حملته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد
في مقاعد السادة ويجلس السوقة في مجالس أهل
الملوك فأكرم به من صاحب وأعزز به من موافق
وقد قال فيه الأول:

لنا جلساء لا نمل حديثهم ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أموات فما أنت كاذب وإن قلت أحياء فلست مفندا

فهذا ما أردنا أن نثبته في هذا الكتاب فاكتبوا
إن شئتم الفائدة بالكلام الذي منها يكتب.

كمل كتاب سراج الملوك بحمد الله وحسن عونه
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
على يد عبيد الله تعالى المعترف أنا وذا ... ابن ... عمر
ابن مولاه علي بن أحمد بن علي بن ناصر ... العلاكي تاب الله
عليه وكان الفراغ منه ... في عشرة ... عام ١٢٢...

عشرة

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

Copyright © King Saud University

الشاعر ام مران وشالة الرجال لا يتركون اديبا صحيحا ∴
فلا تعش فردا ان البلد فان لكل نضج نصيحا ∴ ذا خر
ما كل مكتوم يباح به احفظ لسانك من عواقبه ∴
فجوارح الكتمان اهون من مجاهر من عواقبه ∴
لبعض الهوى ما كنت تعرفه ايام تعلق به جوانبه ∴
هذا هوى دوقه تصحن به صحة الحسام الى مضاربه ∴

تم السفر الاول من سراج الملوك بحمد الله
وحسن عونه وصلى الله على نبينا
ومولانا محمد وآله وآخر دعو
دعوانا ان الحمد لله رب
العالمين

King Saud University 1957
Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

لبيب على اداء السبع ثلاثا وانما نقر بعضا منه لادراك وقع المنال ...
... منه ثم استغفر ... فلا نخفاه ورفقه البلاغ ...
... منهم ... والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

السفر الثالث من سراج الملوك تاليف الفقيه الأفضل الزاهد الورع الأكمل أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي

نضر الله وجهه وغفر له ولسلفه ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم

الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي زهرت في سائر الخصال وزعيمة

بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال والإكرام وهي الشكر قال الله سبحانه حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آتاه الله ملك الدنيا والجن والإنس والطير والوحش والرياح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فلما استوسق ملكه قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة من الله كما حسبتموها ملوك الأرض بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أراد هلاكهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين جاء في التفسير أسبغ عليهم النعم وأنسيهم الاستغفار وإنما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزخرف وجهها من شعار الكفار ألا ترى أن قارون اللعين إنما أوتيته على علم عندي فكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ولما خاف سليمان عليه السلام أن يكون ذلك استدراجا كان جوابه ما قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك

بغير حساب

بغير حساب اعلم أرشدك الله أنه ليس الشكر حافظا للنعم فحسب بل هو مع حفظها يجلب المزيد من النعم والأمن من حلول النقم والشكر على ثلاثة مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فأما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن تعلم أن النعمة من الله وحده وأن لا نعمة من الخلق من أهل السموات والأرض إلا وهو آتيها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى على نعمته وعن غيره لعلمه بنعم الله تعالى عليه وعلى غيره وهذا النوع هو الذي يقال فيه إنه يجب على العبد شكر الله على نعمته أسديت إليه أو غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي أيقنوا أنها من الله عز وجل وإلى هذه الكلمة انتهى جميع ما قاله الخلق في الشكر والدليل عليه أيضا قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي اتقوا معصيتي فإنه شكر لنعمتي. وخلق الحياة نعمة للعبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتراف القلب بأنعم الرب سبحانه وتعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وروي أن داود عليه السلام قال إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى إليه الآن قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام إلهي ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافيها فأوحى الله تعالى إليه يا داود

Copyright © King Saud University

إذا أعطى الكثير ورضي باليسير فإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من
نعمة فمنه وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بأن ترى شكرك له
بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فتشكره على الشكر لتوفيقه
ثم تشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى ما لا يتناهى وهذا الشكر
أيضا واجب وللمحمود الوراق

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
فما منهما إلا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والسر والجهر

ومن أقر بنعمة الله وإحسانه وقصوره بقدر ما كلف لا أنه لا يمكنه
أن يوازي بشكر نعم الله تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام إلهي
خلقت آدم عليه السلام بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت
له ملائكتك وتوجته تاج كرامتك وأسكنته جنتك وزوجته حواء
أمتك وفعلت فكيف شكرك فقال علم أن ذلك مني فكانت معرفته
بذلك شكرها لي فصل وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى
فيه وأما بنعمة ربك فحدث فقيل يعني النبوة وقيل يعني القرآن
والحكمة على جميع النعم وروى النعمان بن بشير أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر قال الله تعالى حكاية عن أهل
الجنة أنهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال عمر رضي الله
عنه تذاكروا النعم فإن ذكرها شكر وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد

العزيز لما تحصن أهل البصرة أنه يقال له فكتب عمر إلى عدي أن لأهل البصرة
فهل أغناهم نهر شربه وجاءت عليه أموالهم ولأن لهم عوض لك شكرا
فإن أخذت في قصعت عليهم ما انفقت فيه وكتب إليه عمر أن لا أحسبنا
لأهل البصرة خلدا من رجل قال الحمد لله حين حفر لي هذا النهر وإن الله
تعالى قد رضيها شكرا من جنته فإن رضي بها شكرا من نهر ذو السلام
وحقيقة الشكر في هذا القسم الثناء على المحسن بذكر إحسانه
وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بأنه شكور حقيقة فشكر الرب
العباد ثناؤه عليهم وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة شكور
إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف وقيل وجه
شكوراه إذا كان معنى المحاسن كاظم وها وفي الحديث يقول الله
تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق
ويشكر غيري قال بعضهم إنما ونبي لنا من لا نحن في موضع
وهم يحسبون أنهم في موضع شكر فصل وأما الشكر بالعمل
على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل
شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة مع عبد الله بن عمر فقال
لها عبد الله يا أم المؤمنين حدثينا بأعجب ما رأيته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجيبا إنه
أتاني ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا
بنت أبي بكر ذريني أتعبد لربي فقلت إني أحب قربك فأذنت له
فقام إلى قربة من ماء فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام فصلى فبكى ثم
رفع رأسه فبكى حتى سالت دموعه على خده ثم رفع رأسه فبكى

Copyright © King Saud University

فلم يزل حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله
تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون
عبدا شكورا ولم لا أفعله وقد أنزل الله علي أن في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
الشكر بالعمل وبين به مراد الله في مراده الاعتبار قال الله تعالى و
هو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا
أي كل واحد منهما يخلف الآخر فمن فاته العمل في أحدهما عمله في
الآخر فجعل الاوراد والاعمال شكرا لله وروى أن النبي صلى الله عليه
وسلم قام حتى تفطرت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
وقال أبو هارون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله
ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا أذعته وإذا رأيت بهما
شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال إذا سمعت بهما خيرا
شرا نسيته قلت فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا
تمنع حقا لله فيهما قلت فما شكر البطن قال أن يكون أسفله
صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذ
ين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين فإن فعلت ذا فأنت الشاكر حقا وفي حكمة
إدريس عليه السلام لم يستطع أحد أن يشكر الله تعالى على نعمه
فمثل الانعام على خلقه يكون شكرا لانعامه على الخلق مثل ما صنع به الخا
لق وإذا ثبت أن فعل الطاعات شكر وأن منها ما هو أشد ملازمة من

غني

٢٠٨

بخبرك في الطاعة في مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها
لانها من جنس النعمة وإذا أردت أن تحرس دوام نعم الله تعالى عليك فادم
مواساة الفقراء والطاعة في رفع ذوي الضعف والغفول والمسكنة بغير
معصية أشبه بالشكر على ما رفع السموات وحاول الشريعة بالسمع والطاعة
في تعريض الفقراء وتلطيف أغنيائهم أشبه بالشكر على العافية من سائر
الطاعات تغيظ الشيطان وفضله هواه في ادعياء الشكر لله والاعمال من
سائر الطاعات في الشفاعات وعلى هذا القانون ينبغي أن تقابل سائر
نعم الله تعالى على العبد ومن العبارة الجامعة للشكر أن يقال الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح فصل في الكلام على الزيا
دة قال الله سبحانه لئن شكرتم لأزيدنكم فقال قوم إنما طالب الله
تعالى بها وبقوله ادعوني أستجب لكم قوم دون قوم والدليل عليه
أنا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يبتلى
بالمرض فالله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لأزيدنكم نعم الآخرة
وقيل إنما تكون الزيادة من جنس المزيد فاعلموا أن النعم الدنيوية
والاخروية وإن تفاضلت واختلفت فإنها كلها فيها نسبة من جهة
أنها نعمة وقال قوم معناه لأزيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون في
كثير من الاوقات بالمنع والشفقة ونحوها فإن من سأل الله تعالى أن يعطيه
مالا أو يصح جسمه وهو يعلم أنه إن وهبه المال أنفقه في المعاصي فا
لمنع هاهنا نعمة من الله تعالى جزيلة وعن هذا قالت العلماء منع
الله عطاء وقال قوم يحتمل أن يكون لاستثنائه فيها لئن شكرتم لأزيدنكم
إلا أن تعصوا فإن أطعتم فالحرمان وإنما جعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح

من اراد اغاثتكم في الاخرة والناس لا يستغفرون من الذنوب ولو انهم الذين
يستغفروا من الذنوب لنالوا الزيادات وقال الله ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقال استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات الخ وقال الشيخ ان الله
قد وعد الزيادة ووعده الحق وقد جعل العبادة علامة يعرف بها
الشكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لا يشكر فاذا رايناه
الغني يشكر الله بلسانه وماله في نقصان علمنا انه لا يشكر فقد اخل
بالشكر الذي اخذ عليه اما ان لا يزكيه او يزكيه بغير اهله ويؤخره
عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيمن كسوة عريان او طعام جائع
وشبهه فيه خلل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما
افلح راده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بقوم حتى يغيروا
وا ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعة غير الله تعالى ما عنده من
الاحسان اذا كان القوم في كل نعمة فبينما الله تعالى لا يغير ما بقومه
حتى يغيروا النعم ما بانفسهم فترك الاداب او اخلال بحق والنعامر
في نيتهما قال بعضهم اداب الشكر ان لا يعصي الله تعالى بنعمة وان
جوارحه كلها من نعم الله عليه فلا يعصه بها ويعتقد ان يكون معنى
الاية لئن شكرتم لازيدنكم ان شئنا الا ترى انه قال من كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يؤتونه
فيكون التقدير نؤته منها لمن نشاء به يدل قوله تعالى في الاية الاخرى عجلنا
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهذا قوله ادعوني استجب لكم

ثم كثير

ثم كثير من الناس يدعون ولا يستجاب لهم ولكن معنى الاية ان شئت او لم يشأ
بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على
المقيد قال العتبي كنت بين يدي السرير وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة
يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمة فقال لي
يوشك ان يكون حظك من الله لسانك قال فلا ازال ابكي على هذه الكلمة فان قيل ما
معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما حصل من الاعداد في الوجود
يمكن احصاؤه قلت نعم الله على نوعين دفع ومنع فالاول يمكن
احصاؤه ودفع البلاء ما نعم لا يمكن العباد احصاءها فدفع الله عنهم
مقادير مقدرة مرة لا وما يدفع منها عن العبيد لا يحصى فصل
ثم عدنا الى قول العلماء والحكماء في الشكر قال بعض الحكماء موضع
الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجد لم يدم وان عدم لم يقم
واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه الكلمة فقالوا راكبا على فرس
ذنوب مغر ساجد ثم قال الفقهي لولا اني [illegible] فسالته ان ينزع مني ما
اعطيتني وقال صدقت ان بينما داود عليه السلام في محرابه
اذ مرت به دودة فتفكر في خلقتها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه ما
نطقها الله تعالى به فقالت يا داود انا على قدر ما اعطاني الله تعالى اذكر
الله تعالى واشكره فيما انا له ولمحمود الوراق

الهي لك الحمد الذي انت اهله على نعم ما كنت لها اهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وكان بعضهم يدعو على باب السلطان فما رسل اليه صاحبه اشكر الله
تعالى حيث [illegible] اليه فقال اشكر الله تعالى [illegible] مجوسي..

Copyright © King Saud University

مبصوص فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي فكان المجوسي يقوم
بالليل مرات وهذا يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يفرغ فكتب
الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى اشكر الله تعالى واي بلاء فوق
هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كان
وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع وبعضهم

ومن الرزية ان شكري صامت ... عما فعلت وان برك ناطق
ارى الصنيعة منك ثم اسرها ... اني اذا لبيد الكريم لسارق

وقال رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال اشكر
الله تعالى كيف لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ما
ذا كنت تصنع ونظر بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة فقيل له فيه
فقال لا شكر به لانه كنت اعمل قبله للمغفرة فيسك الملك بجناحه فر
فعه الى السماء وروي ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بحجر صغير
يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى له فقال منذ سمعت
سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فقال يا نبي الله ذلك
بكاء الخوف وهكذا بكاء الشكر والسرور وروي ان الله تعالى اوحى
الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى فقال الهي
ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم وان رجلا
اعرابيا بلاه حسنا فقال لا ابلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وانعم عليك
نعمة يعجز عنها شكرك وبعضهم

فما شكري لها انها اجازية منعم ... بشكري ولكن مفوتني ذلك الشكر
واذكر ايام لدي اصطنعتها ... واخر ما يبقى على الشاكر الشكر

وقال اولتني

وقال:
اولتني نعما ابوح بشكرها ... وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت ... فلتشكرنك اعظمي في قبرها

ولبعض الاعراب

ابا رب قد احسنت بدءا وعودة ... الي فقد يبهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذري اقراري بان ليس لي عذر

وكان مطرف يقول اللهم منك تكون النعمة وعليك تمامها وانت تعين
على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد قال
الله تعالى في الثناء على بعض عباده انه كان عبدا شكورا وقال شاكرا
لانعمه وكذلك تعالى لما اثنى الله على عباده ثم قال ومن شكر فانما يشكر
لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وان احسنتم احسنتم
لانفسكم ليس للرب تعالى فيها قليل ولا كثير فانه اجل من ان ينال
الحظوظ واجل ان ينفعه ثناء مثن او بشكر شاكر وقال الله تعالى يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم فوا عجبا اعطى ثم اثنى وقال في كبر النعمة داعية الى
المقت ومن جاوزه بالشكر فقد اعطاه حقا اخذ منه وحقيق بمن
اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكلفها ما لم يقدر فليشكر ما
ان شكرها فقد ادى حقها قال الشاعر رحمه

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لكثرة مال او علو مكان
لما امر الرحمن بالشكر خلقه ... فقال اشكروا لي ايها الثقلان

وقال اخر
لمن يعجز عن شكر من له قوة ... واقوى الورى عن شكر ربه اعجز
فان اعتقالي وكل عنقي ... لا بل اما ملتت منه اكثر

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي وقفت علينا امراة فقال يا قوم

Copyright © King Saud University

تغير علينا الزمان واذ قل منا الشكر وما رفقنا الغني ولا العبد الفقير
رحم الله امرءا اتجهم بعقل واعطى من فضل ووسع مرتعا على عباده

وقال بعض الشعراء

فلو كان للشكر شخص يرى ... اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه ... فتعلم اني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير ... يحركه الكلم الساحر

وقيل لكسرى ما الشكر فقال الاعتراف على قدر الانعام فقيل
فما الكفر فقال ترك الجزاء ولو بالثناء فقيل وهل يكون احد اجل
ممن يبخل بالثناء فقال نعم من عادى على نضيعة

الباب الخامس والثلاثون في بيان
السيرة التي يصلح عليها الامير والمامور

ويبتني في بينها الاقوياء والفقراء وتسهل عليها محبة اخلاق الاولاد
اجمعين فسنتحدث من الفرق ان العاقل قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا
طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين
سائر البهائم ومعلوم انهم ما ماثلونا في خلقنا واشكالنا في عقولنا
وسائر ما ينصح العين منهم ومنا فتنبغي المماثلة في الاخلاق فلا احد من
الخلق الا وفيه خلق من خلق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة
فاذا رايت من الانس خلقا خارجا عن الاعتدال فانظر ما يماثل ذلك
الخلق من اخلاق البهائم سائر الحيوان فاحفظه به وعامله بما كنت
تعامله فتبين تستريح منه اذ تعرف ويستريحون منك وتدوم الصحبة من منازعتهم
المحبة فاذا رايت الرجل الجاهل في اخلاقه لا تغلبك في طباعه الـ

الغوى

٢١١

الغوى في نفسه الغي لا يومن كغيانه واصراره عليه فاحفظه بعالم النمور
والعرب تقول اجهل من نمر وان رايت النمر يعرف عنده ولم تخاصمه ولم تشاكله
فيه فاستحكم بالرجل الذي لك واذا رايت الرجل الغالب على اخلاقه الشر فاحفظه
خفيته والتغلب على وجه الاستظهار فاتقه فهذا يماثل عالم الجراد
فيدع جلامنه ويحافظه كما تخرج من باب الجراد اذا افسد زرعه
ثم اخبا وحيلته بما يصلح به فاذا رايت اقواما قائمين على اعراض
الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان ذنب الكلب ان يجعوا منك
لا يجعوه ويبتدئ بالاذاية من لا يوذيه فعامله بما كنت تعامل به ا
الكلب اذا نبحه اليك تذهب في شانك ولا تخاصمه ولا تحسده فاو فعل
بمن يبغضه عرضك مثل لك تعدوا واذا رايت الرجل قد جعل على الخلاف فان قلت
لا قال نعم وان قلت نعم قال لا فاحفظه بعالم الحمير فان رجل الحمار اذا ادنيته
تقهقر واذا ابعدته قرب وانت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تعارضه
واذا رايت الرجل يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فيعتذر في الادميين
كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد ويطلب المواضع
المعتلة منه وذوات الماذية والدم والتجا منه واذا القيت سلطان
هجيم على الاموال والازواج فاحفظه بعالم الاسد وخذ حذرك منه هجيم
كما تاخذ حذرك من الاسد ولتعرض الا تعرض منه كما قال النابغة
ولا قرار على زار من الاسد واذا القيت انسانا خبيث كثير الزوغان
والمعاخرة فاحفظه بعالم الثعالب واذا القيت من يغنى بالنمائم
ويغري بين الاحبة فاحفظه بعالم الضب وهي دويبة صغيرة يقولون
انها في عنق تعرف الجماعة فهي بينهم ضرب تتعرفوا خاصيته هلك

Copyright © King Saud University

الخروبة إذا اختلطت وسط الجماعة أن يفترقوا وكذا إن الجماعة
إذا أقبلت نحوهم هذه الخروبة تطرد وهي تشعر بها الدخول بينهم
كذلك ينبغي إخراج النمام من بين الجماعة فإن لم يفعلوا يوشك أن يفرق
بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض وإذا رأيت إنسانا لا يجتمع
العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويألف سماع أخبار
الدنيا وسائر الخرافات وما يجري في مجالس العوام فاحفظ بعالم
الخنافس فإنه يعجبه أكل القذورات ويألف روائح النجاسات فلا تراه
إلا ملابسا للأخلية والمرحاضات وينفر من روائح المسك والورد وإذا
طرح عليه المسك والورد مات وإذا ابتليت برجل عليه الدنيا ذلة
والمسكنة وقد نصب أشراكه لاقتناص الدنيا وأكل أموال الناس
[illegible] وأما [illegible] فاحفظ بعالم الذئاب واحترز منه
كما يحترز من الذئب كما قال القائل

ذئب تراه مصليا ... فإذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ... ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلا ... إن الفؤاد قد انقطع

وإذا ابتليت بصحبة إنسان كذاب فاعلم أن الإنسان الكذاب كالميت
في الحكم لأنه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تصحب الموتى لا تصحب
الكذابين وقد قيل في المثل كل شيء شيء وصحبة الكذاب لا
شيء ويجوز أن يلحق بعالم النعام فإنه يأتي من جميع بيضه تحت الرمل
ويترك واحدة على وجه الأرض وأخرى تحتها فإذا أفرخ وسائر بيضه في
[illegible] فإذا رواها الفرخ حاضر تلك البيضة ويبصر أو يكسر

الرمل

فعر

عن وجه

عن وجه الأرض ويحفر الأخرى فيكسر [illegible] ثم [illegible] وأخرى الحبة [illegible]
بجبلة النعام إذا رأى البيضة لا يزال يعمر حتى يصل إلى [illegible] ولا [illegible]
تلك البيضة كذلك الكذاب إذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه وإذا رأيت رجلا إنما دأبه أن يصلح نفسه
كما تصنع العروس بفعلها [illegible] ويعرض عما فيه وينبغي أن
يجتهد لشيء غيره وينظر في عطفيه ويطرح الأغلال عن ثوبه [illegible] له
تهذيب الجسد ولا نظرة إلى نفسه وإصلاح ما أشكل عن [illegible]
وينظر بنفسه فاحفظ بعالم الطواويس الذي هو صفته فإنه يتمشى
[illegible] فتتخذه الملوك [illegible] وإذا ابتليت بإنسان
بإنسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة على السقطات فاحفظ
بعالم الجمال [illegible] الجمال [illegible] فرط الجمال
الحقود وإذا ابتليت بإنسان منافق يظهر خلاف ما يضمر فاحفظ
بعالم اليربوع يكون في البرية يتخذ جحرا في الأرض ويقال له النافقاء
وله بابان يدخل من أحدهما ويخرج من الأخرى ومنه اشتق اسم
المنافق فإذا هم بأخذه دخل جحره وخرج من الباب الآخر فيجعل
الصياد خلفه فلا يظفر بشيء وكذلك الرجل المنافق لا يحصل منه شيء
وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس وسكنت نفسي [illegible] منه
فلعمر الله ما انتفعت في صحبة الناس وسكنت نفسي والنتيجة من
مكابدة أخلاقهم إلا منه [illegible] هذه السيرة وقال الرياحي
يا بني [illegible] لا تحقرون صغيرا [illegible] فإذا [illegible] من الثعلب روغانه
ومن النمر وثباته ومن السنور ضرعه ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره

نسخة [illegible]

تحقرون

وقد نعلمت من الفهم فبول ومن الشعر الظهور الحسن بعد الحمز والحمر لذرب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله

الباب الثالث والثلاثون في بيان كمال الخصلة التي هي غاية كمال الانسان وثمرة الصحو وسرور راحة القلوب وطيب النفوس

اعلم ايها الملك حفظك الله انك كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسير المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء موضعها اثمرت الرعية اهتضمت حقها وجهلت قدرك ولم تنوفه فيمتد فبلغ منهم ما تيسر لك وراتب منهم ما لا يعجبك فاعلم انه ليس بد لك فلا تطمعن ان يصفو اليك منهم ما لا يصفو منهم لله احد ووصل الخطاب ان تعلم ان الله خلق الخلق اجمعين وانعم عليهم بانواع من النعم ما كمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمه وفكهت لهم اللذات وبعد هذا ما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته فالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه والحاد واضافوا اليه ما ينفى عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من انكره اصلا وقال ما للخلق صانع كما حكاه الخالق عنهم بقال نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحسبهم ويغنيهم ويمنح اجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي مآربهم واوطارهم وينفعهم فتعالى حلمه وسبغ امتنانه

وفي

في معظم ما يحتاجون اليه في معاصيهم البه طاعة وحرمة الله عليهم نازلة كل يفعل على شاكلته ويبغي فما عذره وكل ذي حال اولى بها وفي مناجاة موسى عليه السلام اللهم اسئلك ان لا يقال في ما ليس فيّ فقال وهي التي لم ابدها لنفسي ما فعلته بنفسي فكيف افعله بك وفي هذه الشيمة عجبة لمن اعتبر وفي فخر يجمع لذو كرم انه ان التمست رضى جميع الناس التمست ما لا يدرك وكيف يرجو رضى المختلفين يا ايها الملك الذي كتب عليه الطاعة لا يعم الفهم والزمان البشر ولا الطبع المعهودة والا نعاس مخصورة كيف اردت ان يصفو الذي من الرعية ما لا يصفو منهم في الفهم ولا زفهم ومعيشتهم وتعتقلهم هيهات هيهات بعيدا ما املت ومستحيلا ما طلبت فلا في البدا قوة حسنة او ترضى منهم بما رضي منهم في الفهم وتنبيه فيهم مبسوغ في الفهم الم تركيبه احسن السالبة فرضى منهم ما تيسر من العمل واكثر النعم وكثرة فواله والمحول ونظر كيف يستنزل الله وتبعته فيما تدوكا بفضل في خلوانه وفي هذا ما يحمد النفوس ويود في ذوب العقول ويهدي الى الصواب ويوضح طريق الرشاد وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان راعيا لما تقولون عليه فانه روي عنه انه كان كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك والسلام

الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السالكين عند اضطراب الامور وتغير الزمان

ايها الملك اذا اختلفت الامور في صدرك واضطربت عليك الفواعل

Copyright © King Saud University

ومزجته بعقله وجودة الراي وشكرت عليه الفطرة واكثرهم له وجه للزمان وروايات اثار العجم فلا تغلبنه خصلتان ان نزله للناس في بينهم ودنياهم وثنه الامان في تصواري الحوادث وما يأتي به الملوان وقد روي ان ابا موسى قال لعمر اخرجوا فوجدنا مع اخيه الامين وقد نفعت بيوت الاموال والخت الاجناد في طلب الارزاق فقال الاعلام بقيت الاخي خصلة لو يعلمها ملك موضع قد مي ها تين فقيل له وما هي فقال والله انه لا نخوضها على بعضي فضلا عن غيره فلما اختص له الامر سال عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين ما دون جميع بلاد الله فوضعه الخراجات ولوضاعت السلطانية وملئت الجبايات عشرين لعلم الامر على ذلك الله غالب على امره ولقد خشي الامون انتقاض بيعته مع اهل خراسان فتشدد مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل الكاتب وكان وزيره فقال له الفضل قد قرات القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم والراي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السنن وبسط العدل والقعود على الفرو ورد المظالم وتكريم القواد والملوك وابناء الملوك وتعزهم الموا عن الكرمة واقراب المنيبة والولايات وتسقط لهم بجعل ذلك وجعل عمه اهل خراسان ربع الخراج فقالت وجوه الخلايق وكانوا يقولون ان ابن اختنا وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفاذ الله رابع من اله المهلب وكان من حكماء الملوك خراسان ويدخل تحت هذه الترجمة امر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو ان تصنع وجوه كل قبيلة وان تقدمين منهم كل عشيرة فتحسن الى جملة العلم وهداك

الحزم

تامل

الدجال رواه مسلم والتعجيل له وابو داود والنسائي وفي رواية مسلم وابي داود من اخر سورة الكهف وفي رواية النسائي من قرا العشر الاواخر من الكهف ومن حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الكهف في ليلة الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين رواه النسائي والبيهقي مرفوعا وموقوفا ايضا وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذي في مسنده موقوفا على ابي سعيد الخدري وفي لفظ قال من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق وفي اسانيدهم كلها الحاكم ابو هاشم يحيى بن دينار والاكثر على توثيقه وبقية الاسناد ثقات وفي اسناد الحاكم الذي صححه نعيم بن حماد وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدميه الى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين رواه ابو بكر بن مردويه في تفسيره باسناد لا باس به وروي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك ورواه الترمذي والاصبهاني وفي لفظ من صلى بسورة الدخان في ليلة بات يستغفر له سبعون الف ملك رواه الطبراني والاصبهاني في ايضا من حديث ابي امامة وفي لفظهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة وروي عنه ايضا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يس في ليلة الجمعة غفر له رواه الاصبهاني وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس رواه الطبراني في الاوسط والكبير وتعرضا الفضل الحجري الوارد في الصحاح اقتصر الحنبلي رضي الله عنه وعن جميع مشايخنا عن التهجد بها لانه قد روي عن المنذري ان من صلى بها بين السورتين ركعتين في جوف الليل كانت خيرا له وافضل من قيام الليل في هما رواه بالاسناد الى النضر بن مالك كما في مسند احمد وغيره من الصحاح والمد

٢١٢
Copyright © King Saud University

٥١٢ 215

رواتب النوافل وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم فيها احاديث جامعة لرواية مسلم كذ
عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها
ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى
ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام
الصلاة واما صلاة الاوابين وهي التي بين المغرب والعشاء ففي حديث كعب بن عجرة رضي
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في
عليين كذا يقرأ في احداهما بقل هو الله احد والمعوذتين وفي رواية بالكافرون وقل هو الله
احد ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب
ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة رواه ابن ماجه وابن
خزيمة في صحيحه والترمذي كلهم من حديث عمر بن ابي خثعم عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة
عنه ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى بعد المغرب عشرين
ركعة بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي وابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدا
يني عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة وعن محمد بن عمار بن ياسر قال رايت عمار
ابن ياسر يصلي بعد المغرب ست ركعات فقلت له ما بالك هذه الست الركعات قال رايت
خليلي يصليها بعد المغرب وقال قد رايت حبيبي صلى الله عليه وسلم يصلي بعد المغرب ست
ركعات ولست بتاركهن حتى القاه وقال من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه
وان كانت مثل زبد البحر اخرجه الطبراني في الثلاثة وقال تفرد به صالح بن قطن البخاري و
وعن الاسود بن يزيد قال قال ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
نعم ساعة الغفلة يعني الصلاة فيما بين المغرب والعشاء رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر
الجعفي ولم يرفعه وعن مكحول يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب قبل ان
يتكلم ركعتين وفي رواية اربع ركعات رفعت صلاته في عليين ذكره رزين وعن انس رضي الله
عنه

Copyright © King Saud University
جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات